

العدد

141

السنة الثالثة عشرة
كانون الأول 2014

ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب

رأيي صواب يحتمل الخطأ



◆ رؤى حول حوار الحضارات

◆ الكهنة المسيحيون
وخدمة اللغة الكوردية

◆ تحديات تواجه
الصحة الإسلامية المعاصرة..

◆ خارطة طريق
لإقامة الدولة الكوردية

مجلة سياسية ثقافية عامة يصدرها شهرياً مكتب الإعلام للاتحاد الإسلامي الكوردستاني

A political and cultural magazine, issued monthly by
Kurdistan Islamic Union

صاحب الالتهياز: صلاح الدين بابكر

رئيس التحرير: سالم الحاج

salimalhaj83@yahoo.com

07504499179

هيئة التحرير

سعد الزبياري saadz76@yahoo.com

نبيل فتحي حسين nabil_fathi72@yahoo.com

سرهد أحمد علي Sarhad_ahmad72@yahoo.com

الإخراج الفني

قوباد ياسين طه tqubadyasen@yahoo.com

الموقع الإلكتروني: <http://alhiwarmagazine.blogspot.com>

البريد الإلكتروني: Alhiwar2003@yahoo.com

العنوان: أربيل - رحلة طيراوه / مقابل نقليات الشمال / قرب المركز الثاني للاتحاد الإسلامي الكوردستاني

محتويات العدد

٤	رئيس التحرير	كلمة الحوار
٥		ملف العدد
١٩-٦	حوار: سرهد أحمد	- رؤى حول حوار الحضارات
٢٠		دراسات
٢٩-٢١	د. فرست مرعي	- الكهنة المسيحيون وخدمة اللغة الكوردية
٥٨-٣٠	ترجمة: عمر جاسم محمد	- من (العراق) إلى (فارس)... تتبع التحولات الثقافية
٦٥-٥٩	د. أياد كامل الزبياري	- إدراك مقاصد الشريعة الإسلامية
٩٠-٦٦	صالح شيخو	- تأملات في آية التيه
٩٢-٩١	أحمد الزاويقي	قراءات/ القضية الكوردية من التأثير إلى التأثير
٩٣		مقالات
٩٨-٩٤	عمر عبدالعزيز	- تحديات تواجه الصحوة الإسلامية المعاصرة
١٠١-٩٩	سرهد أحمد	- داعش والتحالف الدولي.. خيارات المواجهة
١٠٥-١٠٢	جاسم محمد الشرنخي	- الإسلاموفوبيا من الغرب إلى الشرق
١٠٨-١٠٦	فاتن محمد	- لا تكن خيراً منه فتهلك وتهلك
١١١-١٠٩	د. سعد الديوه جي	- لماذا قبّل الرسول الحجر الأسود

- ١١٦-١١٢ هفال برواري - البرازيل أمودج الدولة الوطنية المتطلعة للنهوض!
- ١١٧ يحيى ريشاوي مرفئ/ دنيانا التي فيها معاشنا
- ١١٨ مدن وتاريخ
- ١٢٥-١١٩ عبدالكريم يحيى الزبياري - ملخص تاريخ قضاء زيبار
- ١٢٦ ثقافة/
- ١٣٠-١٢٧ حاورها: بسام الطعان - لقاء مع الشاعرة والأديبة الكويتية سعدية مفرح
- ١٣١ صلاح سعيد أمين بصراحة/ المعركة الحاسمة مع الإرهاب
- ١٣٢ أخبار وتقارير
- ١٣٥-١٣٣ إعداد: المحرر السياسي - أخبار
- ١٣٨-١٣٦ تقرير: الحوار - شخصيات سياسية وأكاديمية تطرح (خارطة طريق) لإقامة الدولة الكوردية
- ١٤٠-١٣٩ إعداد: المحرر السياسي - ملتقى حوارى شرق أوسطى بأربيل يبحث قضايا العراق والمنطقة
- ١٤٣-١٤١ إعداد: المحرر السياسي - ندوة تناقش التطرف الدينى وسبل معالجته
- ١٤٤ محمد واني آخر الكلام/ تحريف من نوع آخر

كلمة العدد

دورة ابتدأت..

يكم بصدور هذا العدد نكون قد اقتربنا خطوة أخرى نحو استكمال الدورة الجديدة لمجلة (الحوار)، التي ابتدأت مع العدد (١٣١)، الذي صدر مطلع شباط ٢٠١٤.. وقد حاولنا في هذه الدورة الجديدة، وبهمة فريق العمل في المجلة، ومؤازرة ودعم كتاب الأعمدة الثابتة، ونتائج الأساتذة الكرام، أن نخرج بالمجلة من طابعها الفضفاض، الذي كان يليق بمطبوع أسبوعي، إلى طابع أكثر جدية، وأعمق فكراً، يليق بمجلة ثقافية شهرية.. فكان أن حصل التغيير في الشكل، وفي المضمون.. وقد جاء هذا التغيير، كما لاحظنا من ردود الفعل التي وصلتنا، من أكثر من جهة، إيجابياً، ومرحّباً به، من قبل جمهور المثقفين والمتابعين للمجلة.. على أن الذي كان محور الاهتمام والتركيز لدينا، هو الاستمرار في نهج المجلة، الفكري والثقافي، وتعميقه، بما يخدم مجمل الحالة السياسية والثقافية، في كوردستان والعراق، مؤكدين على ثقافة السلم، والحوار، والتعارف بين الشعوب والأقوام.. وقد حرصنا، كل الحرص، على الابتعاد عن الشد الطائفي، أو التطرف الفكري – سواء أكان قومياً أم دينياً – دون أن يعني ذلك إهمال البعد المحلي – الكوردستاني لمجلتنا التي تصدر في إقليم كوردستان العراق، بما يعنيه ذلك من إيلاء الاهتمام، والعناية، بتاريخ وثقافة شعبنا الكوردي، والدفاع عن حقه المشروع في الحياة الحرة الكريمة..

يأتي كلامنا هذا بمناسبة الخطوة الجديدة، التي أمكن تحقيقها، بالتعاون مع (دار نشر مومنت)، البريطانية، التي وسعت من آفاق نشر وتوزيع المجلة، بما يخرج بها عن نطاق كوردستان والعراق، إلى رحابة العالم كله، وذلك بتوفير المجلة (ورقياً، وإلكترونياً) لكل من يرغب بها، أينما كان، دون كبير عناء..

لا شك أن هذه الخطوة الجديدة تفرض علينا مزيداً من المسؤولية، والالتزام، أمام قرائنا وكتابنا. وهو الأمر الذي يزيدنا إصراراً وحرصاً على المضي قدماً في مشروعنا الفكري والثقافي هذا، مسترشدين بشعارنا الذي رفعناه: (رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأيي غيري خطأ يحتمل الصواب)، آمليين أن تكون (الحوار) مائدة لكل الآراء، بما يخدم شعبنا ووطننا، والإنسانية جمعاء

رئيس التحرير

ملف العدد



حوار: سرهد أحمد

- رؤى حول حوار الحضارات

رؤى حول حوار الحضارات

أجرى الحوار: سرهد أحمد

تعتبر فكرة (حوار الحضارات) من الأفكار والمفاهيم الأساسية، حيث أصبحت تحتل مكان الصدارة في قائمة الاهتمامات لدى العلماء والنخب الفكرية والسياسية، بالأخص عند التيار الإسلامي المعتدالي، باعتباره محصلة عوامل كثيرة، حيث شهدت الساحة الفكرية الإسلامية تصاعد وتيرة الاهتمام بالحوار، تنظيراً وتأسيساً، من خلال جهود فردية أو مؤسسات أخذت على عاتقها دعم مشروع حوار الحضارات، فأصبح بذلك الحوار مطلباً إسلامياً، ولم يبق مجرد مطلب غربي، كما كان في العقود الماضية، خاصة وأن الحوار لا يتنافى مع مفهوم الإسلام للتعارف بين الناس والتدافع بينهم.

ومن جانبها تسعى مجلة (الحوار) إلى المساهمة، ولو بنزر يسير في عملية البحث عن المنهجية الشاملة لمسألة الحوار الحضاري، كانعكاس حتمي للتغيرات والتحويلات الكبيرة التي شهدتها العالم في الآونة الأخيرة، فارتأت أن تعد ملفاً خاصاً عن هذا الموضوع، كاستكمال لما بدأت في أعداد سابقة، من خلال فتح باب النقاش مع كل من (الأستاذ محمد رشدي عبيد - الباحث والمفكر الإسلامي) و (السيد عبد السلام مدني - الناشط في مجال المجتمع المدني).



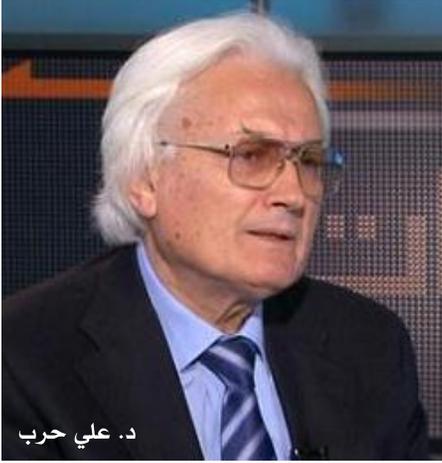
لكننا نقرأ في معجم غربي أن الحضارات مجموعات متباينة، وكلّ حضارة تنقسم إلى عدد مرتفع من الحضارات، وفيه أيضاً أن مضمون الحضارة غامض، ويوافق بعض الحضاريين الذين يؤكدون أن تعريف الحضارة، والمفاضلة بين الحضارات، أكثر تعقيداً مما نتصور، لتعدد مستويات القراءة، ومناهج التحليل. كما يرى آخرون أن دلالة المصطلح عرفت تحولاً واضحاً على امتداد تاريخه الطويل، ويتجلى ذلك في اختلاف المعرّفين لها، وفي تفاوت فهمهم، وتباين مشاربهم، وتعدد منطلقاتهم النظرية.

وفي اللغة العربية، تعني الحضارة: الحضور، ولها علاقة بسكنى المدن والحضر، وهي تعني مجمل إنجازات الإنسان المادية والمعنوية، في إطار ثقافة



* الحوار: بداية يحسن بنا أن نعرض لمفهوم الحوار، ومفهوم الحضارة، حتى نتعرف على حوار الحضارات، ونطلق لرؤية واضحة، تكشف عن ضرورة الحوار للإنسان وحاجة الإنسان إليه.. والسؤال هو: ما المقصود بالحضارة وعلاقتها بالثقافة وحوار الحضارات؟

- الأستاذ محمد رشدي عبيد:
الحضارة تعني مجمل إنجازات الإنسان المادية والمعنوية.. ومنهم من يرى أن هذا المصطلح ترجمة موافقة للكلمة الفرنسية "civilization"، وأول من استعمله من الفرنسيين الاقتصادي (آن جاك تورغو). وهناك "١٦١" تعريفاً للحضارة جمعها الأنثروبولوجي الألماني الأمريكي (ألفريد كروب).



د. علي حرب

عميق يجب الغوص في داخله، كما لمح كذلك إلى وجود تركيبات ثقافية وحضارية متناقضة أحياناً في حضارة واحدة، وإلى تعريف الحضارة بسبر كل العوامل المساهمة في نشوئها، وعن طريق مقارنة الحضارة بغيرها. والحضارة الإسلامية- كما يرى (فرنان بروديل)- كانت واحدة، لتشابه منجزاتها المادية والمعنوية، لكنها لم تخل من تنوع. بينما (المدنية) معاييرها نفعية دقيقة، أقرب إلى المادية والتقنية، ولا تغني عن الحداثة العقلية والفكرية. لذا فنحن -حسب هذه الرؤية- مدنيون لا حضاريون، حين نكتفي بنقل بعض أسباب المدنية والتقدم، مع إهمال بعض وجوه التقدم الحضاري مما يناسب حدثنا، أو ننقل نقلاً استنساخياً عن الآخر، كأن نهمل البناء الأفقي معمارياً، مع كونه أكثر مناسبة لذوقنا، وأكثر

ما.. بينما يرى (مالك بن نبي) أنها هذه الإنجازات التي تتيح لجمع ما أن يوفر لكل فرد جميع الضمانات اللازمة لتطوره، مفترضاً وجود معبود غيبي تتوجه نحوه الإنجازات الحضارية.

ويرى (نصر عارف) أن كل حضارة لا بُد لها من عناصر خمسة: نسق عقدي، وبنية فكرية وسلوكية، توجهها منظومة قيم، ونمط مادي مجسم، وطريقة للتعامل مع العالم والكون، وأسلوب للتعامل مع الآخر وحضارته. بينما نجد (د.علي حرب) في مرحلة ما بعد الحداثة، يشكك في الثوابت والهويات والمنظومات، ويرى أن علينا أن ننتغير نحن كثيراً، ونغير الآخر، في عملية صيرورة لا نهائية، وفق هذا الزمن الديناميكي، والتدخلات الحضارية الهائلة.

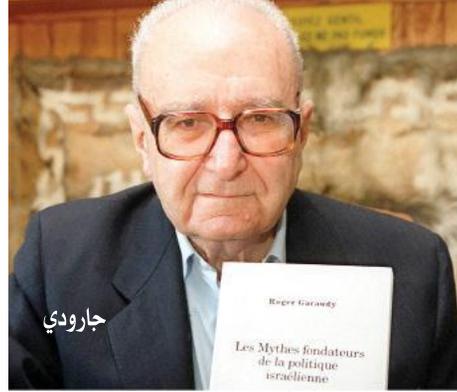
وهناك تعريف غربي ساقه (فرنان بروديل) في كتابه "قواعد لغة الحضارات" المطبوع سنة ٢٠٠٩، يؤكد في هذا الصدد على البعد الثقافي من الحضارة، وهي: علوم الإنسان "الأنثروبولوجيا"، والتاريخ، والجغرافية، وعلمي الاجتماع والاقتصاد، والفلسفة، وعلم النفس الجماعي، والأدب والفن، وكذلك على البعد المادي الفيزيقي والمعطيات الطبيعية، مثل: الفضاءات، والأراضي، والتضاريس، والمناخات، والنباتات، والأجناس الحيوانية، والمنافع المعطاة أو المكتسبة. وشبه الحضارة ببحر

رحابة وحرية.



خاتمي

المعري، يُضاف إليها الظرافة، والرّقة، والجمال، في التعامل الاجتماعي والفن. أمّا (حوار الحضارات)، فهو مفهوم جديد، انبثق من الشعور بحاجة كل حضارة إلى غيرها، في مجالات الفكر والثقافة والسياسة والاقتصاد. وقد ألف (جارودي) كتاباً بهذا الاسم، بعد جولاتٍ ثقافية وسياحية ومقابلات مع ساسة وفنانين وكُتّاب. كما طرح (محمد خاتمي) رئيس الجمهورية الإيرانية، هذه النظرية سنة ١٩٩٧، للانفتاح على الغرب، وألقى كلمة في الجمعية العامة للأمم المتحدة، داعياً إلى التفاهم لدحض الصدام. وقد تم إنشاء العديد من المؤتمرات والجمعيات والمؤسسات الداعية لهذه الفكرة، وحددت الأمم المتحدة سنة ٢٠٠١ سنة للحوار، وعينت مندوباً لهذه المهمة. وعرفت (الويكيبيديا) الحوار بأنه: التشاور والتفاعل الثقافي بين الشعوب، والقدرة



جارودي

أما هذه الكلمة (culture)، فتعني (ثقافة)، كما هو معلوم، أي: الحدق، والفطنة، والصقل، والبحث العميق، والحفر الأركيولوجي، والارتقاء المعنوي، وفي الإنجليزية لها الجذر نفسه تقريباً. والفرق بين الحضارة والثقافة، كما يراه (د.علي حرب)، هو أن الحضارة تحيل إلى المكان والحاضرة، أما الثقافة فتحيل إلى الزمان والذاكرة، والحضارة تقنية وأداة، والثقافة قيمة ومعيار، والحضارة سوق ومبادلة، والثقافة إنتاج للرموز والنصوص، والحضارة تنتج الجانسة والمشاكل، في حين أن الثقافة تخلق التنوع والغنى والفرادة. وهناك تعاريف أخرى للحضارة والثقافة انطلقت من زوايا عدّة، وهي تركز على الرأسمال الرمزي للإنسان، بشرط أن يتّسم بنقلات إبداعية وتنوعات ذكية، في بنية الفكر وكيفية التعامل مع العالم، فيها روح الإنجاز

(التقني/التكنولوجي/المادي/المدني)، أو كما يسميه في مكان آخر (الأفكار + الأشياء). وبالحق فإن مصطلح (Civilization أو Civilisation) قد عانى من مشكل الترجمة من الإنكليزية إلى العربية، وهل هو (حضارة)، أم (مدنية)؟ باعتبار أن كلمة (Civil) تعني (مدني!) كما شرح ذلك الدكتور (محمد عمارة) بإسهاب في كتابه (معركة المصطلحات). لذا فالحضارة لها ارتباط وثيق بالثقافة، وبالتالي بحوار الحضارات، من ناحية الاصطلاح، وبنية المصطلح، وأيضاً من ناحية الإسقاط على



مالك بن نبي

الواقع كممارسة.

والحضارة كمفهوم شامل تعني ما يميز شعباً أو أمة معينة عن الآخرين، من حيث مجموع طرق العيش، والعلاقات الاجتماعية، والوضع الاقتصادي، وأنظمة الحكم، والفنون، والآداب،

على التكيف مع الأفكار المخالفة، والتعامل مع جميع الآراء! ولا شك أن التعامل غير التكيف، وكلما زادت وسائل الاتصال نوعاً وتعقيداً وكماً، وسهلت المواصلات، وكثرت الرحلات، شعر أصحاب كل حضارة بالحاجة إلى الاستفادة من الآخر وإنجازاته، والبحث والحفر في أسباب سوء التفاهم بين الحضارات، ومن ثم تبني حوار الحضارات، لتتلافى أسباب النزاع والخصام. فالكرة الأرضية اليوم كمركب يطوف على سطح محيط مضطرب، وليس كسطح جغرافي جامد وثابت، وإن كانت منطقتنا اليوم أكثر توجّهاً وخلخلة وثورة، فلا بُدَّ من أسلوب تفكير، وأشكال ممارسة، تتسم بلمّ الشمّل، وجذب مناطق التوتر نحو مركز مستقر. ويقع علينا كثير من العبء في تجاوز التفجرات، وامتصاص الغليان، وتفهم أسباب الخلاف بين المكونات، والبحث عن صيغ مستوعبة، وقواسم مشتركة لصالح هذه المكونات، لنقف على أرضية لا نخجل فيها من تقديم طلبات الحوار مع الآخر.

- السيد عبد السلام مدني: مع وجود تعريفات متعددة للحضارة، إلا أنني أميل إلى ما خصه عنها (مالك بن نبي) بأنها مجموع (ثقافة) أمة أو شعب ما، ومنتجها الثقافي، مجموعاً مع منتجها

الحد من عدم الفهم، بإعادة إنتاج التاريخ، لصنع واقع طبقاً لتاريخ يلعب فيه المخيال - والتحييزات، التي أشار إليها كل من (إدوارد سعيد) و(المسيري) - دوراً في نقل صورة نمطيّة عن الحضارات الأخرى.

إن كان لكل حضارة أن تحتفظ بتصوّرها الجوهرية لحضارتها، مكتفية بتفاعلاتٍ حدودية، تجنباً لصدام الحضارات - وكما يقول بعض الكتاب - فإن مقولة (هنتجتون) لا تحظى إلاً بالقليل من الاهتمام، بعد صعود أيديولوجيا التعددية الثقافيّة. فالحضارة الأمريكية - على سبيل المثال - ليست جسماً بنيوياً متجانساً، ففيها أكثر من ٢٠٠٠ أثنية ودين ومذهب وثقافة، والحضارة الكوكبية القادمة لا بُدّ أن تحتوي هذه المكونات وتستوعبها خارج أمريكا وأوروبا، فقد أصبحت أوروبا أشبه بتباين ديناميكي متحرك، حتى ليدعو كتابٌ إلى الاستفادة من كل التجارب الدينية في الغرب.

فعلى الرغم من التعدديات، توجد هناك عملة مشتركة بين الجميع، وهو الفكر والمنطق، والقيم الإنسانية، والمصالح المشتركة بين الشعوب قاطبة، وتتجلى أهداف الحوار في البحث عن أرضية مشتركة للثقاف والتعاون، فيما فيه مصلحة الإنسانية على جميع الصعد والمجالات، بعيداً عن العُقد النفسيّة

والعادات، والتقاليد، والميراث التاريخي، والقيم الدينية، والأخلاقية، ومقدار التقدم العلمي، والتقني، ومقدرة الإنسان في كل حضارة على الإبداع، والإنجاز، والإنتاج، في كل هذه النواحي.

* الحوار: ما أهمية الحوار بين الحضارات، وأهدافه، ومجالاته؟

- الأستاذ محمد رشدي عبيد: تتبع أهمية الحوار بين الحضارات من اختلاف المناخ والبيئة، ومن ثم الأذواق والرؤى بين القارات والبلاد، فلكل منطقة من العالم طبقات أركيولوجية وأنثروبولوجية، تشكل - ولو إلى حين - بناءها الثقافي، وتؤثر على توجهاتها الحضارية، وأشكالها الجيوسياسية، وأيديولوجياتها المفضلة، وتلونها بألوانها المتعددة. ومن كشف وجوه التباين والتشابه عبر الحضارات، يمكن الوصول إلى حدّ رؤيتنا لتنويعات تجري على سيمفونية واحدة، وتفسح المجال لقرّ مشير من التبادل، والاستكشاف المشترك، ومن ثمّ حاجة كل حضارة للسفر مفهوميّاً إلى الحضارات الأخرى، التي قد تجد فيها صورتها التاريخية، أو شذرات من تطلعاتها وطموحاتها الإنسانية. فأحياناً قد لا يكون الأمر تحوير مناط أسباب الصراع، بل أسباب عدم فهم الآخر، وقد يكون للإعلام دور في تأصيل هذا

متداخلة، والأسواق مترابطة، والثقافات متلاقحة، فكان لا بد من فتح باب الحوار بين مختلف هذه الحضارات، التي صنعت التاريخ، بل وحتى تلك التي اكتفت أن تكون معبرة عن أهلها فقط، وحافظت على تميزها فقط. وكل ما هو مطلوب: خلق فضاءات الحوار، وتطوير مهارات وآليات للحوار بين الحضارات، لكي يصبح معنى القرية الصغيرة صحيحاً، في بناء علاقات حوار وحوار وتعاون، بعيدة عن الإرهاب الفكري والجنسي، أو السيطرة بالقوة الناعمة أو الخشنة، أو التدخل باسم الاستعمار أو الاستعمار!

* الحوار: ما هو الإطار الرئيس المرجعي للحوار؟

– الأستاذ محمد رشيد عبيد: تتقاسم العالم أديان شتى، وأيديولوجيات وضعية، ومذاهب متفرعة، وأفكار، عمقت بعض المفاهيم والاعتبارات. فالعلمانية (العلمانية) ركزت على مذهبية العلم التجريبي والمعرفة الحسية، جانحة إلى التطرف، حيناً على حساب الأبعاد الميتافيزيقية في ذات الإنسان، واليسار بدا منتصراً للكادحين، وأصل ذلك أيديولوجياً لحدّ الدوغمائية والتقديس، وألحده المعرفة. (والليبرالية) تجافي العقل أحياناً، بزعم الحرية، وتهيم في أودية المنوع والممتنع. (والديمقراطية)

والحزازات، ومنطق القوة والعددية، وما لم يقيم عليه دليل علمي، من وجود فوارق تشريحية في الدماغ، أو امتلاك أمة لكل الحقيقة، بل هي عوامل تاريخية، وتراكمات من الأحقاب الجيولوجية، وصدف قدرية، جعلت بعض الأمم تتسلم راية الحضارة، فتلونها بلونها، وتحاول تعميمها، أحياناً بتكلف، أو أحادية في التصور.

– السيد عبد السلام مدني: البشر يعيشون في تجمعات، أمم، دول، شعوب، ولكل مجموعة بشرية ملامحها الثقافية الخاصة بها، والتي ساهمت عبر التاريخ، بشكل كلي أو جزئي – حسب كل أمة – في ترك بصمة على التركة الحضارية للإنسان على الأرض. ولئن كانت الأمم متباعدة في الأزمنة الغابرة، والتواصل بينهم والتأثير والتأثر قليل، فإنه ازداد بعد ذلك في فترة الامبراطوريات، المتجاوزة لحدودها السياسية والأمية والإثنية، التي جعلت من ثقافتها غالبية على أهلها، وعلى الآخرين، برضا أو بقهر. ومنهم من أنتج تقنية ومدنية على أساس ثقافتها، ليتمخض عن ذلك حضارة متميزة ذات ملامح خاصة بتلك الأمبراطورية أو الأمة. حالياً أصبحنا نعيش اليوم عالماً مفتوحاً، ولم تعد الحروب والسيطرة العسكرية، بالشكل التقليدي، واردة، وأصبحت المصالح



هننتجتون

الإنسان على الأرض كانت (القتل):
 {فطوّعت له نفسه قتل أخيه فقتله،
 فأصبح من الخاسرين} المائدة (٣٠)، وهي
 أوضح حالات عدم تحمل الآخر،
 وإقصائه من الحياة جملة وتفصيلاً، هذا
 هو الإطار المرجعي الأكبر. ومن بعد
 ذلك، لا بد من الانطلاق من مرجعيات
 وأدبيات كل حضارة على حدة،
 للانطلاق من المعرفة الموجودة فيها،
 واستخدام الآليات والوسائل المطروحة
 هناك، وأخلاقيات التعامل التي تحقق
 غايات الحوار الحضاري. وهي كثيرة
 وثريّة، وبينها جميعاً الكثير من
 المشتركات، التي من الضروري تحديدها
 لتكون أرضية صلبة للانطلاق نحو
 خطاب عالمي، يجمع على المشتركات،
 ويحفظ الخصوصيات، لتسير (سفينة
 الأرض) في بحر هادئ إلى أرض الأمان!

* الحوار: ما منطلقات (حوار
 الحضارات)، وهل هو رد على
 (صدام الحضارات)؟

تبالغ في زعم كفاية حكم الأغلبية على
 حساب الأقليات، والنوابغ النواذر من
 المفكرين، غير الخاضعين لقبولبة النظم
 السياسية. فلا بُدّ من وضع أطر مرجعية
 للحوار المتجدد، في كل تحقيب معاصر،
 تعتمد على العقلانية غير المتحيزة،
 والضمير اليقظ، والقراءة الموضوعية
 الشفافة للآخر، والنصوص التي لا
 تحجب الحقيقة. فليس كل أسلوب معلوم
 في الحياة ذا سمة جبرية، بل قد يكون من
 صنع أشخاص وجماعات، وينتشر عبر
 قرارات وأنشطة، لا تخلو من ردود فعل
 أو شهوات غير منضبطة حضارياً، بل قد
 تمثل خروجاً على القانون الطبيعي.

- السيد عبد السلام مدني: على كل
 من يؤمن بالإنسان، باعتباره قيمة عليا في
 هذه القرية، وبأنه صاحب رسالة إنسانية
 على هذه الأرض، ويؤمن بأن الإكراه
 والقسر والإقصاء والإلغاء والتهميش
 ليس سلوكاً إنسانياً، بل هو - بالأصل -
 ما تخوفت منه الملائكة، على الأقل وفق
 تصور الأديان السماوية الرئيسة الثلاثة:
 (الإسلام - المسيحية - اليهودية)، من
 أول ما خلّق (آدم)، بأن تأتي مجموعات
 بشرية تريد أن تلغي حرية الإرادة
 والاختيار عند أخيه الإنسان، وأن يقوموا
 بالإفساد في الأرض: {قالوا أتجعل فيها
 من يفسد فيها ويسفك الدماء؟!} البقرة
 (٣٠)، وبأن أول خطيئة عملية قام بها

الأدرينالين، بالتحفز الضروري لمواجهة أي خلل في مسيرة الإنسان، وعلاقته بالآخر والطبيعة. بل إن ما أخذ على الثورات، التي كانت تحمل شعارات إنسانية، أنها أكلت أبناءها، وأفرطت في استعمال العنف، لغلبة الانفعالات الجامحة على الضمير والعقل. وإن من منطلقات الحوار كونه ضرورة واقعية، ومبدأً إنسانياً، ووسيلة للسلام، وجني ثمراته التنموية والحضارية، ولا ننسى أن للدين والإسلام مداخل خطابية، تتوق تخلص العالم من آلامه، أو تخفيفها، وتعظيم الخالق، ومقاربة رضاه، الذي يفهم ضمن أطر العقل والضمير.

- السيد عبد السلام مدني: أنا مؤمن أن النصوص الأساسية والمعتمدة، لكافة الحضارات الرئيسة، تدعو إلى الحوار والعيش المشترك، وفيها الكثير من الأسس التي من الممكن أن نبني عليها مجتمعاً إنسانياً، يسمح بالحوار بدلاً عن الإلغاء والإقصاء، والمسح أو المسخ. ومع ذلك أنا مؤمن بأن هناك مجالاً كثيراً لسوء التأويل لنفس هذه النصوص الأساسية، للقيام بعكس ما ذكرت. ومن أكبر الأدلة على ذلك، تلك الممارسات التي قام، ويقوم بها، المتممون إلى هذه الحضارات/الثقافات، تاريخياً بكثرة، وحالياً بشكل أقل، ولكن ما يزالون يشكلون تهديداً. لذا فإن (صاموئيل

- الأستاذ محمد رشدي عبيد: منطلق حوار الحضارات أن الحوارات هي أساس تقدم العلم والتنوير الفكري والنمو المعرفي، وهي أداة بناء الذات العارفة، التي تعيش عصرها، وتهتم بواقعها، بما ينقل إليها عبر الحوارات ذاتها والسجلات، مما يشحذ ذهنها، ويوقظ ضميرها، ويشعرها بمسؤوليتها، ويدفع بها إلى واجها. أضف إلى ذلك، ضرورة رصد التحولات والتطورات والانقلابات الفكرية والاجتماعية والفلسفية في عالم اليوم. فالحوار بالنسبة إلى الأمم المتخلفة، في بعض واجهات التقدم، ضرورة واقعية، لتنجو من الانقراض والهامشية، وسوء الحالة الحضارية. وبالنسبة للأمم المتقدمة واجب أخلاقي، تفرضه النظرة الغائية للعالم. أما كون الحوار رداً على فكرة الصدام، التي أعاد تأصيلها (هنتنغتون)، فهي منهجياً ليست رد فعل فيزيقي، لتجنب ويلات الحروب والصراعات فقط، حيث يعم السلام، الذي يدفع إلى التفكير جدياً، فيرفع سقف الأداء البشري الحضاري، ويوفر العائد في توفير الحياة الكريمة لعدد أكبر من الناس، بل هي مبدأ يقوم على القوانين الطبيعية الراسخة، التي منحت المخ البشري ملايين الخلايا للكشف والإبداع والتنمية، وسبر هذا العالم، وكشف خبايا النفس البشرية، بينما تتكفل غدة واحدة، وهي غدة

- السيد عبد السلام مدني: لا أتصور أن البشرية مرت بمرحلة كان الحوار فيها حاجة ومطلباً بأن يكون منهجاً مبرمجاً، كما نحن عليه الآن، فالتدخل العالمي والاحتكاك، بسبب التكنولوجيا، جعل من المسألة حتماً لازماً، لا مفر منه. فاليوم أصبح الإنسان/الفرد يشكل خريطة علاقاته على أساس عالمي، ومستوى وكم المعرفة بين يديه لا حدود لها، وأحدنا قد يعرف أوضاع دولة أخرى، تبعد عنه آلاف الأميال، أكثر من معرفته بما يدور في مدينته التي يعيش فيها!!

إن كانت هناك حالات ومقاطع موجودة، ومبادرات، تحاول خلق جو من الحوار، البعض منها كان جهداً منظماً، والبعض الآخر محاولات فردية ومرحلية، فـ(تاج محل) - على سبيل المثال لا الحصر - فيه أركان، كان الفلاسفة من مذاهب وأديان متعددة، يأتون إليها للمناظرة والحوار في أمور الدين والعقيدة، وهي وإن كانت معرفية أكثر، إلا أنها على الأقل كانت تهيي أرضية للمختلفين أن يعبروا عن ذاتهم، كما وتوفر فرصة للحوار وللتفاهم.

من جانب آخر، أقول إنه لا بد من فتح باب الحوار مع الجميع، وأنفهم دواعي التوجه الذي يدعو بشدة إلى الحوار بين الحضارتين الإسلامية والغربية، باعتباره الأهم. فالحضارة الإسلامية نحن

هنكنتون) كان يقرأ هذا الجانب من التاريخ والواقع، وأسس على ضوء ذلك نظريته في (صدام الحضارات). في جانب آخر، فإن حوار الحضارات لم يكن رداً على ما قاله (هنكنتون)، فالمحاولات كانت وما تزال، قبل وبعد الكتاب، لأنها حاجة إنسانية ملحة. ولا أحمذ أن تكون رد فعل، لأن (رد الفعل) قد ينتهي مع (الفعل)، والمطلوب أن يكون الحوار نفسه (فعلاً) قائماً مستقلاً بذاته، على أسس معرفية، وذا آليات، وطرق، تجعل العالم مكاناً يستحق أن يكون محلاً لعيش الإنسان.

* الحوار: هل عرف تاريخ العلاقات بين الحضارتين الإسلامية والغربية فترات حوار وتفاعل؟

- الأستاذ محمد رشدي عبيد: فضلاً عن أن الحضارة الغربية عرفت فترات صراع وتفاعل بين البربرية والبداءة، والمدنية والحضارة، بين الخرافة والعلم، بين التعصب المذهبي والتسامح، فكذلك الحضارة الإسلامية عرفت ذلك. أما الحوار بين الحضارتين، فرغم أنه لم تقم له مؤسسات وقنوات دائمة، فقد شهد تاريخ العلاقات بين الحضارتين فترات تبادل ثقافي، عن طريق الحروب الصليبية، والأندلس، كما هو معروف.

الآخر، لا بشكل جارح وعنف لفظي، واتهام بالتخلف، بل بدراسة ما يمكن أن يقدمه كل للآخر، ولحل إشكالياته، وتحديد المصالح، والصعوبات، المشتركة.

- السيد عبد السلام مدني: إن كان المقصود بالنظام العالمي الجديد، فكرة أحادية القطب، فظني أنها مقولة نظرية أكثر منها حالة واقعية. فد(أمريكا) في بدايات التسعينات، وفي ٢٠٠٣، اضطرت في تدخلها في العراق أن تجمع من حولها دولاً، سمتها (متحالفة)، لكي تتخذ خطواتها تلك. (الاتحاد الأوروبي) يشكل ثقلًا في المعادلات الدولية، (روسيا) عادت بقوة إلى الساحة السياسية، ودورها في أحداث (سوريا)، مع (الصين)، لا يخفى على أحد. كل هذا من الجانب السياسي، وليس الجانب الاقتصادي بأحسن حال. فبشكل عام ما موجود من قوى حضارية، وقوى سياسية واقتصادية، وتلاقحات أو احتكاكات ثقافية، وأخرى اجتماعية، يجعل من مقولة السيطرة والتفوق ليست بالسهولة والتبسيط الذي توحي به مقولة النظام العالمي الجديد وأحادية القطب. من جانب آخر، فإن تداخل المصالح - بفعل التكنولوجيا - جعلت من الحوار الحضاري ضرورة لازمة، لأجل خلق نظام دولي للتعامل على مستويات متعددة، وخاصة الاقتصادية والسياسية،

منها، ونوعية علاقتنا مع الغرب متأثرة بنوعية التفاعل بيننا، كما وأن الحضارة الإسلامية كانت هي التي سلّمت مشعل الحضارة للغرب، وما زلنا لم نفق من صدمة أننا خسرنا كوننا الحضارة الرائدة في العالم، وبين الغرب الذي هو حالياً الحضارة الرائدة، وهي حالياً منتجة الأفكار والأشياء، بقوة وبتقانة غير مسبوقة، وبسرعة مهولة، مع أننا نستخدم المصطلح مجازاً، ونعمم في إطلاقه - ويبدو أن لا مناص من ذلك-. ومع ذلك أختتم كلامي بسؤال استنكاري: هل كل الدول المسلمة تمثل توجهاً وفكراً وثقافة واحدة؟ هل كل الغرب غرب واحد؟؟!

* الحوار: النظام العالمي الجديد يعني تفوق حضارة واحدة على باقي الحضارات، كيف يمكن تلافي ذلك؟

- الأستاذ محمد رشدي عبيد: يكون ذلك، من جهة الغرب خصوصاً، بالنظر الموضوعي لفكرة التقدم، وأنه ليس حصراً بزيادة الكم المادي والتقنية الرفهة فقط، وأن السعادة ليست حصراً في زيادة كم اللذات -التي تنسب لـ(أبيقور) دون أن يريد هو ذلك- بل بالتوازن بين المادة والعقل، والإحساس وفضائه، والشعور ولذاته. ووجدانياً لا بُدّ من التواصل بشكل فعّال وبنّاء مع

وتغلب الآخرين! فالكثيرون منا، ومن غيرنا، يتعلمون ويتحدثون اللغة الإنكليزية - اللغة الرسمية الأكبر في الحضارة الغربية، مع وجود لغات أخرى فيها - لأنها أصبحت لغة العلم والتجارة والتواصل العالمية. فلا أحد يضغط، إنما هي الحاجة. وهكذا كانت اللغة العربية في يوم من الأيام، لغة للعلم وللتجارة وللتحضر. ومع ذلك هناك أمور يجب أن لا نخشى منها، وأن نجعل حوارنا منطلقاً من فكرة: (انفتاح دون ذوبان، وانغلاق دون تقوقع)، كما يصفها الدكتور (يوسف القرضاوي).

*الحوار: هل سيثمر الحوار في ظل عدم التكافؤ الحضاري؟

- الأستاذ محمد رشدي عبيد: على الرغم من أن الغرب يمثل اليوم منطقة وجاهة، لها جاذبية مثيرة، لوتيرة التقدم فيها، وهذا يجعله الطرف الأقوى، فإنه إذا توافرت النوايا الحسنة، وأزيلت الرؤى القائمة على فهم مبتور، وتأويل أناني لـ(نظرية دارون)، حول البقاء للأقوى. وبالمناسبة بين يدي كتاب ألفه كاتب بريطاني، هو (ريتشارد داوكينز)، باسم (الجينة الأنانية)، يقر فيه بضرورة تجاوز أنانية الجين، لبقاء القيم. كما ذكر (سكوت هيبارد) مؤلف كتاب (السياسة المدنية، والدول العلمانية)، الصادر سنة ٢٠١٤، عن سلسلة (عالم المعرفة)، أن

وأحياناً إلى ميادين أخرى ثقافية واجتماعية. فالديمقراطية - على سبيل المثال - أصبحت مطلباً جماهيرياً عاماً، ومقياساً لمدى توفر الحريات العامة والخاصة، في مختلف الدول، ولكل الشعوب. مفاهيم حقوق الإنسان، والمرأة، والطفل، أصبحت مقاييس لمدى (تحضّر) البلدان، وأصبح المزاج العام يدفع باتجاهاتها، من مختلف الأقطاب الفكرية والأيدولوجية. هناك حاجة ماسة لسياسات واتفاقيات دولية لتنظيم الاقتصاد العالمي. وكذلك الحال مع مواضيع متعلقة بالبيئة. نعم هناك متطرفون يدعون حتى إلى إيجاد دين عالمي! ولكن - كما قلت - هذا تطرف! ولا يقول به الكثيرون. وهذا يذكرني بمقولة لـ(توماس فريدمان) حيث يقول: إن معركة الإرهاب ليست بين الإسلام والغرب، إنما هي بين المتطرفين من كل جانب!

الإشكالية الأكبر في هذا الموضوع هي أن الأطراف/الحضارات الأخرى ضعيفة، وليس لديها منتج فكري/ثقافي أو تقني/مدني في هذه المجالات، وغيرها، من الممكن أن يجاروا به ما هو مطروح من قبل الحضارة الرائدة. فالإشكالية ليست أن الآخر أقوى، بقدر ما هي أن المقابل هو أضعف من أن يكون شريكاً! لذا تبقى الحضارة الرائدة حالياً تطرح مشاريعها بالقوة الخشنة، والناعمة،

شعبنا، بالتوازي والتفاهم مع الشعوب والدول المحيطة بنا، أو المقاربة لنا في معالم الهوية، وسمات الخصوصية، وفتح مراكز استراتيجية لدراسة إمكاناتنا البشرية والمادية والجيوسياسية، ووضع الطرق الأمثل للتقدم، وفقاً لصيغة تناسب العصر، ولا تجرح الكينونة القيميّة لإنساننا، وأن نتيقن أن الشعوب لا تنهض بدون التخلي عن الأناية، حيث تتحوّل كل المواهب والمؤسسات: السياسية والاجتماعية والإعلامية والتعليمية، إلى وسائل لرفع مستوى الشعب، من أجل غد أفضل للأجيال القادمة. كما أنه من الضروري أن نعثر على أسلوب معاصر لعرض رؤيتنا على أبنائنا، والعالم، عرضاً وسطياً بين النظرة التشاؤمية للتاريخ، وبين النظرة الطوباوية، التي تعرضه كبنية فوق الواقع، وقدرات الإنسان، بحيث لا نحتاج إلا إلى جرة قلم، وشيء من تجليات الإرادة، لإعادة صنع واقعنا. فالأمر يحتاج إلى إبداع عقلي، وفهم لروح العصر، ومقاصد الدين، وتجديد يبرمج الشعارات الدينية والوطنية والكوكبية في مشاريع وبرامج مرحلية، قبل أن يجتاحنا الزمن الآتي بتحدياته وآفاقه. وإذا كان لا بُدّ لنا من تحليل أسباب النزاعات بيننا وبين الغرب: سياقها، وبنيتها، ومفارقاتها، واتجاهاتها الباطنية، وسلوكياتها الحركية، لعلاجها

الصراع، في تجلياته المعاصرة، بين دول العالم الأول، والعالم الإسلامي، ليس من أجل قيم الدين الخالصة، التي تدعو إلى الوحدة والسلام، بل من منظورات، فيها من التعصب وروح الانتقام، عرفت من منظور ديني. وليس من باب الشماتة أن نذكر بجاجة الغرب إلى قيم، قد نجددها من مقومات حضارتنا. وبين يدي كتابان، أحدهما عنوانه: (انتحار الغرب)، والذي صدر سنة ٢٠١١، يشير كاتبه (ريتشارد كوك)، إلى سيطرة الخسوس والمادي على الميتافيزيقي والإنساني، مع تمزيق التقاليد والقيم الدينية، ولأنماط الفكر المستقرة، وللإستقرار الشخصي والاجتماعي، داعياً إلى احترام التنوع، وجذب الآخر إلى فلكه ودائرته المكانية، بالقدوة والقوة الناعمة!! وآخر عنوانه: (آلام العقل الغربي)، يبيّن كاتبه الأمريكي (ريتشارد بارناس) أن عقل ما بعد الحداثة، رغم نسبيته الدوغمائية، وربيبته الممزقة قسراً، فإنه يؤشر إلى ضرورة ممارسة حوار مفتوح بين مواقف فكرية مختلفة، قواميس متباينة، نماذج إرشادية (باراديجمات) ثقافية متنوعة، وأن الدين ينتعش ويهتدي إلى أشكال تعبير جديدة، ومنابع إلهام.

أما بالنسبة لنا، فلا بُدّ من تبني فلسفة واضحة للوجود والعالم والتاريخ والتقدم والثقافة والتنمية، لرفع مستوى

مختلفاً! وعند البعض الآخر، هو رد فعل تجاه ما يرى من سياسات إقصائية له، ومؤامرات تحاك ضده، ونهب لثروات بلده، أو استفزاز لمعتقداته. وهؤلاء من الطرفين، أو مختلف الأطراف، هم المتطرفون الذين يأخذوننا في مسارات صدام الحضارات، وليس إلى الحوار بينها.

أنا شخصياً عندي أمل كبير بالمستقبل، ونسبة العقلاء والنشطاء المهتمين بالحوار الحضاري بين الحضارات في تزايد، كماً ونوعاً، وعلى مختلف المستويات. وأحتم بمقولة أخرى للمفكر الفيلسوف (مالك بن نبي) حول استيراد الحضارة، إذ يقول: الحضارة لا يمكن استيرادها من بلد إلى آخر، رغم استيراد كل منتجاتها ومصنوعاتها. لأن الحضارة إبداع، وليست تقليداً، أو استسلاماً وتبعية، كما يظن الذين يكتفون باستيراد الأشياء التي أنتجتها حضارات أخرى. فبعض القيم لا تباع، ولا تشتري، ولا تكون في حوزة من يتمتع بها، كثمرة جهد متواصل، أو هبة تهبها السماء، كما يهب الخلد للأرواح الطاهرة، ويضع الخير في قلوب الأبرار.

* الحوار: في الختام تتوجه المجلة بالشكر الجزيل للسيد (محمد رشدي عبيد) و(عبد السلام مدني) على إسهامهما في هذا النقاش، وإغناء الموضوع بطروحاتهما القيمة □

في ظلّ التفاهم، فلا بُدَّ أولاً من معالجة نزاعاتنا وفق مجموعة من المتطلبات الأخلاقية، وأهمها: العدل، والتجرد في التعاطي مع النزاع، والنظر في مشروعية أهداف الطرفين المتناقضة، وإنه لا بُدَّ للمتصدين للحوار أن يتمكّنوا من لغات الغرب، وأن يطلعوا على أوضاعه، وأن يتمكّنوا من معرفة طرق تفكيره وفلسفته في الحياة، ليثمر الحوار، وتشاد جسور التقدير المتبادل، لا مجرد قراءة ما يريده الآخر منا: سياسياً واقتصادياً.

- السيد عبد السلام مدني: أرى، أتابع، وأقرأ للكثير من النخب الفكرية والأديبة، من مختلف الأطراف، ومن الضروري فتح أبواب الحوار مع وبين جميع من يؤمنون بالحوار، لأنه مطلب إنساني للمجتمع العالمي الإنساني، بغض النظر عن القوة السياسية أو الاقتصادية للأطراف. فلكل طرف خصوصيته في طرحه ومناحي قوته، والتكامل بين مختلف الأطراف هو سر النجاح، وإرادة الحوار والعيش المشترك هي المحرك الأساس.

ومع ذلك، فإن للسياسة، وللبعض رجالاتها، أحياناً كثيرة، يدهم العليا في تشويه كل هذه المحاولات، بل وتحويلها إلى صراع وصدام حقيقي، يزيد من المخاوف بين الأطراف. هذا طبعاً من جانب الحضارة الرائدة، أما في الجانب الآخر، فالفعل الأولي - عند البعض -، وافترض أن الآخر عدو، من حيث كونه

دراسات



- الكهنة المسيحيون وخدمة اللغة الكوردية د. فرست مرعي
- من (العراق) إلى (فارس)... تتبع التحولات الثقافية ترجمة: عمر جاسم محمد
- إدراك مقاصد الشريعة الإسلامية د. أياد كامل الزبياري
- تأملات في آية التيه صالح شيخو

الكهنة المسيحيون وخدمة اللغة الكوردية



د. فرست مرعي

المقدمة

إذن فكوردستان هي موطن الجميع، وهي الحاضنة التي تحتضن جميع الأديان والقوميات والمذاهب، التي يتألف منها سيفسأؤها، والذي يضيف رونقاً وبهجة على جبال وهضاب وسهول كوردستان، مثلها في ذلك مثل الأزهار والورود العديدة الألوان، والمتنوعة الروائح، التي تضيف جمالاً على الطبيعة، مما يسر الناظرين.

وجدير بالذكر أن الكثير من الشخصيات الاجتماعية والفكرية والحزبية والدينية، من المسيحيين، يعدون أنفسهم من المنتمين إلى قوميات أخرى لا تمت للكورد بصلة، غير العيش المشترك والحيرة، مثل: الكلدانية، والسريانية، والآشورية، وهذا شأنهم، وخيارهم، ولهم الحق في ذلك، فالقومية شعور بالانتماء، ولا يستطيع أي كائن أن

يظن الكثيرون أنه ليس لرجال الدين المسيحيين شأن يذكر في خدمة اللغة والثقافة الكوردية، على أساس أن جهودهم وإمكانياتهم تصب جميعاً في خدمة الدين المسيحي، والتراث السرياني، فضلاً عن أن اللغتين السريانية والكوردية تنتميان إلى عالمين مختلفين، هما: السامي، والهندو- إيراني (= الآري).

ولكن رغم ذلك، فإن للعديد من هؤلاء الكهنة (١) جهوداً لا بأس بها في خدمة اللغة والثقافة الكوردية، جاءت في حقيقة الأمر نتيجة العيش في الوطن الواحد (كوردستان)، والمصير المشترك، وعشرات القرون من الحن والآلام التي ترتبت على تجاذبات الحياة تلك.

(بهبالا) سنة ٤٢٠م، وتولي (داد يشوع) الجثلقة، وحرمانه لعدد كبير منهم، مما حدا بهم إلى أن يشتكوه إلى الملك الفارسي الساساني (بهرام الخامس) (٤٢٠-٤٣٢م)، الذي ألقاه في السجن وضيق عليه، وحينئذٍ توسط سفير الملك البيزنطي (ثيودوسيوس) (٣٩٥-٤٢٦م)، وتمكن من إخراج (داد يشوع) من السجن، لذا تقاطر عليه المعارضون له، ومن ضمنهم الأسقف (أرداق) أسقف منطقة (مشكنا دقوردو) (٢) (مساكن الكورد - كوردستان) أو أسقف الكورد، وهذا دليل أكيد على أن مفردة (كوردستان) ترجع إلى القرن الرابع الميلادي، وهو أقدم وروداً من المصادر الإسلامية.

كما أن المستشرق الفرنسي المختص بالسيرانيات (روينس دوفال) يذكر في سير الشهداء والقديسين، أن هناك كتاباً باسم (الفردوس المفقود) لـ (داؤد) أسقف الأكراد (٣). ولا حاجة لإيراد ما دونه المؤرخ الإسلامي الشهير (المسعودي) (ت ٤٣٦هـ/ ١٠٤٤م) حول وجود مسيحيين كورد تحت اسم اليعاقبة (المنوفستيين - أصحاب الطبيعة الواحدة) (٤)، وأشار إليهم الرحالة الإيطالي الشهير (ماركو بولو) (٥) في رحلته إلى (الصين)، حينما ذكر بأنه شاهد أكراداً نساطرة، وأكراداً يعاقبة (٦). والنساطرة كانوا متواجدين آنذاك في منطقة بهدينان وهكاري، واليعاقبة (= السريان الأرثوذكس) كانوا متواجدين آنذاك في منطقة طور عابدين - جبل العباد الزهاد (= المنطقة المحصورة بين جزيرة بوتان وماردين).

ولكن هذا لا ينفي وجود مسيحيين كثيرين ساكنين في كوردستان ينتمون إلى قوميات أخرى، فكوردستان كانت وستبقى تفتح ذراعيها لكل من

يفرض ديناً أو قوميةً أو فكراً أو اتجاهاً محدداً على أحد {لا إكراه في الدين}. ولنضرب مثلاً على ذلك، فقد حاول النظام السابق أن يفرض التعريب على المسيحيين واليزيديين، ولكنه فشل في ذلك فشلاً ذريعاً، لأن المسيحيين لهم شعور بالانتماء خاص بهم، سواء أكانوا كورداً أو عرباً أو كلدانياً أو آشوريين أو سريانيين، كما أن اليزيديين هم كورد أقحاح، لا يتناطح في ذلك عنزان.

المسيحيون الكورد

وفي خضم هذا الواقع المليء بالأشواك، يثير البعض سؤالاً، ولهم الحق في ذلك، مفاده: لماذا لا يوجد مسيحيون كورد، على غرار المسيحيين العرب؟ وقبل الإجابة على هذا السؤال بطريقة علمية أكاديمية، بعيداً عن العاطفة والأيديولوجيا، التي مع الأسف الشديد هي سمة الكثيرين من كتابنا ومثقفينا الكورد، على وجه التحديد، لا بد من القول إن هناك فرقاً بين الدين كمعتقد، وبين القومية كعرق. فالإنسان يستطيع أن يغير معتقده وفكره كما يحلو له، ولكنه لا يستطيع أن يتخلص من موروثه العرقي (= السلالي) بهذه البساطة حتى لو أنكر ذلك، لأن الصفات الوراثية التي ورثها من أسلافه ستبقى ملازمة له إلى نهايته. نعم قد يتنكر الإنسان لأصله أو لعرقه بسبب ظرفٍ ما سلبي أو إيجابي، ولكنه لا يستطيع أن يكبح تلك العاطفة الحميمية تجاه بني جنسه، وللقاعدة شواذ.

وبخصوص الإجابة على السؤال السابق، يذكر المطران (أدي شير) (ت ١٩١٥)، في معرض النزاع الذي حدث بين الأساقفة بعد وفاة الجاثليق

المناطق التي
كان
الناطقون
بالسريانية
يتواجدون
فيها، حيث
فضلوا آنذاك
استخدام
حروفهم
السريانية
لكتابة اللغة



العربية، بعد أن اتسع شمل الدولة الإسلامية، وأخذت اللغة العربية (لغة القرآن الكريم) تكتسح اللغات الأخرى من سريانية وقبطية ويونانية وبهلوية.

أما الكرشوني الكوردي، أي كتابة الخط السرياني بالكلمات الكوردية، فلا تعرف نقطة بدايته على وجه التحديد، أو في حقيقة الأمر لم يكن له وجود البتة، حسب ما كان يعتقد. ولكن بعد ظهور (مخطوطة أردان) التي قدمها القس (فرنسيس داود) كاهن قرية (أردان)، التابعة لقضاء العمادية في محافظة دهوك (٧) إلى مكتبة المتحف العراقي في ١٢/٩/١٩٧٥ (٨)، تغيرت هذه القاعدة من الأساس.

وتكمن أهمية هذه المخطوطة في أن الناطقين بالسريانية، وخاصة الكلدان منهم، كتبوا أكثر من لغة بحروفهم السريانية. فقد كان يعتقد في السابق، أن الكتابة بالحروف السريانية، والنطق بلغة أخرى غير السريانية، وهو ما أطلق عليه (الكرشوني)، كان حكراً على اللغة العربية، إلا أنه بعد هذا الكشف تبين أن الناطقين بالسريانية كتبوا نطق لغات أخرى غير العربية، مثل: الكوردية، كما

يريد العيش فيها، أو اللجوء إليها، لأن الكورد كانوا وما يزالون إنسانيين بكل المقاييس، رغم بعض المنغصات هنا وهناك، والتي لا يخلو منها مجتمع إنساني.

بداية ظهور الكرشوني الكوردي

الكرشوني: إن مصطلح "كرشوني"/ Garshuni" يشير في الأصل إلى تلك النصوص العربية المكتوبة بالأبجدية السريانية. ومن الغريب بما فيه الكفاية أن شكل الكتابة السريانية الواسعة الانتشار كان لها بعض الأثر في أدب المجتمعات غير السامية في المنطقة: الأدب الفارسي، الأرمني، التركي، والكوردي. وهو استخدام الأبجدية السريانية في رسم لغة أخرى، أي بعبارة أخرى: كتابة الخط السرياني بأحرف لغة أخرى.

ولقد ظهر الكرشوني العربي في القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، بعد الفتح الإسلامي لبلاد الشام، في عهد الخليفة الراشد الثاني (عمر بن الخطاب) (رضي الله عنه)، حيث بدأ تحديداً في

مقالته (مخطوط سرياني كوردي من بغداد)، وصفاً للمخطوطة، نقلاً عن (بطرس حداد) و(جناك إسحاق)، في فهرستهما للمخطوطات السريانية: "إن مخطوطة بغداد المسماة "كُتَابًا ذُ - ثُورَاشْ مَامَلَا كَرُثُوثَايَا" أي، كتاب في قواعد اللغة الكوردية، مكتوبة بالإملاء السرياني باللهجة البادية للكوردية الكرمانيّة، منسوخة في (أرادن



صابنا) (العَمَادِيَّة).

يتألف المخطوط من ١٧٢ رقاقة، وقياس كل رقاقة ٢٢,٥ × ١٦,٠ سم. يتشكل النص من ١٩ سطراً، لكل رقاقة مع غلاف مقوى. والمؤلف هو الأب (عبدالأحد ألقوش ابن عبديشو)، من القرن الـ١٩، وهو راهب (= ربّـن)، ومار هُورْمَزْدُ، والذي ألف رسالة أخرى بعنوان "مواعظ دينية" في عام ١٨٩٧م. في الرقاقة ٢ف، يشرح المؤلف الهدف من الكتاب، ويؤرخ له: "إنني أدون كتاب قواعد اللغة الكوردية، الذي ألفه الأب الراهب والقسيس (عبدالأحد ألقوش)، ابن (عبديشو بن خُوشابا بَقَالَا) وهو أحد رهبان ربّـن ومار هورمزد في العام ١٨٨٨ للمسيح، بينما كان في المهمة الرسولية في الجبال..." (١٣).

ومن ثم يستمر العمل كي يتتبع أساسيات اللغة الكوردية. وفي سعيه لكي يقدم الأسماء الكوردية، يفتتح (عبلحد) القواعد بـ: "أولاً، الأسماء الاستفهامية المفردة، والجمع، والأجوبة"، التي تتضمن الحالات المطلقة، والمحدّدة، وأشكال الجمع. وبالنسبة إلى المفردات، فإن المؤلف، أو لاحقاً قارئ النص، يشير في الهامش إلى عدة

ذكرنا آنفاً.

والمخطوطة موضوعة البحث هي من تأليف الراهب القس (عبدالأحد عوديش بن خوشابا البقال ألقوشي)، أحد رهبان دير (الريان هرمزد) (٩)، وقد وضعها سنة ١٨٨٨م (١٠). وغني عن القول إن الراهب القس (عبدالأحد عوديش)، كان خدام ككاهن (= قس) في عدد من القرى المسيحية في منطقة بهدينان، وبفضل ذلك أجاد اللغة الكوردية، فضلاً عن معرفته الواسعة باللغة السريانية: وبذلك تمكن من وضع هذه المخطوطة موضوعة البحث، التي أطلق عليها (مخطوطة أرادن) (١١).

تتكون المخطوطة من ٣٤١ صفحة، وهي مقسمة إلى قسمين: الأول ويضم ١٨٦ صفحة، تتناول (صرف) الكلمات الكوردية ومشتقاتها ومعانيها باللغة السريانية، أما القسم الثاني فيتناول مقتطفات من الأناجيل الأربعة (١٢) باللغة الكوردية - لهجة بهدينان (= اللهجة الكرمانيّة الشمالية)، ومرتبطة حسب ورودها في (الإنجيل).

ويذكر الباحث الإيراني (مصطفى دهقان)، في

كبيرة لدى القراء الكورد (= محاولة تنصير الكورد).

ومن الرقاقة ١٠٠ ر إلى ١٥٧ ف يقدم الأب (عبد الأحد) ترجمة كوردية لبضعة فصول من (يوحنا) و(لوقا) و(متي)، وأيضاً لأقسام من رسائل (بولس). في المحتويات، رقاقة ١٥٧ ف، ينجح في إلتقاط روح بعض الترانيم من قيامة المسيح، التي ترجمها إلى الكوردية.

الرقاقة ١٦٨ ر تقدم خاتمة مفصلة أكثر، والتي تقرب القارئ أكثر إلى التاريخ الدقيق لكتابة هذه القواعد: "في شهر آب، اليوم ٢٨، من سنة ١٨٨٨ لربنا، أثناء أيام قداسة البابا العظيم ليو (= ليون الثالث عشر ١٨١٠-١٩٠٣ م) بابا كل المسكونة (= المعمورة)، والقديس إيليا (= مار إيليا الثالث عشر عبو اليونان ١٨٧٨-١٨٩٤ م)، بطريارك الكاثوليك في بابل، والقديس غيوارغيس (= كوركيس) الأسقف - مطران العمادية". يتبين أيضاً من الخاتمة أن الناسخ الشماس (ألياس هومو) من (ألغوش)، قد كتب المخطوطة لكن برعاية الأب (عبد الأحد) نفسه (١٤).

تعليق الباحث

في اعتقاد الباحث أن كتابة الكرشنوني الكوردي أقدم مما ورد في مخطوطة (أرادن)، التي ترجع كتابتها إلى سنة ١٨٨٨ م.

كلمات سريانية مشتركة في أصلها مع الكوردية. أما الرقاقة ٩ ف فتبدأ موضوعاً ثانياً، وهو الضمائر المستقلة، وتصريف الأفعال. وبحسب قوله يشتمل هذا القسم على تفاصيل عن:

"تصريف الماضي، والحاضر، والمستقبل، والمبني للمجهول، وحالة المصدرية".

القسم التالي (رقاقة ٨٠ ر ف ف) يتعامل مع الأقوال الكوردية المأثورة. ففيما يتعلق بالفلكلور الكوردي، عمد (عبد الأحد) إلى كتابة بعض الأسئلة والألغاز الكوردية بالإملاء السرياني، مرفقة بترجمتها إلى السريانية. ويظهر التقسيم الرئيس والثانوي المتناغم لنص كل قول مأثور في قطع أصغر من الكوردية النقية، في الأمثلة التالية: القول (الكوردي): "اثنان من الماللي في عمامة واحدة (= محاولة الاستهزاء بعلماء الإسلام من الكورد تحديداً).

اثنتا عشرة ناعورة في طاحونة، إحدى وخمسين قدماً في فردة حذاء واحدة".

التفسير (السرياني): "الشمس والقمر في السماء، ١٢ شهراً في السنة، واحد وخمسون أسبوعاً في العام".

وها هي الملاحظة الإفتتاحية في الرقاقة ٩٩ ف: "ثم بحول وقوة ربنا، سنكتب بضعة فصول من أصحاب الأناجيل الأربعة في نفس اللغة، أعني: (متي) و(مرقس) و(لوقا) و(يوحنا)" من ترجمات (عبد الأحد) السابق ذكره".

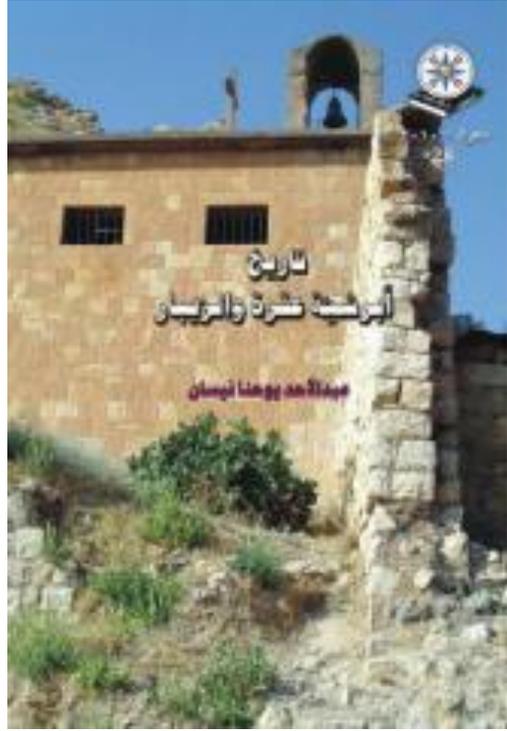
وهي تتميز بغلبة جدية مقاصده، ورغبته الحماسية في جعل دراسة (الإنجيل) ذات حظوة

عابدين)، وهو كاتب غزير الإنتاج في السريانية والكوردية، ولا تزال أعماله تطبع في منطقة (طور عابدين) في (كوردستان تركيا). وقد قدم الباحث السرياني (أسمر خوري) ترجمةً إلى السريانية لقصيدة كوردية لـ(شمعون الثاني)(١٥).

ومن جانب آخر، فقد كان لجهود القس (يعقوب بن القس كانون البارزاني آل نجار) في كتابة الكرشنوي الكوردي، قصب السبق في هذا المجال، على أقل تقدير في كوردستان الجنوبية (= كوردستان العراق)، وإلى أن تكتشف مخطوطات أخرى لا زالت طي النسيان.

إن المخطوطات التي كتبت بالكرشنوي الكوردي كانت محفوظة ضمن مخطوطات (أبرشية عقرة)، وهذه الأبرشية تم استحداثها سنة ١٨٥٢م، حين قام المطران (= البطريك) يوسف أودو (١٨٤٧-١٨٧٨م) بتقسيم (أبرشية العمادية)، المترامية الأطراف، إلى ثلاثة أبرشيات: عمادية، عقرة، زاخو، وتم تعيين (مارايلىا سفرو) من أسرة آل أبونا الألقوشية، - بعد أن دخل في نزاع مع المطران (أودو) (قبل انتخابه بطريكاً) - مطراناً على (أبرشية العمادية) في زمن عمه البطريك السابق (يوحنا هرمزد)(١٦).

وكان الأب المستشرق (جاك ماري فوستي) الـ Jacques-TE, O.P Marie VO، قد زار (عقرة)، وسكن فيها، من ٢٨ تشرين الأول وحتى ٣ تشرين الثاني سنة ١٩٣٨م، وبمساعدة الأب (ميخائيل إيشوع)، الوكيل البطريكى على (عقرة) يومذاك، والقس (بولص يونان) تلميذ معهد (مار يوحنا الحبيب) بـ(الموصل)، تمكن من وضع فهرس مخطوطات (أسقفية عقرة)، لا سيما المخطوطات التي كانت تحتفظ بها كنيسة عقرة



إن تاريخ التقليد الكرشنوي في الأدب الكوردي، المدون باللهجة الكرمانجية، من قبل الكتاب السريان، والنشط خاصة في كوردستان العراق، من عام ١٨٠٠م فلاحقاً، يبدو أنه كان معقداً جداً، نتيجة عوامل متنوعة، وجوانب مختلفة. في المسألة الأولى لـ(مجلة الدراسات الكوردية) المحرمة، قدم (فيليب غ. كرينبروك) ما يعتبر ربما أفضل وصف حديث لما أصبح مساهمة أدبية كردو- سريانية مفيدة للدراسات الكوردية، بالطبع فإن النسخة الكوردية للنص، الذي أنشئت مقالة (كرينبروك) على أساسه، قد نشرها أول الأمر (مار يوليوس يشوع جيغك) كجزء من كتيب بالسريانية بعنوان (كافو د - هابوي) (باقة من الزهور). وهي تعزى إلى المفريان (= نائب البطريك) شمعون الثاني (١٦٩٥-١٧٤٠م) من بيت منعم (= قرية قديمة تقع في منطقة طور

من (إنجيل متي)
باللغة الكوردية،
ومكتوبة
بالكرشوني، وهو
(إنجيل ماراسطفيا
نوس الطقسي).
الورقة (١٤٧ب)،
كاتبها القس
(يعقوب بن القس)



كانون البرزاني آل نجار) (النجارين)، فرغ من
كتابتها في ٣٠ تشرين الأول سنة ٢١٦٦ يونانية
- ١٨٤٤م (هكذا، والصحيح ١٨٥٥م).

كتبت في (برزان) في أيام مار (يوسف أودو)
الجانليق بطريك بابل. على الورقة ٥٥ نقرأ ما
تعريه: "تمت في ٢ نيسان سنة ٢١٦٦يو -
١٨٤٤م في (برزان)، على يد القس (يعقوب بن
القس كانون البرزاني) من (آل نجار). على الورقة
٥٨": ملاحظة بالكوردية (١٩).

أما مخطوطات دير الآباء الدومنيكان
(الموصل)، فهي تضم عدة مخطوطات بالكرشوني
للقس (داود بن يوخنان بن نيسان كوركو
القرداحي البرزاني)، ولد (داود) في قرية تقع على
نهر الزاب الكبير، قرب (بارزان)، في نهاية القرن
الثامن عشر. وبدأ عمله في قرية (بارزان) في
استنساخ الكتب. وفي سنة ١٨٢٧م حدث
طاعون في منطقة (الزيبار)، امتد إلى (الموصل)،
حيث هلك المئات من الناس، ومن ضمنهم عمه
القس (حزيران)، الذي هو الآخر له كتابات
بالكرشوني الكوردي، تعد الكتابة الأولى
بالكرشوني الكوردي (٢٠)، حسب علمي.

وأهم هذه المخطوطات هي:

١- مديحة القس داود البرزاني للتوبة، باللغة

وكنيسة قرية خربة (= غرب عقرة)، القرية التي
يقع إلى جوارها دير (مار يعقوب)، الشهر بدير
(بيث عابي - دير الغاب).

ونشر الأب المستشرق (فوستي) حصيلة عمله
في مجلة (المعهد الشرقي) بـ(روما)، وبلغ عدد
المخطوطات التي رآها (فوستي)، ووضع لها فهرساً،
(٦٧ مخطوطة)، بينما بلغت المخطوطات التي
فهرسها الأب الدكتور (يوسف حبي) (٩٦
مخطوطة) (١٧). ولعل أهم المخطوطات هي:
مخطوطة العهد القديم، والعهد الجديد، وصلوات
الطلب (= الباعوثا)، وغيرها من المخطوطات
القديمة جداً من مخطوطات دير مار يعقوب (بيث
عابي).

أما أهم المخطوطات، وأجملها، فهي ذات
أصل ألقوشي، ولا عجب فقصة (ألقوش) مدينة
الخط السرياني الشرقي، ومعين غزير
للمخطوطات (١٨).

وأهم المخطوطات التي تضم الكرشوني
الكوردي، هي حسب الترتيب التاريخي:

١- مجموعة في التوبة، وفي أسرار الكنيسة،
وفي الكهنوتية: يضم هذا المحتوى ٢٦ موضوعاً
مختلفاً، في مواضيع مسيحية مختلفة. ولكن ما يهم
موضوع بحثنا، الموضوع الأخير رقم ٢٦: فصل

التراث والثقافة في برلين) (٢٣)، لكن تم التعرف عليها ودراستها بالتفصيل فقط من عقود حديثة فلاحقاً، والبعض منها يحتوي أعمالاً فريدة متعلقة بهذا الحقل من الدراسات.

مما تقدم يبدو أن لرجال الدين المسيحيين، من الكهنة والرهبان، إسهامات عديدة في خدمة اللغة الكوردية: حرفاً ونحواً ومعجماً، ولكن لم يتسن -مع الأسف الشديد- الاطلاع عليها، نظراً لأنها مكتوبة في مخطوطات يتعذر الاطلاع عليها، ومدونة بالأبجدية السريانية، التي لا يستطيع الباحثون الكورد الاطلاع عليها وقرائتها، لعدم إلمامهم بهذه اللغة، التي كان لها دور لا يستهان به فيما مضى في العصور القديمة، وإلى حد ما في العصور الإسلامية □

المصادر و المراجع و الهوامش:

- ١- الكاهن: وهو خادم دين، وفي اصطلاح (الكتاب المقدس) الشخص المختص لتقديم الذبائح. وطبقة الكاهن ورتبته من (كهنوثا)، كهنوت أي قدس قداسة، ومنها جاءت كلمة قس من القدس أي من القداسة، ولكن دغمت الدال فاصبحت الكلمة قس، وهو الكاهن. انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ٧٩١ "داود الجليبي، الآثار الآرامية في لغة الموصل العامية، الموصل، مطبعة النجم الكلدانية سنة ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م، ص ٧٨.
- ٢- تاريخ كلدو وآثور، بيروت، ١٩١٣، ج ٢، ص ١٢٠.
- ٣- تاريخ الأدب السرياني، ترجمة: الأب لويس قصاب، الموصل، ص ١٦٨.
- ٤- مروج الذهب ومعادن الجوهر، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٣م، ج ٢، ص ١٠٤.
- ٥- ماركو بولو: رحالة إيطالي ولد سنة ١٢٥٤م في مدينة فينيسيا (البندقية)، ذهب إلى (الصين) في رحلة تجارية، استغرقت رحلته حوالي ٢٠ عاماً، توفي

الكوردية (الكرشوني).

٢- مديحة بالكوردية الكرشونية عن الحسد والحبة والمال، وقرب مجيء المسيح.

٣- مدراش (= مرثية) على موت ابنه (انطوان) في قرية (كانيفلا) (= غرب ناحية مريبا) في التاسع من آب ١٨٦٥م مسيحية (ميلادية) (٢١).

كما يجب أن لا ننسى إسهامات الراهب (إرميا جبرائيل شامير) (جرمياس شامير) الذي ولد في قرية (عينكاوة) عام ١٨٢١م، ودخل سلك الرهبنة في دير (الريان هرمزد) في (ألقوش)، في ٢٣ حزيران ١٨٥٩م، ثم تركها وعاد إليها، ثم تركها نهائياً، وعمل في (الموصل) مع المستشرق الألماني (أدوارد زاخاو)، المتوفى سنة ١٩٣٠م، وترك الكشلكة، واعتنق البروتستانتية، وبعد عمر مديد في تجارة المخطوطات، توفي في مدينة (الموصل) عام ١٩٠٤م، حيث ترك لنا عدة مؤلفات باللغات العربية والسريانية والكوردية (٢٢).

وما يهم موضوع بحثنا، فقد كتب (شامير) في سنة ١٨٨٣م معجماً باللغات الثلاثة: سورت (= سرياني محكي) - عربي - كوردي. وقد قام الباحث الإيطالي (بيتا كويني) بنشر قسم من هذه المخطوطة في (روما) سنة ١٩٧٦م.

كما أن لـ(شامير) معجم إنكليزي - سورت - كوردي باللهجة العينكاوية، كتبه وأكمله سنة ١٨٨٢-١٨٨٣م. وقد قام (مارك ليوزبارسكي) بترجمتها ونشرها، ويذكر الباحث المسيحي (عزيز نباتي) أن لـ(شامير) مخطوطات باللغة الكوردية (٢٣) أيضاً، محفوظة في Staatsbibliothek zu Berlin-Preußischer Kulturbesitz (مؤسسة

- سنة ١٣٢٤م.
- ٦- وليم مارتسدن: رحلات ماركوبولو، ترجمة: عبدالعزيز جاويد، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م، ص ٣٧.
- ٧- أرادن: قرية كردية تقع على سفح جبل (متين)، على علو ١١٤٠م فوق مستوى سطح البحر، تحيط بها بساتين مثمرة، وتسقيها مياه عيون صافية وعذبة. كانت مركز أبرشية بهدينان (١٩١٠-١٩٤٧م) ثم نقل كرسيها الكهنوتي إلى العمادية. أشهر مزاراتها هو مزار سلطان مهدوخت الشهير، يقع على بعد ٤ كم من القرية، ويتكون من صحنين حجريين طول كل منها ٢٤م، ويعتقد أن البناء يرجع إلى القرن الرابع الميلادي. وفي سنة ١٩٠٨م انشأت في أرادن (رهينة قلب يشوع الأقدس) بجهد القس عبدالأحد ريس.
- ٨- أسامة النقشبندي: مخطوطة أرادن، الموصل، مجلة بين النهرين، العدد الثالث عشر، ١٩٧٦م، ص ٦٩.
- ٩- الريان هرمزد: ولد الريان هرمزد في بيت لاباط (= شيراز الحالية) من إقليم فارس، من أبوين مسيحين، وبعد أن تدرس (هرمزد) في الحياة النسكية ترك والديه قاصداً الأراضي المقدسة، وبعده مسرة ٣٧ يوماً وصل إلى مدينة (الموصل)، وفيها التقى بثلاثة رهبان من دير الريان برعيتا، الواقع شرقي قسبة كرمليس. بعدها قصد الريان (هرمزد)، مع زميله الريان (إبراهيم)، جبل ألقوش الحالي، حيث يقوم ديريه منذ ذلك الحين من (القرن السابع الميلادي). وهناك في قلب الوادي وجد الاثنان ينبوع ماء ينساب بين الصخور (عيناد دقديشا: عين القديس حالياً) فسكنا في مغارة بجواره، ولكن الريان إبراهيم لم يمكث طويلاً مع رفيقه هرمز سوى ثلاثة أيام، ثم تخلى عنه وانتقل إلى شمال شرق قرية باطناية، حيث بنى ديراً باسمه، أما الريان هرمزد فعكف على الاختلاء وإماتة الذات في هذا الوادي السحيق، وجاء العديد من التلاميذ للتسك والزهد معه، بعدها توفي الريان هرمزد ودفن
- جسده في ديريه. انظر: يوحنا جولاغ: دير الريان هرمزد، الموصل، مجلة بين النهرين، العدد الرابع، سنة ١٩٧٣م، ص ٣٩٤-٣٩٦.
- ١٠- أسامة النقشبندي، المرجع السابق، ص ٧٠.
- ١١- المرجع نفسه، ص ٧٠.
- ١٢- وهي: إنجيل متى، إنجيل مرقس، إنجيل لوقا، إنجيل يوحنا.
- ١٣- بطرس حداد وجاك إسحاق: المخطوطات السريانية والعربية في خزانة الرهبانية الكلدانية في بغداد، ١٩٨٨م، ص ٣٥٧-٣٥٨.
- ١٤- مصطفى دهقان: مخطوط سرياني كوردي من بغداد...، ترجمه عن الإنكليزية: غياث حسين، <http://www.medaratkurd.com>.
- ١٥- المرجع نفسه: <http://www.medaratkurd.com>.
- ١٦- د. فرست مرعي: بارزان وأبحاثها في المصادر السريانية، دهوك، مجلة دهوك، العدد ٣٢، تشرين الأول، ٢٠٠٦م، ص ٨٤-٨٥.
- ١٧- فهارس المخطوطات السريانية في العراق، مطبوعات الجمع العلمي العراقي، هيئة اللغة السريانية، بغداد، مطبعة الجمع العلمي العراقي ١٩٨١م - ١٤٠١هـ، ج ١، ص ٨.
- ١٨- فهارس المخطوطات السريانية في العراق، ج ١، ص ٩.
- ١٩- د. فرست مرعي: بارزان وأبحاثها في المصادر السريانية، ص ٨٥-٨٦.
- ٢٠- عزيز عبدالأحد بناني: تاريخ عينكاوة، راجعه وقدم له، الأب البير أبونا، أربيل، ٢٠٠٠م، ص ٢٣٠.
- ٢١- الأب الدكتور بهنام سوني: فهرس مخطوطات دير الآباء الدومنيكان، الموصل، منشورات المركز الثقافي الآشوري، دهوك، نيسان ٢٠٠٥م، ص ٧٤-٧٥.
- ٢٢- عزيز نباتي: تاريخ عينكاوة، ص ٢٣٤.
- ٢٣- المرجع نفسه، ص ٢٣٤.

من (العراق) إلى (فارس).. تتبع التحولات الثقافية

من خلال مخطوطة (عجائب المخلوقات) للقزويني المؤرخة في 1322م*



ترجمة: عمر جاسم محمد

مقدمة المترجم:

الفن أرقُّ من أن يختصر بكلمات، فهو يعبر عن ماهيته ذاتياً، يترك الباب موارباً لكل التفسيرات، يختبر قدرات الإنسان في فهم إنسانيته، والفن تعبير صريح عن قيمة وجودية لم يستطع أحد أن يستغلها أو يسيرها لصالح اتجاه واحد، فعقد التسيير ينفرط ما أن يطلق الفنان العنان لمخيلته، هو قوة الخيال وحقيقة الوجود.

والفن يتجاوز كل الحدود والحواجز دون أن يخدش ملامح الآخر، يمر عبر مسالك شفافة، يقتفي أثر من يتلقاه، والفن تحليق بالذات نحو فضاءات بعيدة جداً، وربما يصح أن أسميه هنا "اللحظة البريئة للشعوب".

وليس غريباً هذا على الأذهان، ألم تصف البشرية أربابها بوصف (الفنان العظيم)، والفن من ثم تعبير عن الكليات الوجودية من مخلوقات حية وجامدة، حتى الحجارة فن عظيم لا يقل قيمة عن لوحة ينجزها فنان، وكذا الرياح فنان عبقرى حين تنحت بريشة ذرات الرمال أروع اللوحات على قمم الجبال.

هذا كان أهم دافع وراء ترجمة ورقة بحثية قد تكون موجهة للقارئ الأكاديمي أكثر من القارئ العابر، لأن ارتباطها لا يتعلق - فحسب - بحقيقة أن التاريخ ليس مهنة يستطيع أي امرئ مزاولتها، لكن التاريخ يشكل موروثاً وعقائد وتداخلات وجدليات تعيش على آثارها الشعوب، وتغذي مروياتها وسردياتها الأدبية والاجتماعية، فالتاريخ خبز الشعير وكافيار الأرستقراطيين، لهذا يمكن وصف بحث كالذي بين أيديكم بأنه وسيلة لإعادة فهم تاريخ اختزل بشائبة الصراع حول النفوذ وحول أحقية كل طرف بالأرض، ثنائيات استقت كل واحدة منها سمات الأخرى.

هنا أتحدث عن الارتباط الوثيق بين بلاد فارس وبلاد الرافدين، ولست أنوي أن أسبغ طابعاً رومانسياً على تلك العلاقة، ولكن ما يطرحه (القزويني) في مخطوطته (عجائب المخلوقات) يثير العجب عن مدى التقارب بين (العراق) و(فارس)، وكيف ساهمت العيون - دون استحضار تاريخ مزيف - في ترسيخ علاقة بين فئة من العلماء، يدور فكر الصراع كله حولها. و(فارس) ذاتها ساهمت في رfid الإسلام والمسلمين بأسلوب فن تمازج مع رؤية العرب التي تهيم في ملكوت السماوات، ولا يصح هنا أن نعطي الميزة لأحد دون آخر، فالحضارات تنشأ فقط حين تمتزج في روحها الثقافات، وروح الحضارة هو الامتزاج.

في هذه الورقة البحثية محاولات جديدة لفهم التاريخ عبر الفن، فن المخطوطات المصورة الذي أبدع فيه (القزويني)، ولم تكن المعلومات التي أوردتها في مخطوطته عن المخلوقات لتكتفي بذلك، بل تعداها ليكتب لنا، ونحن نقرأ في هذا العالم اليوم، عالم الأحادية الفكرية، صوراً رائعة تخاطب الجمال في أرواحنا بصوفية مرحة وموسيقى عذبة.

كما تقدم هذه الورقة مخطوطة (مغمورة) - لكنها مثيرة - محفوظة في مكتبة السليمانية في (اسطنبول) (١)، مؤرخة في ٧٢٢هـ/١٣٢٢م، وهي مخطوطة عربية مصورة: (عجائب المخلوقات، وغرائب الموجودات) للقاضي والعالم الفارسي (أبو عبد الله بن زكريا بن محمد بن محمود القزويني) (٢).

منها ١٢ ورقة، وتحتوي على ٤٦٢ لوحة، مرسومة بالأسلوب الذي كان سائداً في المنطقة الجنوبية من بلاد فارس في ظل حكم الإنجليز** التابعين للمغول الإيلخانيين (١٣٢٥-١٣٥٣)، وكانت المخطوطات الملحقة برسومات سمة من سمات تلك الحقبة والمنطقة (٣).

ما تشيره هذه المخطوطة ليس فقط باعتبارها مبكرة، بل، الحقيقة إن أهميتها

تألف المخطوطة من ١٨١ ورقة، فقدت

النمط، إلا أن هناك اهتمامات جديدة ظهرت في المخطوطات، وتظهر بشكل جلي في المخطوطات المكتوبة بالفارسية، التي تحكي التاريخ والملاحم، وهي موجهة للنخبة السياسية، وبشكل خاص البلاط المغولي، ومع هذا التحول النصي، يظهر أيضاً التحول السوري.

لذلك، فإن تأثير الغزو على المخطوطات يتضح من مجموعة عينات تتراوح بين اللغة، الموضوع، الجمهور، نوع اللوحة، ويشار إلى القيمة المعرفية لها في التحول، ضمن حدود تاريخ فن المخطوطات الإسلامية المصورة، بأنه متلائم مع حقيقة أن الغزو المغولي يعتبر (اللحظة التاريخية) التي صادفت الانقسام بين نوعين الكلاسيكيات القديمة لهذا المجال: كما وضحها كل من (Richard Ettinghausen) في كتابه (Arab Painting)، الذي يتبع المخطوطات بعد غزو بغداد، و (Basil Gray) في كتابه (Persian Painting)، الذي يبدأ مع الرسم في (إيران)، تحت حكم المغول (٤).

بينما كان مستوى المخطوطات المصورة ما بعد المغول، يعرف بالإحالة إلى المخطوطات التبريزية، فإنه من الثابت أيضاً أن هناك مراكز مهمة لصناعة المخطوطات المصورة في (العراق)، وفي المنطقة الجنوبية لـ (فارس) (٥). والمخطوطات، في كلا المنطقتين، كانت تختلف تماماً عن تلك التي انتجت في (تبريز)

القصوى تكمن في الأسلوب الفني الذي يشكل صفحاتها، والذي نشأ في المناطق المتداخلة بين (العراق) و(فارس)، ما يشير إلى وجود ارتباط وثيق، خلاف الفهم المعاصر للصراع العربي - الفارسي.

وهذا يثير تساؤلات مهمة حول جمهور نمط الكتب المصورة، المسمى (الإننجو) بشكل خاص، وعن الجغرافية الاجتماعية لفنون الكتب في إيران و(العراق)، في هذه الفترة بشكل عام، لذا فإن المخطوطة تتيح إمكانية تتبع التحولات الثقافية العميقة التي حدثت في الشرق الإسلامي، في القرن ما بعد الغزو المغولي لـ (بغداد) عام ١٢٥٨.

إن التأسيس العلمي لمعرفة التأثيرات التي أحدثها المغول على التاريخ، على مجمل تاريخ المخطوطات الإسلامية، يستند إلى المقارنة بين المخطوطات، وأثرها في الحياة الثقافية قبل الفتح المغولي لـ (بغداد)، مع المخطوطات التي نشأت في فترة حكم المغول الإيلخانيين، وغزوهم لـ (تبريز).

في مرحلة ما قبل الفتح، كانت معظم المخطوطات المصورة مكتوبة باللغة العربية، تهتم غالباً بدراسة الطبيعة، وهي موجهة للنخبة الثقافية وليس السياسية. واللوحات في هذه المخطوطات - غالباً - هي رسوم توضيحية، ومصنفات للكائنات، لإكمال التصور عن النص المكتوب.

أما بعد الفتح، فمع استمرار ذات

الإيلخانية(٨).

القيمة الحقيقية لمخطوطة (القزويني)، التي نشأت في العصر الإنجوي، تبرز سؤالاً مهماً إلى الذهن: ما هو الأثر الفعلي للغزو المغولي على نمط المخطوطات الإسلامية المصورة؟.. في السطور القادمة سأبين الإجابة على هذا السؤال، وسأحاول العودة إلى جذور ومصادر المخطوطات الإنجوية، عبر تتبع سلسلة التطور في إنتاجها، آخذاً بنظر الاعتبار أهمية تاريخ ١٣٢٢، الذي أرخ به (القزويني) مخطوطته. وحتى نصل إلى أصول تلك المخطوطات، لعل من المفيد أن نقترح ثلاثة استنتاجات: الأول: لا ينبغي النظر إلى المخطوطات الإنجوية فقط عبر أصولها الإيلخانية، بل أيضاً من خلال المخطوطات المصورة العربية، التي نشأت وازدهرت في (العراق). ثانياً: إن الروابط بين إنتاج المخطوطات الإيلخانية في (العراق)، وبين تلك التي نشأت في عهد الإنجويين في (فارس)، في القرن الثاني عشر، تعطينا تلميحاً قوياً أن جمهور هذه المخطوطات قد لا يكون النخبة الحاكمة، بل ربما يكون الجمهور هو فئة العلماء التابعين للنخبة الحاكمة. الثالث: إن مخطوطة القرن الثاني عشر ١٣٢٢ تعد بمثابة جسور بصرية ولغوية وفكرية، ومقاربات اجتماعية، نستطيع بموجبها تحديد التحولات في فنون الكتاب ما قبل وما بعد الغزو المغولي.

الإيلخانية، وفي كلتا الحالتين، قد يكون هذا تفسيراً لحقيقة أنه على الرغم من أن كلتا المنطقتين كانتا رسمياً ضمن النطاق الإيلخاني، إلا أن السلطة الإيلخانية لم تؤسس لها بلاطاً في أي من تلك المناطق (العراق)، جنوب (فارس) (٦)، بل كان (العراق) رسمياً مقاطعة إيلخانية، وبالتالي فإنه يدار ضمن الإدارة المحلية الخاصة به، في حين كانت (فارس) تدار بشكل غير مباشر من قبل الأسرة الإنجوية، التابعة للسلطة الإيلخانية.

على الرغم من هذا التشابه، فإن التواصل بين علماء (العراق) و(فارس)، كان يختلف تماماً حين يتعلق الأمر بتمركزهم حول التأثير المغولي الشامل على إنتاج المخطوطات وسماتها. فد(العراق) من ناحية، يعتبر مركز التحول، ومن بين المخطوطات المنتجة هناك، وجد العلماء نماذج كان من شأنها أن تنهي الفراغ وبناء جسور التواصل لمرحلة علماء ما قبل الفتح العلمي العربي، وما بعد الغزو الفارسي، في مخطوطات الملاحم والتاريخ(٧). أما (فارس)، من ناحية أخرى، فقد نُظر إليها على أنها نقطة تماس مهمة في تاريخ المخطوطات المصورة الإسلامية، فما أنتجته (فارس) من مخطوطات مصورة لم يتم النظر إليه على أنه اتصال مباشر مع سياق المخطوطات العربية ما قبل المغول، أو مرحلة ما بعد السياق الفارسي في الرسم، لأنها تطورت بعد انهيار الإمبراطورية

التي دون فيها، يمكن قراءة أن الكاتب نفسه كان قد نسخ مخطوطة أخرى لـ (القزويني) بتاريخ ١٣٢٩، ومخطوطات أخرى، وأهمها مخطوطة (آثار البلاد) للقزويني، الموجودة الآن في (المتحف البريطاني). وقد أرجع الباحث (Elaine Wright) مخطوطة لندن إلى الإنجو - فارس، استناداً إلى المصورات التي تحتويها. والحقيقة إن الناسخ نفسه عمل على المخطوطتين كليهما، وهذا يقدم مؤشرات قوية على أن مخطوطة ١٣٢٢ للقزويني، من المرجح أن تكون انجوية، ونمط اللوحات يؤكد أن مصدرها من النسق

الإنجوي (١١)، كما أن اللوحة المواجهة لعنوان الكتاب، رغم وجود ألوان كثيرة عليها، إلا أنها تشير بوضوح إلى أصولها الإنجوية، مقارنة مع المخطوطات الأخرى التابعة لذات النسق (انظر الشكل ٢) (١٢). فضلاً عن ذلك، فإن الكثير من الرسومات التوضيحية في مخطوطة القزويني، المؤرخة بـ ١٣٢٢، تحتوي على خلفيات، فيها إشارات لارتباطها بنمط اللوحات الإنجوية. (فيها إشارات تدل على ارتباطها)، وهذه الخلفيات الغامقة هي سمة مميزة، لكنها ليس مقتصره على اللوحات الإنجوية في تلك الفترة. وجدير بالذكر أن اللوحات في مخطوطة القزويني، المؤرخة بـ ١٣٢٢،



Fig. A. Raksh slays the lion. Firdausi, *Shahnamā*. Shiraz, 731 (1330-31). Istanbul, Topkapı Palace Museum Library, H. 1479, fol. 30v. (Courtesy of the Topkapı Palace Museum).

هكذا يمكن القول إن المخطوطات المصورة تقدم وجهة نظر جلية عن التطور الذي حصل في إقليم (فارس)، ما جعله مركزاً لنقل التأثيرات إلى (العراق). الأسباب الكامنة وراء إسناد أصل المخطوطة للنمط الإنجو - فارسي، قائم من جوهر المخطوطة ومظهرها، لأن المخطوطات الإنجوية غالبها كانت باللغة الفارسية (٩)، في حين أن مخطوطة (المقريزي) باللغة العربية، ولا تعطي معلومات النسق مكان إنتاج المخطوطة، لكننا نجد فيها أنتجه بتاريخ ٧٢٢ هـ / ١٣٢٢ م، الناسخ (محمد بن مسعود بن محمد بن محمد بن محمود الهمداني) (الشكل ١) (١٠). ورغم الأضرار التي لحقت بالورقة

الموجودة في المكتبة السليمانية، تتشارك في نفس العناصر (مثل: سيقان النباتات). (حول تفاصيل اللوحات في تلك المخطوطات الإنجوية الأخرى، المؤرخة بـ ١٣٣٠-١٣٣١، انظر الشكل ١ و ٣ و A) (١٣). والأكثر لفتاً للنظر، رسم طائر العنقاء في مخطوطة القزويني، المؤرخة بـ ١٣٢٢، في المكتبة السليمانية، يشبه طائر السيمرغ (الأسطوري)، الموجود في المخطوطات الإنجوية الأخرى (انظر الشكلين ٤ و B). وهنا يمكننا الاستنتاج بما أن العنقاء والسيمرغ كلاهما يمتلكان قدرة حمل البشر والطيران بهم، فيمكن القول إن عملية التصوير استندت إلى ذات الفكرة، أي وجود تماثل في التخيل، مع إرجاع ذلك إلى أصل واحد بين الإقليمين: (العراق) و(فارس). ولاحظ كل من Marie Lukens و Stefano Swietochowski و Carboni أن تطور التصور الإنجوي حول طائر السيمرغ، لم يكن مستمراً على طول تاريخ الرسم الفارسي (١٤).

يتشكل مظهر السيمرغ على هيئة طائرة طويلة أنيق ورشيق، ويستمد هذا المظهر من طائر الفينيق الصيني (Fenghuang)، وأقرب وقت لظهوره في اللوحات الفارسية بتاريخ ١٣٠٠. على خلاف مظهر العنقاء والسيمرغ الإنجوي، الذي يبدو بجسد محصر، وضخم نوعاً ما، مثل البوم متعدد الألوان

المضخم (١٥). ولا تحتوي المخطوطة على إهداء، رغم أن اثنين من النقوش في صفحة الغلاف الداخلي تحدد مالكين محددتين، لكن يبدو أنها لا تتعلق بمرحلة إنتاج المخطوطة، وليس لها علاقة بالتاريخ المبكر للمخطوطة. مع ذلك، فإن عملية التثاقف في النصوص والمصورات، التي أدت إلى إنتاج هذه المخطوطة، واضحة على غير العادة، وهذا مفيد من ناحية أن إنتاج المخطوطات - على خلاف هذا العصر الذي نعيشه، والذي يسهل إنتاج وتنسيق الكتب المطبوعة والرقمية - فإن مخطوطات تلك المرحلة تتطلب الاتصال البشري المباشر، لترتيب وصول نماذج كثيرة للمخطوطة، من أجل ظهورها بشكل أكثر دقة. وبالتالي، فإن النظر بعناية إلى عمليات التثاقف، التي أدت إلى إنتاج مخطوطة القزويني، المؤرخة بـ ١٣٢٢، تقدم لنا بعض التلميحات الهامة المتعلقة بالوسط الاجتماعي الأصلي (١٦).

يمكن القول هنا، إن عملية التثاقف هذه تبدأ بالنظر إلى المخطوطة المؤرخة الوحيدة المتبقية التي اكتملت في حياة المؤلف، والموجودة في (ميونخ)، كان قد أكملها (القزويني) بتاريخ ١٢٨٠، وقد أغفلت هذه الحقيقة في مقال إعادة كتابة سيرة (القزويني)، في دائرة المعارف الإسلامية Encyclopedia of Islam، مما يوحي بأن (القزويني) كان قد ترك (واسط)، وترك



Fig. B. Sām sees Zāl with the Simurgh. Firdausi, *Shāhnāma*. Shiraz, 742 (1341). Dispersed. LNS 36 MS. The al-Sabah Collection, Dar al-Athar al-Islamiyyah, Kuwait National Museum. Recto (Courtesy of the Dar al-Athar al-Islamiyyah).

منصبه كقاض، بعد اجتياح المغول لـ(بغداد)، ودرهم العباسيين عام ١٢٥٨ (١٧).

على أن هناك دراسات نشرت مؤخراً، تستند إلى الإشارات المتناثرة في (آثار البلاد) للقزويني، وجزئياً على مصادر أخرى،

مثل: (الحوادث الجامعة) لـ(ابن

أكثرها أهمية، هو ظهور اسمه ولقبه على الورقة الأولى الملونة، بجانب أسماء المهدي لهم، والمهدي، وغيرهم من مالكي المخطوطة الآخرين، والتي عادة ما تكتب بعد الانتهاء من نسخ المخطوطة في المرة الأولى، ومكتوب على الورقة الأولى (أ)، مقابل خلفية مرسوم عليها سعف نخيل: زكريا بن محمد بن محمود القزويني الكموني: قاضي واسط (العراق) وأعمالها (٢٠).

تمنحنا مخطوطة واسط ١٢٨٠ وصفاً دقيقاً ومعقولاً للسياق الاجتماعي للمخطوطة، فقد كانت هذه المخطوطة تقرأ من قبل القزويني وطلابه، وليس من النخبة

(القوطي)، تشير إلى أن (القزويني) بقي في (واسط) حتى عام ١٢٨٠، كما أشارت Syrinx von Hees (١٨). إضافة إلى أنه كان لا يزال قاضياً هناك، وكان أيضاً أستاذاً في مدرسة الشرايبي الشافعي في (واسط). وتجادل (فون هيس) بأن مخطوطة ١٢٨٠ كانت على الأرجح هي نسخة التدريس الخاصة بـ(القزويني) (النسخة الشخصية). ويجدر القول هنا أن توصلها لهذا الاستنتاج جاء بعد تركيزها المبالغ على حقيقة أن (القزويني)، في هذه الفترة، كان يشار إليه باسم (مولانا)، أي: المعلم. كما أن أدلة أخرى تشير إلى نفس الاستنتاج (١٩)، ولعل

التخطيط، ومساحات الصورة المتداخلة مع النص، متطابقة. توضح مخطوطة ١٣٢٢ منشأ وأصل جذاذة (غوتا)، إذ أن اثنتين من المخطوطات تشتركان بعدد من الصور، التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً، وتشير إلى أصل واحد (الشكلان ٥ و ٦). وتعزو (كارين روردانز) جذاذة (غوتا) إلى (شيراز) الانجوية، في عام ١٣٤٠، رغم أن (ستيفانو كاريني) كان قد علق في وقت لاحق: أنه يشعر ربما تكون الجذاذة أقرب إلى مخطوطة واسط ١٢٨٠ (١٤)، وربما أقدم، وقد ألحق إسنادها هذا ما ورد في فهرس غوتا للمخطوطات الشرقية. وتوضح مخطوطة ١٣٢٢ أن كلاً من (روردانز) و (كاربوني) على حق، فالأولى محقة بمكان المخطوطة، والثانية بتاريخها.

ونستطيع الآن أن نلخص العلاقة بين المخطوطات الثلاثة، أولاً: إن نسق جذاذة (غوتا) يعود إلى مخطوطة (واسط) ١٢٨٠، رغم أن النسق في مخطوطة ١٣٢٢ يختلف عن كليهما، والكثير من صور المخطوطة متقاربة جداً لتلك الموجودة في جذاذة (غوتا)، ما يجعل المقارنة المباشرة ممكنة جداً. وبالتالي، فإن مخطوطة واسط ١٢٨٠ اعتبرت المرجع الأساسي لنسّاخ جذاذة غوتا، التي أصبحت بدورها مرجعاً لنسّاخ مخطوطة ١٣٢٢. وبالضرورة فإن جذاذة غوتا هي المخطوطة الثانية في عملية الشاقف، لأن

السياسية، أو رجال الحكم وأمراء القصر. فالقزويني نفسه كان قاضياً وأستاذاً في مدرسة الشرايبي، وهو عضو في النخبة المثقفة، ومرتبطة مؤسسياً بالبيروقراطية الدينية والتعليمية في (واسط) (٢١).

ورغم أن (واسط) قد شهدت أوج تطورها في مجال المعرفة في العصر الأموي، إلا أنها بقيت لوقت طويل ذات أهمية كبيرة، وتكاد (بغداد) لا تذكر مقارنة بـ(واسط)، كان اقتصادها يجعلها شبيهة بـ(شيراز) في تلك الفترة، وكانت دوماً محط أنظار العلماء من جميع أنحاء العالم الإسلامي (٢٢).

وباعتباره قاضياً وأستاذاً، فقد كان (القزويني) من أبرز المثقفين في المدينة، وأكثرهم شهرة، وربما من المعقول أن نفترض أن كثرة العلماء في المدينة، وازدياد معدلات وفودهم إليها، ربما قد دفعته لتركها (٢٣).

ومن بين من رأوا مخطوطة واسط ١٢٨٠، كانوا نساخاً لجذاذات عربية للمخطوطة (عجائب المخلوقات) للقزويني، والموجودة الآن في مدينة (غوتا) الألمانية. وقد عثر على هذه الجذاذة، وهي غير واضحة نوعاً ما، ولكن يلاحظ (كاربوني)، أن هذه الجذاذة قد نسخت استناداً إلى مخطوطة (القزويني)، التي تحدثنا عنها قبل قليل، أي مخطوطة (واسط) ١٢٨٠، والموجودة الآن في (ميونخ) (٢٤). رغم وجود اختلافات جذرية في نمط التصوير، إلا أن مقياس

البيروقراطية المحلية، والدينية بشكل أساس، فقد كانوا يفتحون الآفاق للإنجو مع السكان المحليين، من أجل تجنيدهم لصالح الإنجو، ويسط سلطتهم، وفرض الطاعة للأسرة. وقد كانت هذه الطبقة الدينية في (فارس)، مماثلة لتلك التي انتمى إليها (القزويني) في (العراق) (٢٧).

لذا، يمكن للمرء أن يتخيل بسهولة عدداً من السيناريوهات الممكنة، التي أدت إلى إنتاج جذاذة (غوتة)، بعد جيل من إنتاج مخطوطة (ميونخ). والأطراف الفاعلة، من حيث المبدأ، في جميع هذه السيناريوهات، ستكون "فئة العلماء والفئة البيروقراطية في (العراق)، ونفس الفئة في (فارس)، وأعضاء الأسرة الإنجوية، الذين يعتمدون على تلك الفئة، فمن المحتمل جداً أن علماء كلا المنطقتين (فارس) و(العراق) كانوا يزورون بعضهم، سعيًا وراء المعرفة، وتدارس الكتب، المتوفرة في مكان دون آخر، ونشر كتبهم الخاصة، وجلبها معهم في ترحالهم، لنقلها من مناطقهم لتلك المناطق" (٢٨).

فمن السهل أن نتصور أن عالماً من (فارس)، أو (العراق)، قد درّس مخطوطة ١٢٨٠ مع أحد مواليه، بعد عقود من وفاة (القزويني)، ومن ثم جلب نسخة من نصه، الذي كان يتدارسه، إلى (فارس). وهذا ما يتضح لاحقاً، فإذا كان مالكها الأول عالماً / بيروقراطياً، فقد تكون المخطوطة، أو لا

نسقتها استند إلى مخطوطة قد انتجت في وقت سابق من مخطوطة ١٣٢٢. ورغم عدم العثور على أية مخطوطة مصورة إنجوية مؤرخة بما قبل ١٣٣٠، إلا أنه من المعروف أن مجلدات مصورة قد أنتجت في (فارس)، تحت الحكم الإنجوي، في بواكير ١٣٠٨ (٢٥).

من غير الدقيق أن نشير إلى الأسرة الإنجوية، باعتبارها سلطة حاکمة مستقلة لها بلاط، قبل تاريخ ١٣٢٢. فقد كان سادتهم الإيلخانيون هم من أرسل الأسرة الإنجوية لإدارة ولايات (إنجو) في (فارس) عام ١٣٠٣، ولم يبدأوا بيسط نفوذهم واستقلالهم وإبراز مظاهر هذا الاستقلال بتأسيس بلاط حكم حتى منتصف عام ١٣٢٠، ثم اتجهوا للاستقلال الكامل في عام ١٣٣٠، واستقلالاً ناجزاً في ١٣٤٠ (٢٦).

كان النمط المعتاد في هذه الفترة، أن الأسر التي نشأت وتأسست بعد الغزو، عملت بشكل مباشر مع البيروقراطية الدينية المحلية، التي كانت تلعب أدواراً رئيسة مسيطرة فعلياً قبل الغزو. وفي بداية تعيين الأسرة الإنجوية لإدارة المقاطعات، ضمن السلطة الإيلخانية، كان موقفهم السياسي ضعيفاً مقارنة بالعلماء (البيروقراطية الدينية) المحليين، والذين بدورهم لعبوا دوراً جوهرياً في إدارة المقاطعات.

لم يكن لأسرة الإنجو أن تدير مقاطعات الإيلخان، دون العمل مباشرة مع

فقد اكتشفت أن هناك آثار ضمنية للتكرار التركيبي في كلا التصور الإنجوي وتصور القزويني حول نشأة الكون.

قادت عملية الشاقف بين (العراق) و(فارس)، (القزويني) لانتاج مخطوطته المؤرخة بـ ١٣٢٢، كما يتضح جلياً من وجود علاقات اجتماعية، انطوت على تسلسل هرمي للشاقف فيما بين المنظور الإنجوي ومنظور القزويني حول نشأة الكون. ومن ثم تحدد المراحل اللاحقة على انتاج المخطوطة الإنجوية، معالم الدوائر الاجتماعية التي كانت تهتم بقراءة مخطوطة القزويني ١٣٢٢، أي تحديد الجمهور الفعلي لتلقي ذلك النمط من المخطوطات.

كان اكتشاف هذا التعامل، من قبل جمهور قراء نمط (القزويني)، متأخراً بعض الشيء، فقد جرى بين عالين فكريين وفنيين مختلفين جداً، هيمنت عليها نصوص مختلفة، ارتبطت طبيعة إنتاج المخطوطات فيها بالتقاليد السائدة في المنطقة. لكن نص (القزويني) أوجد صدى كبيراً داخل هذا الفضاء المتباعد، فانعكس ذلك في رسومه التوضيحية لمخطوطته المؤرخة ١٣٢٢. كان أحد العوامل، كما أشرت من قبل في مخطوطة واسط ١٢٨٠، قد نشأ فكرياً، وتطورت بيروقراطيته الدينية المحلية قبل الغزو المغولي، واستمرت لتعلب دوراً هاماً في أعقاب الغزو. أما الطرف الآخر، فكان قد نشأ في مرحلة

تكون، قد مرت إلى ملكية شخص يحسب على البلاط الإنجوي، والذي يعتمد اعتماداً كبيراً على تلك الفئة، في ذلك الوقت. وبالنظر إلى أن الأسرة الإنجوية لم تنشأ كبلاط مستقل في الحكم، في ذلك الوقت، فلا يمكن عزل ارتباطها عن طبقة العلماء / البيروقراطيين المحليين بأي حال، فإن التمييز بين الطبقتين يكون محدوداً جداً (٢٩).

والقصد من هذا، أنه من المنطقي أن نفكر أن القراء الأصليين لجداذة (غوتة)، كانوا مرتبطين بالفئة العلمية / البيروقراطية، أكثر من مجرد حصرهم بالارتباط مع الاتصال المفترض بالأسرة الإنجوية.

وكما أشرنا سابقاً، كان جزء من جداذة (غوتة) نموذجاً واضحاً لمخطوطة (السليمانية)، والمقارنة بين مخطوطتين لا تزالان موجودتين، تعتبر مفيدة جداً، وتكشف عن وجود عدة مجموعات من اللوحات، المتماثلة من حيث التراكيب البنيوية، ما يعتبر دفعاً مباشراً لوضعها في موقف المقارنة. إلا أن هناك تمايز بين معظم الرسوم التوضيحية، والتي تختلف بشكل ملحوظ عموماً بين المخطوطتين، والتي تتبع النمط الذي أشارت إليه Ada Adamova حول مخطوطات القرنين الرابع عشر والخامس عشر، إذ أظهرت - براعة - أن تكرار التراكيب الصورية يمكن اعتباره مثل التناص في الشعر، ومع ذلك،

مصدرين: الفلاسفة ما قبل الإسلام، والتفسير الإسلامي لنشأة الكون. وبالتالي فإن (القزويني) قد أشار إلى الله باعتباره (المفيض) (مصدر الانبثاق) في مقدمته ٣١. ومن هذا التأثير الكبير لـ (ابن سينا) على (القزويني)، فقد وصل به الأمر إلى الاعتقاد، بشكل واسع، بأن جميع المخلوقات قد انبثقت من الله، وأن العالم يجيء صدوراً عن الله، في صورة فيض، فمرتببة فيفيض عن مرتبة، وهكذا حتى تصل إلى أدنى المراتب. وهذه هي الخلفية الفكرية الواسعة، التي تفسر: لماذا اعتمد (القزويني) في رسمه لنشأة الكون - مثله مثل الدراسات الإسلامية في القرون الوسطى عن الطبيعة - خلق عالم سماوي يسبق عجائب المخلوقات للعالم الدنيوي، والسلالات المختلطة تتعدى تصنيفات الخلق التي تظهر في النهاية.

وهذا يرتبط بشكل وثيق مع النصوص العربية، التي درست طبيعة الكون، إذ كان تقليداً معروفاً في المخطوطات العربية، التي كانت في أغلب الأحيان تصور أن خلق الأشياء الفردية قد جرى بمعزل عن خلق بقية ما جرى على الأرض. والصور في مخطوطة (واسط) تتفق عموماً مع هذا النوع من التصوير، حتى حين يتم اختيار إمكانات أسلوبية جديدة في تصوير الموضوعات، مثل حركات الحيوانات (fig C).

الإنجو، في صعود العالم السياسي، وارتفاع البلاط التركي - المغولي، الذي مارس السلطة في أوائل القرن الرابع عشر، كالإيلخانيين، ومرحلة منتصف ١٣٢٠، حيث بدأ الإنجويين ببسط نفوذهم.

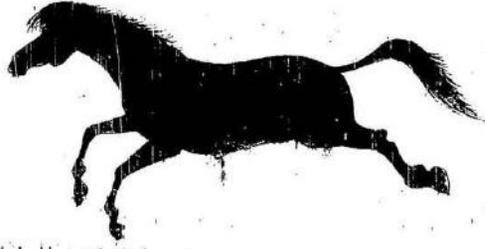
ومخطوطة (واسط) ذاتها، تشكل دليلاً مهماً، بشأن ماهية ونوع النصوص، التي كان يفضل جمهور المثقفين من البيروقراطية الدينية الخلية، قراءتها. ومن الواضح أن الاهتمامات الفكرية لم تكن تقتصر على دراسة الفقه الإسلامي، والذي كان صلب المناهج الدراسية في المدارس الإسلامية، في القرون الوسطى، بل كان هناك شخصيات كثيرة - كما توضح مخطوطة واسط - فالقزويني كان عالماً وقاضياً وفقهياً، لكنه في الوقت نفسه كان مهتماً بدراسة الطبيعة.

إن دراسة الطبيعة، حسب النمط الإسلامي، جاءت تحديداً مما تناقله المفكرون حول نشأة الكون، المستقاة من تعاليم (ابن سينا). ووفقاً لهذا النمط - فكر (ابن سينا) - الذي تأثر كثيراً، وبشكل واضح، بالأفلاطونية المحدثة (الإسلامية)، لم يكن هناك تناقض بين الخلق، كما ورد في (القرآن)، وبين ما جاء به الفلاسفة قبل الإسلام، بأن الطبيعة انبثقت من مصدر واحد. هذا من جهة، إذ ساوى - ابن سينا - في هذه النظرية - الأفلاطونية المحدثة - بين

إن بقية اللوحات في مخطوطة ١٣٢٢، تعطي أيضاً إشارة واضحة على وجود تركيز بصري على الإطارات الكوزموجرافية (نشأة الكون)، أكثر من النص نفسه، ولكن بطريقة جديدة. فالخلفيات للرسوم التوضيحية، تؤكد وجود ترتيب خلق به الكون، ووضعت هذه اللوحات بإطار من النصوص. وتظهر عجائب المخلوقات في

السموات على خلفية زرقاء عميقة، مما يشير إلى السماء ليلاً (الشكل ٨). ويبدأ تصوير الأرض حين يزامن باستقراء البحار والجزر وسكانها، وهنا الخلفية تتحول إلى خلفية زرقاء، نمط من الأمواج الزرقاء (الشكل ٩). وعلى أية حال، فإنه عندما يصور عجائب مخلوقات الأرض، في الفصول اللاحقة، فإنه يفضل الخلفيات الحمراء والبرتقالية (المعري) السني، بدرجاته المتعددة، ويستخدم هذه الألوان باتساع في لوحاته الإنجوية (الأشكال ١، ٣، ٦). وبالتالي، يصبح جلياً أنه في هذه المخطوطة، أن ألوان الأحمر والبرتقالي والمعري يمثل لون (تراب الأرض). ويتجاوز هذا النمط فقط حين يستخدم موجات زرقاء في رسم خلفيات أجزاء من البحار، إذا تصور

بعض من بين صفاء ندرات
الروايل عدداً وذكاءً وله خصائص مجرودة وأخلاق مرصدة من ذلك حسن صورته وناسه جزيه
واعصابه وصفا لونه ودرجة عدده وحسن طاعته لنا ربه كيف مر بها اتفادت له ومن الخيل ما
نبال الجوكاني وهو فخر بلوغ على طهر بالكرة فلا تخاف الركبان يصرها بلعنها إلى الكركار
الكن بعد وطنها ومن الذين ما يعرف صاحبها فلا يكفر عن من ركوبه ومن الخيل



طالجه ال... حتى يصيرها... الطير السيف قال محمد بن المنصور الكلي...
المستعمل في العدمه تارة من الحجاب

Fig. C. The Horse. Qazwini, *Ajā'ib al-makhlūqāt wa-gharā'ib al-mawjūdāt*. Wasit, 679 (1280). Munich, Bayerische Staatsbibliothek, Cod.arab.464, fol. 169r (Courtesy of the Bayerische Staatsbibliothek).

فكل نوع محدد يظهر بمعزل عن الآخر، وقد كانت هذه - على سبيل المثال - أيضاً سمة تصوير النباتات في مخطوطات ديسقوريدوس، في القرن الثالث عشر. وفي مخطوطة ١٣٢٢ للقزويني كانت الصور، في فصول دراسة الأشجار والنباتات، تتبع هذا النوع التركيبي أيضاً من التصوير (أنظر الشكل ٧). فتركيبة الأنواع الفردية مقابل الأنواع الأرضية، تشير بوضوح إلى وجود وعي واضح لموقف النص داخل جسم أوسع من النصوص العربية، التي عنيت بدراسة الطبيعة، حتى عملية تظليل لحاء جذوع الأشجار في نفس الصور، تدل على وجود اهتمام بتجريب احتمالات أسلوبية جديدة، متبعة في ذلك الوقت في (تبريز).

العجب من إنشاء جزء من اليايسة عليها (الجزيرة)، كتصويره شجرة في (جزيرة الواقواق) (الشكل ١٠)، أو جزء من الأرض يمتد إلى قلب البحر، وخير مثال على ذلك البر الذي يتغلغل في البحر الفارسي. في هذه اللوحة، والتي توضح القصة المعروفة لإحضار مسافرين بؤساء، تقطعت بهم السبل، إلى جزيرة على البحر الفارسي، ووصلوا إلى بر الأمان، بعد أن حملهم (طائر الرخ) العملاق (الشكل ١١). وهنا تؤكد الخلفية الحمراء للوحة، على أهمية الأرض الجافة في الحكاية. رغم أن اللغة الخلية لـ(فارس) كانت الفارسية، إلا أن مخطوطة ١٣٢٢ تدل على أن الجمهور الأصلي كان مرتاحاً جداً في مجال اللغة مع الثقافة العربية، وكان العربية كانت لغتهم الأصلية Arabophone. في حين يقدم لنا التنظيم الهرمي الكوزموغرافي، الذي أنشأه (القزويني)، أن مخطوطته كانت في متناول فئة العلماء البيروقراطيين / الدينيين، فيتضح لنا لمن كتبت هذه الأنماط من المخطوطات أولاً، إضافة إلى أن الأسلوبية والسرد فيها، قد جذبت، في وقت لاحق، بلاط الترك - مغول. ففي الأجيال اللاحقة، ساهمت ترجمة كوزموغرافيا القزويني إلى الفارسية، في تسهيل وصولها ليد الجمهور في بلاط المغول الأتراك.

تشير الرسوم التوضيحية لمخطوطة ١٣٢٢، إلى أنه حتى طريقة تقييم وتقدير النص، من قبل قرائها غير العرب، قد جرت ضمن سياق منظور لغوي، يتبع الخطاب الفكري العربي المعني بدراسة الطبيعة. وكانوا في الوقت نفسه، قد قرأوه من منظور مختلف تماماً، فيما أصبح سائداً على نحو متزايد في البلاط الفارسي. في حين أن استخدام الخلفيات الملونة، للتأكيد على أهمية نظام الخلق، داخل النص، تشير إلى أن مخطوطة ١٣٢٢ هي النسق الفكري الذي مثله علماء أواخر القرن الثالث عشر في (واسط). وقرار الرسام التأكيد سردياً على قصص مختلفة في نص (القزويني)، يشير إلى الدرجة التي انتمى فيها بالوقت نفسه إلى النسق الثقافي الذي نشأ حديثاً، متمثلاً بالبلاط المغولي - التركي. وقد ارتبطت فئة العلماء البيروقراطيين (البيروقراطية العلمية) بالبيروقراطية الدينية، من خلال التدريب، وإدارة الأسر المغولية - التركية للقطاعات الإدارية. وإن التعامل قد جرى بين عالمين مختلفين: اجتماعياً وثقافياً، وقد قدروا مخطوطة مثل مخطوطة ١٣٢٢، لأنها قد وافقت تطلعاتهم الفكرية والفنية.

والرسوم التوضيحية توثق اهتماماً متعددًا بالسرد والأسلوب: فلوحة قصة انقاذ المسافرين من قبل الرخ، تلفت الانتباه إلى سرد يماثل نص بكلمة (حكائية)، أو (قصة). أما لوحة العضل (الجربوع: وهو حيوان ثديي صغير، من فصيلة الفأريات)، فهي تصف التنظيم الاجتماعي (التراتب) (الشكل ١٢)،

العجب من إنشاء جزء من اليايسة عليها (الجزيرة)، كتصويره شجرة في (جزيرة الواقواق) (الشكل ١٠)، أو جزء من الأرض يمتد إلى قلب البحر، وخير مثال على ذلك البر الذي يتغلغل في البحر الفارسي. في هذه اللوحة، والتي توضح القصة المعروفة لإحضار مسافرين بؤساء، تقطعت بهم السبل، إلى جزيرة على البحر الفارسي، ووصلوا إلى بر الأمان، بعد أن حملهم (طائر الرخ) العملاق (الشكل ١١). وهنا تؤكد الخلفية الحمراء للوحة، على أهمية الأرض الجافة في الحكاية. رغم أن اللغة الخلية لـ(فارس) كانت الفارسية، إلا أن مخطوطة ١٣٢٢ تدل على أن الجمهور الأصلي كان مرتاحاً جداً في مجال اللغة مع الثقافة العربية، وكان العربية كانت لغتهم الأصلية Arabophone. في حين يقدم لنا التنظيم الهرمي الكوزموغرافي، الذي أنشأه (القزويني)، أن مخطوطته كانت في متناول فئة العلماء البيروقراطيين / الدينيين، فيتضح لنا لمن كتبت هذه الأنماط من المخطوطات أولاً، إضافة إلى أن الأسلوبية والسرد فيها، قد جذبت، في وقت لاحق، بلاط الترك - مغول. ففي الأجيال اللاحقة، ساهمت ترجمة كوزموغرافيا القزويني إلى الفارسية، في تسهيل وصولها ليد الجمهور في بلاط المغول الأتراك.

تشير الرسوم التوضيحية لمخطوطة ١٣٢٢، إلى أنه حتى طريقة تقييم وتقدير

المخطوطات بما يوحي بأن جمهورها كأنه قد عمل من خلال ورشة عمل مشتركة بين عالين مختلفين، فكان (القزويني) ناجحاً جداً في مد الجسور بين هذين العالين في مخطوطة ١٣٢٢، من خلال الكوزموغرافيا. لذا فإن المخطوطة تقدم نفسها كدليل على وجود تجسد لتحول ثقافي عميق في هذه الفترة في (فارس)، فهي تشير إلى بعض الطرق التي تميز بها التحول بين ما نسميه (اللوحة العربية) و (اللوحة الفارسية)، الذي لم يكن نتيجة انقطاع، بل من خلال وجود استمرارية في الاتصال بين الإقليمين □

الهوامش:

* هذه الترجمة للأصل الذي كتب باللغة الإنكليزية:

FROM IRAQ TO FAR: TRACKING CULTURAL TRANSFORMATIONS IN THE 1322 QAZWĪNĪ 'AJĀĪB MANUSCRIPT, Persis Berlekamp

بحث مستل من كتاب:

Arab Painting: Text and Image in Illustrated Arabic Manuscripts Anna Contadini, (Handbook of Oriental Studies) BRILL, 2010

** سلالة الانجو: هي سلالة شيعية ذات أصول مغولية،

حكمت بعض المدن الفارسية، مثل: (أصفهان)، خلال القرن

الرابع عشر الميلادي، وأعضاؤها كانوا مستقلين، لكنهم

كانوا يتبعون الإيلخانيين، إلى أن انفصلوا عنهم في ١٣٥٧م

(الترجم). وللمزيد عنهم ينظر:

ENCYCLOPÆDIA IRANICA Vol. XIII, Fasc. 2, pp. 143-147

The Legacy of Genghis Khan: Courtly Art and Culture in Western Asia, 1256-1353

Jump up The Huns, Rome and the Birth of Europe, Hyun Jin Kim

Peter Jackson (1986). The Cambridge

الذي يتماثل مع سردية النص. ووفقاً لـ (القزويني) فإن (الجربوع) له رئيس، فعندما يغادرون جحورهم لجمع القوت، فإن مسؤولية رئيسهم مراقبة المحيط من أحد أعلى التلال، لتحذيرهم إذا ما اقترب حيوان مفترس، فإذا فشل في هذه المهمة، تتم الإطاحة به، واختيار بديل، كما لاحظ (القزويني). وبدل أن يرسم لوحة توضح أنواع (اليربوع)، فإنه آثر أن يرسم ثلاثة من اليربوع يتفاعلون فيما بينهم، فائتين منهم على الميمنة، يبدأون بالخروج من الجحور، في حين يظهر ثالث متربحاً على اليسار فوق تلة، يفترض أنه الرئيس، يظهر وكأنه يتشاور معهم من بعيد.

في الختام، فإن مخطوطة القزويني ١٣٢٢، تذكرنا، فضلاً عن النظر في كيف أن الحكم الإيلخاني أثر ولم يؤثر على الحياة الثقافية في مناطق مثل (العراق) و(فارس)، فمن المهم أيضاً أن ننظر إلى الآثار الجانبية للتشاقف بين ذينك الإقليمين. ففئة البيروقراطية العلمية ساهمت بإدارة تلك المناطق بعد الغزو، فليس الارتباط جغرافياً فحسب، بل كان هناك اتصال عميق قديم وجديد، مرتبط بأبعاد بصرية، لغوية، وفكرية، وفنية، وثقافية، أدته المخطوطات، وكان هذا صحيحاً جداً في (العراق) و(فارس) على حد سواء.

وتزخر الرسوم التوضيحية في

- (23) Rührdanz 1973; Carboni 1992, p. 411; Nebes 1997.
- (24) Wright, p. 12, n. 5. The attribution of the 1307–8 London Kalīla wa-Dimna to Shiraz does strike me as a plausible hypothesis. Yet, its significant stylistic differences from the recognized corpus of Inju illustrated manuscripts exclude it from the general category of Inju painting as we now understand it. Waley and Titley 1975.
- (25) EI2 sv., 'Indju'.
- (26) Adamova 1992 and 2004.
- (27) Wright 2006; Simpson 2000; Stchoukine 1936.
- (28) Munich, BSB, cod. arab. 464, fol. 1v.
- (29) For a general account of the understanding of the emanation of creation as popularized by Ibn Sīna, see 1970, pp. 21–27.
- المصادر:
1. Adamova, Ada. "Repetition of Compositions in Manuscripts: The Khamsa of Nizami in Leningrad". In *Timurid Art and Culture: Iran and Central Asia in the Fifteenth Century*, ed. Lisa Golombek and Maria Eva Subtelny, pp. 67–75, Leiden: Brill, 1992.
 2. "———The St. Petersburg Illustrated Shahnama of 733
 3. Hijra (1333 AD) and the Inju School of Painting". In *Shahnama: The Visual Language of the Persian Book of Kings*, ed. Robert Hillenbrand, pp. 51–64, Aldershot: Ashgate, 2004.
 4. Adamova, Ada and Leon Giuzal'ian. *Miniatiury Rukopisi Poëmy "Shakhname" 1333 Goda*, Leningrad: "Iskusstvo," Leningradskoe otdelenie, 1985.
 5. Badiee, Julie. "An Islamic Cosmography: The Illustrations of the Sarre Qazwini". Ph.D. diss., The University of Michigan, 1978.
- History of Iran, Volume Six: The Timurid and Safavid Periods . Arthur J. Arberert (1960). Shiraz: Persian City of Saints and Poets .
- (1) Yeni Cami 813. Berlekamp 2003, Chapter 3 and Appendix B.
 - (2) Hees 2002, pp. 19–90; Berlekamp 2006.
 - (3) Bosworth 1996, p. 266.
 - (4) Ettinghausen 1962; Gray 1961.
 - (5) For an overview of artistic production in these regions, see Carboni 2002.
 - (6) Simpson 1982.
 - (7) Adamova and Giuzal'ian 1985.
 - (8) Sims 2006; Wright 2006.
 - (9) Stchoukine 1936; Simpson 2000.
 - (10) The connections between manuscript illumination in Fars and elsewhere are better established. See, Wright 1997; Wright 2006; Carboni 2002.
 - (11) British Library Or. 3623, fol. 173r.
 - (12) Wright 1997, p. 12; Wright 2006, Figs. 34–40.
 - (13) Simpson 2006.
 - (14) Swietochowski and Carboni 1994, p. 82.
 - (15) Another manuscript, possibly Mamluk, may have been produced in his lifetime but it is undated. Carboni and Contadini 1990.
 - (16) EI2, s.v. "al-šazwīnī, Zakāriya b. Muḥammad b. Maḥmūd Abū Yaḥyā".
 - (17) Hees, pp. 19–90.
 - (18) References to Qazwīnī as 'mawlānā' also appear in manuscripts of his text that were produced centuries after his death.
 - (19) On this manuscript see Hees, pp. 91–350; Berlekamp 2003, pp. 39–88; Carboni 1992, pp. 5564–42; Bothmer 1971.
 - (20) Petrushevsky 1968.
 - (21) Berlekamp 2003, pp. 77–78.
 - (22) Carboni 1992, 411

17. Fakhry, Majid. *Islamic Philosophy*, New York: Columbia University Press, 1970.
18. Gray, Basil. *Persian Painting*, New York: Skira, 1961.
19. Hees, Syrinx von. *Enzyklopädie als Spiegel des Weltbildes: Qazwīnīs Wunder der Schöpfung- eine Naturkunde des 13. Jahrhunderts*, Vol. 4, Diskurse der Arabistic, Wiesbaden: Harrassowitz Verlag, 2002.
20. Nebes, A. ed. *Orientalische Buchkunst in Gotha: Ausstellung zum 350jährigen Jubiläum der Forschungs- und Landesbibliothek Gotha*, Spiegelsaal, 11. September 1997 bis 14 December 1997, 2.1 Gotha: Forschungs- und Landesbibliothek Gotha, 1997.
22. Petrushevsky, Ilya Pavlovich. "The Socio-Economic Condition of Iran under the Il-Khāns". In *The Cambridge History of Iran*, Vol. 5, *The Saljuq and Mongol Periods*, ed. J.A. Boyle, pp. 483–537, Cambridge: Cambridge University Press, 1968.
23. Rührdanz, Karin. "Islamische Miniaturhandschriften aus Beständen der DDR: Qazwīnī-Illustrationen des 14. Jahrhunderts". In *Wissenschaftliche Zeitung der Universität Halle* 22, 6, 1, pp. 123–125, Halle: University of Halle, 1973.
25. Simpson, Marianna Shreve. "A Reconstruction and Preliminary Account of the 1341 Shāhnāma". In *Persian Painting from the Mongols to the Qajars. Studies in honour of Basil W. Robinson*, ed. Robert Hillenbrand, pp. 217–247, London: I.B. Taurus, 2000.
26. "———In the Beginning: Frontispieces and Front Matter in Ilkhanid and Injuīd Manuscripts". In *Beyond the Legacy of Genghis Khan*, 6. Berlekamp, Persis. "Wonders and Their Images in Late Medieval Islamic Culture". Ph.D. diss., Harvard University, 2003.
- "———Al-Qazwīnī, Zakārīya". In *Medieval Islamic Civilization: An Encyclopedia*, ed. Josef Meri, pp. 651–54 London: Routledge, 2006.
7. Bosworth, Clifford Edmund. *The New Islamic Dynasties: A Chronological and Genealogical Manual*, New York: Columbia University Press, 1996.
8. Bother, Hans-Caspar Graf von. "Die Illustrationen des 'Münchener Qazwīnī' von 1280 (cod. Monac. Arab 464): Ein Beitrag zur Kenntnis ihres Stils". Ph.D. diss., Universität München, 1971.
9. Carboni, Stefano. "Synthesis: Continuity and Innovation in Ilkhanid Art". In *The Legacy of Genghis Khan: Courtly Art and Culture in Western Asia, 1256–1353*, ed. Linda Komaroff and Stefano Carboni, pp. 196–226, New York: The Metropolitan Museum of Art, 2002.
10. Carboni, Stefano and Contadini, Anna. "An Illustrated Copy of al-Qazwīnī's *The Wonders of Creation*". In *Sotheby's Art at Auction 1989–1990*, pp. 228–233, London: Sotheby's Publications, 1990.
12. Çağman, Filiz and Zeren Tanındı. *Topkapı Palace Museum*.
13. *Islamic Miniature Painting*, Istanbul: Tercuman Art and Cultural Publications, 1979.
14. *The Encyclopedia of Islam 2 sv. "Indju,"* (J. A. Boyle), Leiden: Brill.
15. "———al-šazwīnī, Zakārīya b. Muḥammad b. Ma'mūd Abū Yahya" (T. Lewicki), Leiden: Brill.
16. Ettinghausen, Richard. *Arab Painting*, Geneva: Skira, 1962.

- Epic Images: Persian Painting of the 1330's and 1340's, New York: The Metropolitan Museum of Art, 1994.
31. Waley, P. and Norah M. Titley. "An Illustrated Persian Text of Kalila and Dimna dated 71307/07-8". In *British Library Journal*, I, pp. 42-60, London: British Library Board, 1975.
32. Wright, Elaine. "The Look of the Book: Manuscript Production in the Southern Iranian City of Shiraz from the Early 14th Century to 1452". Ph.D. diss., Oxford University: Trinity, 1997.
33. "——Patronage of the Arts of the Book Under the
34. Injuids of Shiraz". In *Beyond the Legacy of Genghis Khan*, ed. Linda Komaroff, pp. 248-268, Leiden: Brill, 2006.
- ed. Linda Komaroff, pp. 213-247, Leiden: Brill, 2006.
27. "——The Role of Baghdād in the Formation of Persian Painting". In *Art et société dans le Monde Iranien*, ed. Chahryar Adle, pp. 91-116, Paris: Éditions Recherche sur les Civilisations, 1982.
28. Sims, Eleanor. "Thoughts on a Shāhnāma Legacy of the Fourteenth Century: Four Injū Manuscripts and the Great Mongol Shāhnāma". In *Beyond the Legacy of Genghis Khan*, ed. Linda Komaroff, pp. 269-286, Leiden: Brill, 2006.
29. Stchoukine, Ivan. *La Peinture irannienne sous les derniers Abbasides et les Il Khans*, Bruges: Imprimerie Sainte Catherine, 1936.
30. Swietochowski, Marie Lukens and Stefano Carboni. *Illustrated Poetry and*

المصورات



Fig. 1. The Horned Horse, with the colophon below.
 Qazwīnī, *{Ajāxib al-makhlūqāt wa-ghaīḡib al-mawjūdāt}*. Fars,
 .722 (1322)
 Istanbul, Süleymaniye Library, Yeni Cami 813, fol. 181v
 (Courtesy of the Süleymaniye Library)

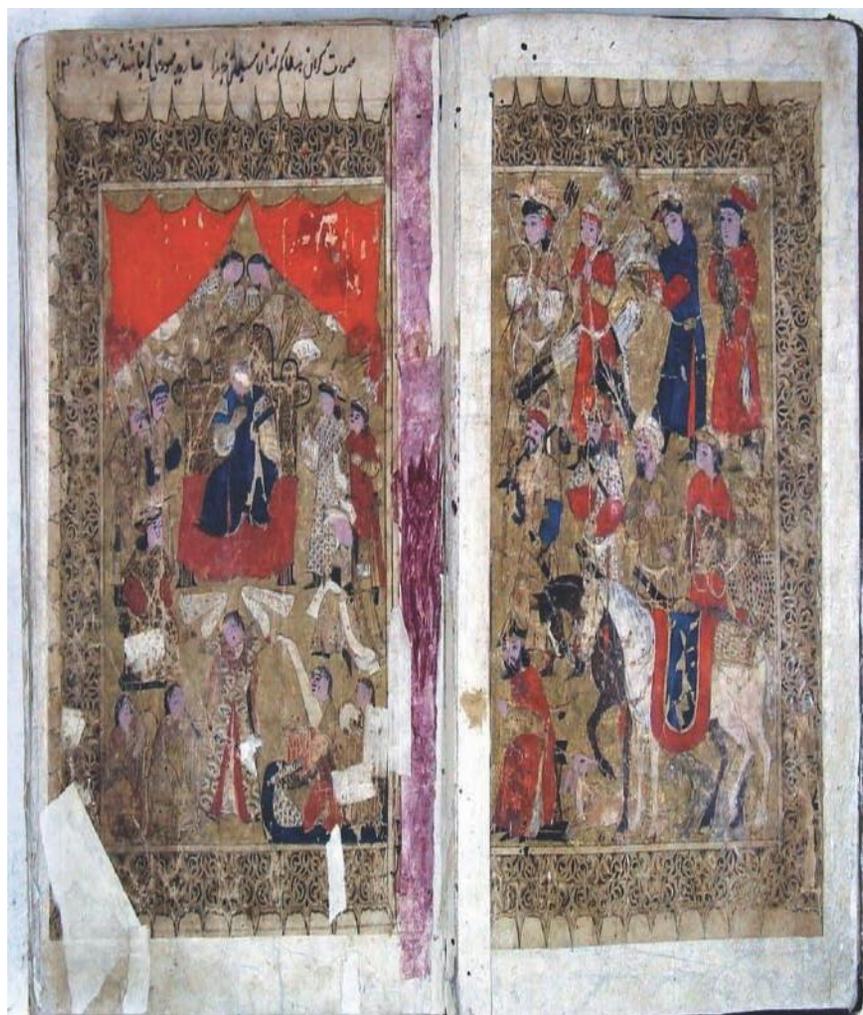


Fig. 2. Frontispiece. Qazwīnī, {Ajāxib al-makhlūqāt wa-gharāxib al-mawjūdāt. Fars, 722 (1322). Istanbul, Süleymaniye Library, Yeni Cami 813, fols. 1v-2r (Courtesy of the Süleymaniye Library)



Fig. 3. The Sparrow hawk, Parrot, Nightingale, Owl, Pheasant, Weaverbird, and Snake hatcher. Qazwīnī, {Ajāxib al-makhlūqāt wa-gharāxib al-mawjūdāt. Fars, 722 (1322). Istanbul, Süleymaniye Library, Yeni Cami 813, fols. 160v-161r (Courtesy of the Süleymaniye Library)



Fig. 4. The Magpie and the {anqāx. Qazwīnī, {Ajāxib al-makhlūqāt wa-gharāxib al-mawjūdāt. Fars, 722 (1322). Istanbul, Süleymaniye Library, Yeni Cami 813, fol. 166r (Courtesy of the Süleymaniye Library)



Fig. 5. The Horse. Qazwīnī, {Ajāxib al-makhlūqāt wa-gharāxib al-mawjūdāt}. Fars, ca. 1315–20. Gotha, Forschungs- und Landesbibliothek, fol. 92r (Courtesy of the Forschungs- und Landesbibliothek)



Fig. 6. The Horse. Qazwīnī, {Ajāxib al-makhlūqāt wa-gharāxib al-mawjūdāt. Fars, 722 (1322). Istanbul, Süleymaniye Library, Yeni Cami 813, fol. 145v (Courtesy of the Süleymaniye Library)



Fig. 7. *Khusraw Dār* (a large tree), Castor oil plant, Willow, Peach, Spiny Cytisus, Elm, and Plane. Qazwīnī, *{Aḫ̄īb al-makh̄lūqāt wa-gharūxib al-mawjūdat}*. Fars, 722 (1322). Istanbul, Süleymaniye Library, Yeni Cami 813, fols. 98v-99r (Courtesy of the Süleymaniye Library)



Fig. 8. Mercury. Qazwīnī, {Ajāḫib al-makhlūqāt wa-gharāḫib al-mawjūdāt. Fars, 722 (1322). Istanbul, Süleymaniye Library, Yeni Cami 813, fol. 11v (Courtesy of the Süleymaniye Library)



Fig. 9. The Tannīn. Qazwīnī, {Ajātib al-makhlūqāt wa-gharāḫib al-mawjūdāt. Fars, 722 (1322). Istanbul, Süleymaniye Library, Yeni Cami 813, fol. 58r (Courtesy of the Süleymaniye Library)



Fig. 10. A wāqwāq tree of Wāqwāq Island. Qazwīnī, {Ajāxib al-makhlūqāt wa-gharāxib al-mawjūdāt. Fars, 722 (1322). Istanbul, Süleymaniye Library, Yeni Cami 813, fol. 47v (Courtesy of the Süleymaniye Library)



Fig. 11. The Rūkh bird rescues the man from Isfahan. Qazwīnī, [Ajāhib al-makhlūqāt wa-gharā'ib al-mawjūdāt. Fars, 722 (1322.)

Istanbul, Süleymaniye Library, Yeni Cami 813, fol. 50v (Courtesy of the Süleymaniye Library)



Fig. 12. The Gerbil and the samandal. Qazwīnī, {Ajāxib al-makhlūqāt wa-gharāxib al-mawjūdāt. Fars, 722 (1322). Istanbul, Süleymaniye Library, Yeni Cami 813, fol. 174v (Courtesy of the Süleymaniye Library)

إدراك مقاصد الشريعة الإسلامية



د.أياد كامل الزبياري

تقول: قصدته، وقصدت إليه، وقصدت له، بمعنى واحد. والقصد: استقامة الطريق^(٤). قال تعالى: ((وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ)) (٥)، أي على الله تبيين الطريق المستقيم. ومنها جائر: طريق غير قاصد. وطريق قاصد: أي سهل مستقيم. وسفر قاصد: سهل قريب^(٦). ويأتي القصد بمعنى العدل والوسط بين الطرفين^(٧)، ومنه قول النبي (صلى الله عليه وسلم): ((سَدُّوا وَقَارِبُوا، وَأَعْدُوا وَرُوحُوا، وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ، وَالْقَصْدُ الْقَصْدُ

مفهوم المقاصد

أولاً: المقاصد في اللغة: جمع مقصد، مشتق من قصد يقصد، وهو من باب (ضرب). وقصد الشيء، بمعنى طلبه. يقال: إليه قصدي ومقصدي (بفتح الصاد). وبعض الفقهاء جمع القصد على قصود^(١). ويأتي القصد بمعنى النية والاعتزام والتوجه^(٢)، ومنه القاعدة الفقهية: (إنما الأمور بمقاصدها)^(٣). ويأتي القصد بمعنى إتيان الشيء وطلبه بعينه.

١- فقد عرفها بعضهم بأنها: (المحافظة على مقصود الشارع، بدفع المفسد عن الخلق)^(١٣).

٢- وعرفها بعض آخر بأنها: (المحافظة على مصالح الناس في الدنيا والآخرة)^(١٤).

٣- وقد تطرق بعض العلماء إلى المقاصد من جهة الغاية والأنواع، فذهب (الغزالي) إلى بيان ذلك من خلال تعريفه للمصلحة بقوله: (.. نعي بالمصلحة: المحافظة على مقصود الشرع، ومقصود الشرع من الخلق خمسة، وهو أن يحفظ عليهم دينهم، ونفسهم، وعقلهم، ونسلهم، وما لهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة، ودفعها مصلحة)^(١٥). وكذا (الشاطبي)، الذي حصرها في ثلاثة أنواع: الضروري، والحاجي، والتحسيني^(١٦).

وأما الباحثون المعاصرون، فيميلون إلى التعميم في التعريف، ومن هذه التعريفات:

١- تعريف العلامة (الطاهر بن عاشور)، الذي يرى بأنها: (هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع، أو معظمها، بحيث لا تختص بكونها في نوع خاص من أنواع الشريعة)^(١٧).

تَبْلُغُوا^(٨)، أي: التوسط بين الشيين^(٩). قال تعالى: (وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ، وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ)^(١٠)، أي: توسط فيه واعتدل، وعليك بالسكينة والوقار^(١١).

ويأتي القصد متدرجاً في مراتب حديث النفس^(١٢)، إذ قسم بعضهم ما يدور فيها إلى خمس مراتب:

١- الهاجس: وهو ما يلقي فيها، بدون قصد.

٢- خاطر: وهو سريانه فيها.

٣- حديث النفس: وهو ما يقع مع التردد: هل يفعل، أو لا يفعل.

٤- الهم: وهو ترجيح قصد الفعل على تركه.

٥- العزم: وهو قوة القصد والحزم، وبمعناه: النية.

ثانياً: المقاصد في الاصطلاح: تعرض العلماء السابقون، والمعاصرون، للمقاصد، وتكلموا فيها، إلا أن السابقين لم يضعوا لها تعريفاً محدداً، بل تكلموا في آثارها وأحكامها. ويرجع ذلك إلى أن المعاني كانت حاضرة في أذهانهم، وتسيل على ألسنتهم، دون كد ولا تعب، ومع ذلك فقد اختلفت عبارات الباحثين في تعريفاتهم لها، على النحو الآتي:

النتائج المترتبة على إدراك مقاصد الشريعة

إن فهم مقاصد الشريعة في تشريع الأحكام ترتب عليه مصالح عظيمة، وفوائد جلييلة، منها :

١- إبراز علل التشريع، وحكمه، وأغراضه، ومراميه، الجزئية والكلية، والعامّة والخاصة، في شتى مجالات الحياة، وفي مختلف أبواب الشريعة^(٢٣).

٢- إن فهم مقاصد الشريعة ضروري لكل من اشتغل بعلوم الدين الإسلامي، فلا يمكن أن يستغني عنها مفسر ولا فقيه ولا أصولي ولا محدث^(٢٤)، لأن ذلك يساعده في استنباط الأحكام، وفهمها، وتطبيقها، والأخذ بالمنهج الأصح في كل زمان ومكان، على وفق مقاصد الشارع العظيم.

٣- المقاصد قبلة المجتهدين: وعليه فإن أعظم الفوائد، وأوسع العوائد، التي تُجتنى من مقاصد الشريعة هي تلك التي يجنبها العلماء المجتهدون، لأنهم الأقدر على اجتنائها واستيعابها، ولأن ذلك يعود بالنفع والخير على عموم الأمة، إذ بهم تهتدي، وبهم تقتدي^(٢٥).

وخلاصة فائدة المجتهدين من معرفة المقاصد، توجد في عبارة: (المقاصد قبلة المجتهدين)، وهي عبارة مقتبسة من (أبي حامد الغزالي) (رحمه الله)، فقد نقل (السيوطي) عنه

٢- وعرفها (علال الفاسي) بقوله: (المراد بمقاصد الشريعة الغاية منها، والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها)^(١٨).

٣- وعرفها الشيخ (القرضاوي) بأنها: (الغايات التي تهدف إليها النصوص من الأوامر والنواهي والإباحات، وتسعى الأحكام الجزئية إلى تحقيقها في حياة المكلفين، أفراداً وأسراراً، وجماعات وأمة)^(١٩).

٤- وعرفها الدكتور (أحمد الريسوني) بأنها: (الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد)^(٢٠).

٥- وذهب (الصابوني) إلى أنها: (الأهداف الكبرى التي ترمي إليها أحكامها العامة، ومبادئها الكلية، وقد جاءت لتحقيق الرحمة والعدالة ومصالح الناس)^(٢١)، ومعنى ذلك أن مقاصد الشريعة هي جلب المصالح ودفع المفساد في الدنيا والآخرة، وهي عبادة الخالق، وإصلاح المخلوق^(٢٢).

وهذه التعريفات وإن اختلفت في ألفاظها، إلا أنها ترمي إلى أمر واحد، وهو بيان أن للشريعة أحكاماً عامة، ومبادئ كلية، تهدف إلى تحقيق مصالح الناس في العاجل والآجل. ومع هذا، فإن ما ذكره (الصابوني) كان أوضح من غيره في بيان المراد.

٦- تأكيد خصائص صلاحية الشريعة، ودوامها وواقعيتها ومرونتها، وقدرتها على الإصلاح والتفاعل مع مختلف البيئات والظروف والأطوار^(٣١).

٧- إثراء المباحث الأصولية ذات الصلة بالمقاصد، على نحو: المصالح، والقياس، والعرف، والقواعد، والذرائع، وغيرها من القواعد العامة، ذات الصلة بواقع الناس وأحوالهم، لمراعاة ذلك في تطبيق الأحكام الشرعية^(٣٢).

٨- التوفيق بين خاصتي: الأخذ بظاهر النص، والالتفات إلى روحه ومدلوله، على وجه لا يخل فيه المعنى بالنص، ولا بالعكس، لتجري الشريعة على نظام واحد، لا اختلاف فيه ولا تناقض^(٣٣).

٩- إعانة المكلف على أداء التكليف، والامتثال، على أحسن الوجوه وأتمها. ومن ذلك -مثلاً- أن المكلف إذا علم أن المقصد من الحج التأدب الكامل مع الناس، والتحلّي بأخلاق الإسلام العليا، فإنه إذا علم ذلك فسيعمل جاهداً ومجتهداً لتحصيل تلك المرتبة العليا، التي تجعل صاحبها عائداً بعد حجه كيوم ولدته أمه. وكذلك إعانة الخطيب والداعية والقاضي والمفتي والحاكم وغيرهم، على أداء وظائفهم وأعمالهم، على وفق مراد الشارع، ومقصود الأمر والنهي، وليس على

أنه قال في كتابه (حقيقة القولين): "مقاصد الشرع قبلة المجتهدين، من توجه إلى جهة منها أصاب الحق .."^(٣٦).

فالمجتهد إذا اجتهد في تحري مقاصد الشرع، حتى أبصرها وعرفها، ثم جعل التوجه إليها قبلته، والأخذ بمقتضاها غايته، فهو على نور من ربه، مسدد في ورده وصدوره^(٣٧).

ولهذا نجد الإمام (الغزالي) يوصي الفقيه المجتهد، بأن: "يكون شديد البحث عن أسرار الأعمال والأقوال، فإنه إن اكتفى بحفظ ما يقال، كان وعاءاً للعلم، ولا يكون عالماً. ولذلك كان يقال: فلان من أوعية العلم، فلا يسمى عالماً، إذا كان شأنه الحفظ، من غير اطلاع على الحكم والأسرار"^(٣٨).

٤- إن عدّ مقاصد الشريعة في التعامل مع النصوص يعني المزاجية بين العقل والنقل، مما يرسخ القناعة بصلاحية الشريعة لكل زمان ومكان، ويعصمها من الحرج والضيق والتناقض^(٣٩).

٥- المقاصد لا تعرف المذهبية، ودراسة الفقه في ضوء المقاصد تؤدي إلى التقليل من الاختلاف والنزاع الفقهي والتعصب المذهبي، وذلك باعتماد مقاصد الأحكام، وعللها الظاهرة المنضبطة، في عملية بناء الحكم عليها، والجمع والتزجيج بين الآراء المختلفة، ودرء التعارض بينها^(٣٠).

بالوسائل والأساليب، ما يلائم منها وما لا يلائم.

ولكن قبل البصيرة في هذه الأمور الظرفية والعملية، يحتاج الدعاة إلى البصيرة في دينهم، والبصيرة في الدين لا تتحقق إلا بمعرفة مقاصده في عقائده وأحكامه وآدابه^(٣٨).

ومن التوجيهات القرآنية المتعلقة بالدعوة وشروطها، ما جاء في قوله تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)^(٣٩).

والدعوة بالحكمة تقتضي معرفة الحكمة، وبيان الحكمة. ومن الحكمة حكمة الشرع الخفيف فيما جاء به من الأحكام والتكاليف، وهي المقاصد. والموعظة تكون حسنة، أو تزداد حُسناً، حين تحلى وتعزز بتعريف المخاطب بعلم الأمور، وبما وراءها من مصالح ومنافع، أو مفساد ومضار.

وإذا كانت دعوة الناس تحتاج بصفة دائمة إلى بيان المقاصد، لمزيد من الإقناع والإفهام، ولمزيد من تقوية العمل والالتزام، فإنها اليوم أشد احتياجاً إلى ذلك، لأسباب إضافية تتعلق بعصرنا، فالإسلام اليوم - حتى بين أبنائه، وفي عقر داره - لم يعد هو العقيدة الوحيدة والموحدة، ولا هو الثقافة الوحيدة السائدة، بل نحن في زمن المنافسة والمزايدة، وفي زمن العولمة الغربية، والاكتمساح الأجنبي، إذ يتعرض

وفق حرفيات النصوص، وظواهر الخطاب، ومباني الألفاظ^(٣٤).

وعليه، فإن المقاصد تزيل الكلل، وتسدد العمل، وقديماً قالوا: (من عرف ما قصد، هان عليه ما وجد)^(٣٥)، فالإنسان حين يقدم على عمل، وهو لا يدري لماذا هذا العمل، ولا يدري النتائج التي يسعى إلى بلوغها، والفوائد التي يعمل لجنيها وتحصيلها، ولا يدري قيمة ما هو فيه، وجدوى ما هو بصدده، هذا الإنسان عادة ما يصاب في عمله وسعيه بتحير واضطراب، أو بكلل وملل، أو بضجر وانقطاع.

١٠- تحقيق التوازن والاعتدال، وعدم الاضطراب في الأحكام^(٣٦).

١١- وأخيراً، من فوائد فهم مقاصد الشريعة هو أن المقاصد في خدمة الدعوة، لتكون على بصيرة، قال تعالى: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)^(٣٧)، فقد قررت هذه الآية الكريمة أن سبيل رسول الله، والذين اتبعوه، يتمثل في أمرين:

١- الدعوة إلى الله، وإلى دينه.

٢- أن تكون هذه الدعوة على بصيرة. ومن البصيرة أن يكون الداعية بصيراً بزمانه وأهله وقضاياهم، بصيراً بمن يخاطبهم ويدعوهم، بصيراً ببيئته ومجال تحركه، بصيراً

٥. الزمخشري، أساس البلاغة، ج ٢، ص ٢٤٩.
 الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١، ص ٢٦٩٧.
 (٧) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس،
 ج ٩، ص ٣٨. الفيروز آبادي، القاموس المحيط،
 ص ١٣٢٨.
 (٨) البخاري، الجامع المسند الصحيح، كالرفاق،
 بالقصد والمداومة على العمل، رقم الحديث ٦٤٦٣.
 (٩) ابن حجر، فتح الباري، ١١، ص ٣٦٠.
 (١٠) سورة لقمان: الآية (١٩).
 (١١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٤،
 ص ٧١. د. مصطفى ديب البغا، بحوث في مقاصد
 التشريع الإسلامي، دار المصطفى، دمشق، ط ١،
 ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، ص ٧.
 (١٢) الزركشي، محمد بن بهادر بن عبد الله أبو
 عبد الله، المنشور في القواعد، تحقيق: د. تيسير فائق
 أحمد محمود، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية -
 الكويت، ط ٢، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م،
 ج ٢، ص ٣٣ - ٣٧.
 (١٣) الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من
 علم الأصول، ج ٢، ص ١٨٤.
 (١٤) د. مصطفى الزحيلي، أصول الفقه الإسلامي،
 مؤسسة الوحدة، دمشق، (د.ط)، ١٤٠٢هـ -
 ١٩٨٢م، ص ٧٨.
 (١٥) الغزالي، أبو حامد، المستصفى في علم
 الأصول، ج ١، ص ٣٧٩.
 (١٦) الشاطبي، الموافقات، ج ٢، ص ١٧.
 (١٧) ابن عاشور، محمد بن طاهر، مقاصد الشريعة،
 دار النفائس، الأردن، ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م،
 ص ١٨٣.
 (١٨) علال الفاسي، مقاصد الشريعة الإسلامية
 ومكاملها، ص ١١١.
 (١٩) د. يوسف القرضاوي، دراسة في فقه مقاصد
 الشريعة بين المقاصد الكلية والنصوص الجزئية، دار

الإسلام بالذات إلى مخططات وحمالات، ترمي
 إلى تصفيته واقتلعه أحياناً، وترمي إلى
 تشويهه والتشكيك فيه أحياناً أخرى. وحتى
 بدون مخططات ولا حمالات، فإن المنافسة
 الثقافية والمذهبية، السياسية والتشريعية،
 أضحت اليوم شديدة حامية الوطيس^(٤٠)،
 وهذا ما يحتم على علماء الإسلام ودعاته
 - أكثر من أي وقت مضى - أن يكونوا على
 بصيرة في دينهم وشريعتهم ودعوتهم
 وواقعهم □

الهوامش

(١) أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح
 المنير، ج ٢، ص ٥٠٤.
 (٢) ابن منظور، لسان العرب، ج ١٥،
 ص ٣٤٧. وابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٥،
 ص ٧٩.
 (٣) ينظر: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي،
 الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعي، ج ١،
 ص ١١.
 د. أحمد محمد الزرقا، شرح القواعد الفقهية، دار
 القلم، دمشق، ط ٢، ١٤٠٩هـ، ص ٣٣. د. عبد
 الكريم زيدان، الوجيز في شرح القواعد الفقهية،
 مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط ١، ١٤٢٧هـ -
 ٢٠٠٦م، ص ١٥. د. محمد عثمان شبير، القواعد
 الكلية والضوابط الفقهية في الشريعة الإسلامية، دار
 النفائس، الأردن، ط ٢، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م،
 ص ٩١.
 (٤) ابن منظور، لسان العرب، ج ٣، ص ٣٥٣. ابن
 فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٥، ص ٩٥.
 (٥) سورة النحل: الآية (٩).
 (٦) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، ج ٣،

- الشروق-القاهرة، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، ص ٢٠.
- (٢٠) د. أحمد الريسون، الفكر المقاصدي قواعد وفوائد، دار الهادي، بيروت، ط٢، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، ص ١٣.
- (٢١) عبد الرحمن الصابوني، مذكرات في مصادر التشريع الإسلامي وطرق استنباط الأحكام، مديرية الكتب والطبوعات الجامعية، دمشق، ط١، ١٣٨٤هـ-١٩٦٥م، ص ٥١١.
- (٢٢) د. نور الدين مختار الخادمي، أبحاث في مقاصد الشريعة، مؤسسة المعارف، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، ص ٤٠.
- (٢٣) د. أحمد الريسون، الفكر المقاصدي قواعد وفوائد، ص ٨١.
- (٢٤) د. عبد العزيز بن عبد الرحمن بن علي بن ربيعة، علم مقاصد الشريعة، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، ص ٤١.
- (٢٥) د. أحمد الريسون، الفكر المقاصدي قواعد وفوائد، ص ٧٦.
- (٢٦) أبي حامد الغزالي، الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض، تحقيق: د. فؤاد عبد المنعم النمر، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، (د.ط)، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ص ١٨٢م.
- (٢٧) د. أحمد الريسون، الفكر المقاصدي قواعد وفوائد، ص ٧٦.
- (٢٨) الغزالي، إحياء علوم الدين، ج١، ص ١٠٧.
- (٢٩) عبد الرحمن صالح بابكر، دراسات تطبيقية حول فلسفة المقاصد في الشريعة الإسلامية، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، ص ٣٢.
- (٣٠) عبد الناصر حمدان بيومي إبراهيم، مقاصد تطبيق الشريعة الإسلامية والرد على شبهات المعارضين، دار اليسر، القاهرة، ط١، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م، ص ١٨.
- (٣١) عبد الناصر حمدان بيومي إبراهيم، مقاصد تطبيق الشريعة الإسلامية، ص ١٩.
- (٣٢) ابن عاشور، مقاصد الشريعة، ص ١٨٤. د. نور الدين مختار الخادمي، أبحاث في مقاصد الشريعة، ص ٢٨.
- (٣٣) الشاطبي، الموافقات، ج٣، ص ١٣٤.
- (٣٤) د. نور الدين مختار الخادمي، أبحاث في مقاصد الشريعة، ص ٢٩.
- (٣٥) د. أحمد الريسون، الفكر المقاصدي قواعد وفوائد، ص ٩٣.
- (٣٦) د. يوسف محمد أحمد البدوي، مقاصد الشريعة عند ابن تيمية، دار النفائس، الأردن، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، ص ١٢١.
- (٣٧) سورة يوسف: الآية (١٠٨).
- (٣٨) د. أحمد الريسون، الفكر المقاصدي قواعد وفوائد، ص ٩٩.
- (٣٩) سورة النحل: الآية (١٢٥).
- (٤٠) د. أحمد الريسون، الفكر المقاصدي قواعد وفوائد، ص ١٠٠.

قال تعالى: ﴿فِيئَهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَيُّهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ (المائدة: ٢٦).

مقدمة:

كح اعتبار القرآن الكريم أن الابتلاء والحنة سنة لا محيص عنها لعباده الصالحين والمخلصين، كأداة صقل وتنظيف أخلاقي، واستنفار للطاقة، وصهر الجماعة في نار الحنة، ولهذا جعل للمشقة محاسن وفضائل، وإن انبعث الحضارات وولادتها في العادة لا يأتي من ظروف الراحة والدعة، بل في وسط التحدي ومواجهة الصعوبات وتجاوزها بنجاح وعقل نير لتولد الأفكار المبدعة التي تولد من رحم المعاناة، وتتجاوز الترسبات والأفكار المنحلة والعودة من جديد إلى إدارة الحياة..

لكن الفساد بأنواعه، والاستبداد بجوانبه ومجالاته، إن لم توضع له حدود، فالعواقب ستكون وخيمة والحسائر جسيمة. ألا ترى أن واقع العالم العربي والإسلامي، ومن أمس البعيد وإلى اليوم، ما عدا فسحات هنا وهناك في زمان ومكان ما، العيش فيها بين المطرقة والسندان من صيحات بتهديد خارجي ودعوات بتفسيخ داخلي، يمر بأوضاع يرثى لها من فساد يسري في جسم الأمة ليشل حركتها نحو النهوض والريادة، ومن استبداد سياسي واقتصادي واجتماعي وإعلامي وحتى عائلي وإداري وفني، يخرج

تأملات في آية التيه

صالح شيخو

ثلاثة عساكر في قرية، أو أقل أو أكثر من ذلك، فإن توفر العدالة في أمة من الأمم لا يبلغ تمامه إلا إذا حسن الإشراف على شؤونها كلها، وصينت حقوق الناس في نواحي الحياة جميعاً" (٣).

وفي ظل هذه الأنظمة "يمكن لحبل الكذب أن يفوق سور الصين في الطول، وليس في القوة والصنعة، عندما يترك الشعب للمفسدين ليفسدوا في الأرض، ويهلكوا الحرث والنسل، حيث يلجأون لتكميم الأفواه، والربط على العيون، حتى يصاب الناس بعمى الألوان، ويفقدون القدرة على التمييز بين الحابل والنابل. ولأن الجزء من جنس العمل، فإن مثل هذا الأمر لا يحدث في العادة إلا عندما لا يعتصم الشعب بـ(حبل الله) المستين، ويندفع للتردي في حبال الشيطان، الذي يصبح سجناً للإنسان، حيث يقيد يديه وإرادته بجباله، ويغل قدميه بجباله، ويخوفه حتى يصبح جباناً يخاف من كل شيء، ويصل الأمر إلى أن يرى (الحبل) فيهتز رعباً ظاناً أنه ثعبان. ومما يساعد السلطة في تطويل حبل كذبها، تقصير المناوئين والمعارضين عن أداء دورهم، وخاصة القضايا التي تهوى تسلق السلطة بـ(الحبال الصوتية) و(الحبال السوطية)، حيث أن هذا الصنيع يطيل عمر الحاكم، الذي إذا أراد أن يدمر حريات أي شعب، يستطيع أن يفعل ذلك بسهولة، عندما

النشء إلى الدنيا، وقد غطى هذا الاستبداد الحياة بكذبه ونفاقه ودجله، ويزبى وكان الحياة صراع بين وحوش مفترسة لا مجال للفقير والضعيف للعيش فيها، وإن وجد فهو إما تابع ذليل، أو فخور عليل، "وإنك لترى أركان الفساد الاجتماعي مقترنة، يزجي بعضها بعضاً إلى جهنم، فيما رواه النبي (صلى الله عليه وسلم): "عُرِضَ عَلَيَّ أَوْلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ النَّارَ: أَمِيرٌ مُسَلِّطٌ، وَدُو تَرَوْه مِنْ مَالٍ، لَأَيُّدِي حَقَّ اللَّهُ، وَفَقِيرٌ فَخُورٌ" (١)، الأول يمثل الاستبداد السياسي، والثاني يمثل الطغيان الرأسمالي، والثالث - وهو الفقير الفخور - يمثل خدم النظام من الأتباع الذين يمشون في ركاب الكبراء والأغنياء، إنهم صعاليك، ولكنهم يفخرون بسادتهم الذين التحقوا بهم. فإذا انضم إلى هذا الفساد الاجتماعي تأييد المحترفين من رجال الدين، فقد بدت سوأته وطاشت رميته. عن عوف بن مالك: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يَقُولُ: "إِنِّي أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مِنْ أَعْمَالِ ثَلَاثَةٍ، قَالُوا وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: زَلَّةَ عَالِمٍ، وَحَكْمَ جَائِرٍ، وَهَوَى مُتَّبِعٍ" (٢). وليس هذا التحذير من الولاية العامة فحسب، بل إن كل رئيس لعمل - دق أو جل - ينبغي أن يستعظم حق الناس في رعايته، وحسن القيام عليه، حتى لو كان رئيس ثلاثة كتبة في ديوان، أو رئيس

وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ (المائدة):
٢٤).

فكان العقاب الإلهي نتيجة رفضهم، أن يتيهوا في الأرض أربعين سنة، وجاء الحكم الصارم: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيَهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ (المائدة: ٢٦)، وظل بنو إسرائيل خلال هذه المدة يبحثون عن مخرج من التيه، وكلما توهموا مخرجاً اندفعوا إليه، وبذلوا فيه جهدهم، ليفاجأوا بعد ذلك أنه ليس سوى سراب (٥).

وهذا يعطينا تصور أن الذين خرجوا مع (موسى) - عليه السلام - ونجوا من (فرعون)، ما زال في نفوسهم أمراض العبودية والاستعباد، مجتمع مريض يمشي باتجاه الموت. حيث أنه (عليه السلام) واجه أعظم حضارة في عصره، وقد تبين له أن لا أمل في "إصلاح المجتمع الفرعوني الذي وضع الموت يده الباردة عليه، إنه يريد شعبه، الذي ينتظره أن يدفن في الصحراء، أولاً من خلال التيه، كي يخرج من أصلابهم جيل لا يعرف غير الشمس والحرية، وهو الذي لن يرتعد من القوم الجبارين، الذين توهمهم آباؤهم كذلك" (٦).

خلال مدة التيه مات (موسى) و(هارون) - عليهما الصلاة والسلام - وتولى حكم بني إسرائيل من بعد (موسى) - عليه السلام - فتاه: (يوشع بن نون)،

ينشر بين أفراد الشعب الهبات والمنح والعطايا. وهكذا من لم يأت بسيف المعز جاء بذهبه، ومن لم يمت بالسيف مات بغيره، تعددت الأسباب والموت واحد!

والموت الذي نعنيه هنا هو الاسترقاق، ودخول حظيرة الحاكم، والتحول إلى فرد في القطيع، الذي يضم أكثر بطانات المستبدين، وحواشي الطغاة، وتضم هذه البطانات كل ذي ناب، وذي ظفر، وكل ذي مخلب من البشر، وهم من مختلف الألوان والأطياف. إذ لا يهم المستبد أن يكون الذئب أبيض أم أسود، المهم أن يصطاد فرائسه، وفرائسه في هذه الحالة هم أبناء الشعب، ممن لم يدخلوا (بيت الطاعة) أو ينضموا إلى القطيع! (٤).

واليوم يشبه حالنا إلى حد كبير مرحلة التيه، التي عاشها بنو إسرائيل بعد رفضهم وعنادهم دخول الأرض المقدسة التي كتب الله لهم.

فبعد أن نجى الله عز وجل (موسى) - عليه السلام - والذين ساروا معه، وأغرق (فرعون) وجنوده في السيم، سار (موسى) - عليه السلام - ببني إسرائيل قاصداً الأرض المقدسة، وطلب منهم أن يدخلوها معه، فلما علموا أن فيها قوماً جبارين أشداء خافوا من مواجعتهم ورفضوا الدخول، وقالوا لـ (موسى) - عليه السلام - : ﴿إِنَّا لَنَنذُرُكَ لَنُدْخِلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا، فَادْهَبْ أَنْتَ

أو تعلق القلب بشيء من الدنيا، لأنه لو تساهل في هذا الأمر لخرج معه من تشعبت همومه وخواطره في أودية الدنيا، فيصبح كل ما يتمناه ألا يصاب بمكروه، وأن يعود سالمًا حتى يستكمل مسيرته الدنيوية كما تطمح نفسه" (٩).

وما أدق ما قاله الإمام (النووي) في تعليقه على هذا الحديث، وما يستفاد منه: بأن الأمور المهمة ينبغي ألا تُفوّض إلا إلى أولي العزم وفراغ البال، ولا تُفوّض إلى متعلق القلب بغيرها، لأن ذلك يُضعف عزمه، ويفوت كمال بذل وسعه فيه (١٠).

وأراد بهذه الأشياء المذكورة، كما يقول (ابن الجوزي): جمع الهم، فإن الهم إذا تفرق ضعف فعل الجوارح، وإذا اجتمع قوي: من تأمل هذا الحديث علم فرق ما بين أمتنا وبني إسرائيل، فإن أولئك لما أذنبوا دلوا على طريق التوبة وأتوها متلاعبين بالدين، وهذا يدل على أن الذنوب ما آلمتهم، ولا دخل خوف الجزاء عليها في قلوبهم، ولا اكتثروا بالتحذير من عواقبها، ولا سروا بالدلالة على طريق النجاة من شرها.

آيات القصة

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ (٢٠) يَا قَوْمِ

وانقضت السنوات الأربعون، وأراد (يوشع بن نون) أن يحارب الجبارين، ويدخل الأرض المقدسة، لكن ما فعله الجيل الجبان مع (موسى) - عليه السلام - لم يكن ليبرح محيلته، لذلك فقد وضع شروطاً قاسية لمن يريد الخروج معه (٧).

الشروط القاسية

قال (يوشع بن نون) لقومه، وهو يهم الدخول إلى الأرض المقدسة: "لَا يَتَّبِعُنِي رَجُلٌ قَدْ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ بِهَا، وَلَمَّا بَيْنَ، وَلَا آخَرَ قَدْ بَنَى بُنْيَانًا، وَلَمَّا يَرْفَعُ سُقْفَهَا، وَلَا آخَرَ قَدْ اشْتَرَى غَنَمًا، أَوْ خَلْفَاتٍ، وَهُوَ مُنْتَظَرٌ وَلَا دَهَاءَ..." (٨).

معاني المفردات:

بُضْعٌ: قيل أنها كناية عن الفرج، الجماع، ملك الولي للمرأة، مهر المرأة، الطلاق، النكاح. يَبْنِي بِهَا: والبناء بالمراة: الدخول بها، وأصل ذلك أنهم كانوا يبنون بناء لمن أراد أن يدخل بزوجته. بَنَى بُنْيَانًا: بنى داراً أو قصرًا. خَلْفَاتٍ: جمع خلفه، وهي الحامل من النوق.

فهنا نرى "أن (يوشع بن نون) - عليه السلام - قد شخّص السبب الرئيس الذي من أجله رفضت بنو إسرائيل دخول الأرض المقدسة مع (موسى) - عليه السلام - ألا وهو حب الدنيا والتعلق بها، لذلك اشترط على من يريد الخروج معه عدم انشغال البال

اذْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ
وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا
خَاسِرِينَ (٢١) قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا
جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا
فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (٢٢) قَالَ
رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا
اذْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنتَكُمُ
غَابِوْنَ وَعَلَى اللَّهِ فِتْوَاكُمُ وَإِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ (٢٣) قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا
أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا
إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (٢٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي لَأَ
أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَقَوْمِ
الْفَاسِقِينَ (٢٥) قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ
أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى
الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿ (المائدة: ٢٠-٢٦).

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ
لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ
ظَالِمُونَ﴾ (البقرة: ٥١).

وقال تعالى: ﴿وَوَاَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ
لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِيقَاتٍ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ
لَيْلَةً﴾ (الأعراف: ١٤٢).

الاستبداد الموروث

إن الشعوب التي تنشأ في مهد
الاستبداد، وتساس بالظلم والاضطهاد،
تفسد أخلاقها، وتذل نفوسها، ويذهب
بأسها، وتضرب عليها الذلة والمسكنة، وتعتاد
الخصوع، وتأنس للمهانة والخنوع، وإذا طال

عليها أمد الظلم تصير هذه الأخلاق موروثية
ومكتسبة حتى تكون كالغرائز الفطرية،
والطباع الخلقية. إذا أخرجت صاحبها من
بيئتها، ورفعت عن رقبتة نيرها، ألفتها ينزع
بطبعه إليها، ويتفلت منك ليقتمح فيها. وهذا
شأن البشر في كل ما يألفونه، ويجرون عليه
من خير وشر، وإيمان وكفر. وقد ضرب
النبي (صلى الله عليه وسلم) مثلاً هدايته،
وضلال الراسخين في الكفر من أمة الدعوة،
أفسد ظلم الفراعنة فطرة بني إسرائيل في
(مصر)، وطبع عليها طابع المهانة والذل، وقد
أراهم الله تعالى ما لم ير أحداً من الآيات
الدالة على وحدانيته وقدرته وصدق رسوله
(موسى) - عليه السلام -، وبين لهم أنه
أخرجهم من (مصر) لينقذهم من الذل
والعبودية والعذاب إلى الحرية والاستقلال
والعز والنعيم. وكانوا على هذا كله إذا
أصابهم نصب أو جوع، أو كلفوا أمراً يشق
عليهم، يتطيرون بـ(موسى) ويتململون منه،
ويذكرون (مصر) ويحنون إلى العودة إليها،
ولما غاب عنهم أياماً لمناجاة ربه، اتخذوا لهم
عجلاً من حليهم، الذي هو أحب شيء
إليهم، وعبدوه، لما رسخ في نفوسهم من
إكبار سادتهم المصريين، وإعظام معبودهم
العجل (أبيس). وكان الله تعالى يعلم أنهم لا
تطيعهم نفوسهم المهينة على دخول أرض
الجبارين، وأن وعده تعالى لأجدادهم إنما يتم

والارتداد على الأدبار هو الخسران المبين (١٢).

قوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلْنَا فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ﴾، أي أنبياء يدعونكم إلى الهدى، ويحذرونكم من الردى، ويحثونكم على سعادتكم الأبدية، ويعلمونكم ما لم تكونوا تعلمون (١٣).

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ مَلُوكًا﴾، فيه خمسة أقاويل: أحدها: لأنهم ملكوا أنفسهم، بأن خلصهم من استعباد القبط لهم. والثاني: لأن كل واحد ملك نفسه وأهله وماله.

والثالث: لأنهم كانوا أول من ملك الخدم من بني إسرائيل.

والرابع: أنهم جعلوا ملوكاً بالمرن والسلوى والحجر.

والخامس: أن كل من ملك داراً وزوجة وخادماً، فهو ملك من سائر الناس (١٤).

وقوله تعالى: ﴿وَأَتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾، فيه قولان: أحدهما: المن والسلوى والغمام والحجر.

الثاني: كثرة الأنبياء فيهم، والآيات التي جاءتهم (١٥).

موجبات إنزال التيه ببني إسرائيل

قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْتَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (٤٩) وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ

على وفق سنته في طبيعة الاجتماع البشري: إذا هلك ذلك الجيل الذي نشأ في الوثنية والعبودية للبشر وفساد الأخلاق، ونشأ بعده جيل جديد في حرية البداوة وعدل الشريعة ونور الآيات الإلهية. وما كان الله ليهلك قوماً بذنوبهم، حتى يبين لهم حجته عليهم "ليعلموا أنه لم يظلمهم وإنما يظلمون أنفسهم، وعلى هذه السنة العادلة أمر الله تعالى بني إسرائيل بدخول الأرض المقدسة، بعد أن أراهم عجائب تأييده لرسوله إليهم، فأبوا واستكبروا، فأخذهم الله تعالى بذنوبهم، وأنشأ من بعدهم قوماً آخرين، جعلهم هم الأئمة الوارثين، جعلهم كذلك بهمهم وأعمالهم الموافقة لسنته وشريعته المنزلة عليهم". فهذا بيان حكمة عصيانهم لـ(موسى) بعد ما جاءهم بالبينات، وحكمة حرمان الله تعالى لذلك الجيل منهم من الأرض المقدسة (١١).

نعم الله قبل التيه على بني إسرائيل

نعمة الله، ووعدته الواقع، من أن يجعل فيهم أنبياء، ويجعلهم ملوكاً، وإبتائه لهم بهذا، وذلك، ما لم يؤت أحداً من العالمين حتى ذلك التاريخ. والأرض المقدسة التي هم مقدمون عليها مكتوبة لهم بوعد الله، فهي إذن يقين.. وقد رأوا من قبل كيف صدقهم الله وعده. وهذا وعده الذي هم عليه قادمون،

لَنَا مِمَّا تُنْتِثُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَفَتَائِهَا وَفَوْمِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبُطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿البقرة: ٤٩-٦١﴾.

١ - النجاة من ذبح الأبناء واستحياء النساء:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

وقوله: ﴿فَأَنجَيْنَاكَ﴾: أصله ألقيناكم على النجاة، وهو ما ارتفع واتسع من الأرض. هذا هو الأصل، ثم سمي كل فائر ناجياً، كأنه خرج من الضيق والشدة إلى الرخاء والراحة.

﴿من آل فِرْعَوْنَ﴾: أي أشياعه وأتباعه وأسرته وعزته وأهل دينه، وأصله من الأول، وهو الرجوع، كأنه يؤول إليك.

﴿يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ يعني يكلّفونكم ويذيقونكم أشدّ العذاب وأسوأه، وذلك أنّ (فرعون) جعل بني إسرائيل خدماً وعبداً، وصنّفهم في أعمالهم، فصنّف بينون، وصنّف يحرثون ويزرعون، وصنّف يخدمون،

فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَعْرَفْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (٥٠) وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (٥١) ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٥٢) وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (٥٣) وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٥٤) وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَرَى اللَّهُ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (٥٥) ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٥٦) وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٥٧) وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) قَبِلْ دَلَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٥٩) وَإِذْ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٦٠) وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ

ومن لم يكن منهم في عمل من هذه الأعمال، فعليه الجزية (١٦).

٢- غرق آل فرعون:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾، هذا زيادة في التفصيل بذكر نعمة أخرى عظيمة خارقة للعادة، بها كان تمام الإنجاء من آل فرعون، وفيها بيان مقدار إكرام الله تعالى لهم، ومعجزة لـ(موسى) عليه السلام. وفرق: ومعناه: الفصل بين أجزاء شيء متصل الأجزاء، غير أن فرق يدل على شدة التفرقة، وذلك إذا كانت الأجزاء المفرقة أشد اتصالاً.

وقوله: ﴿فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ هو محل المنة وذكر النعمة، وهو نجاتهم من الهلاك وهلاك عدوهم. وقد أشارت الآية إلى ما حدث لبني إسرائيل بعد خروجهم من (مصر)، من لحاق جند فرعون بهم لمنعهم من مغادرة البلاد المصرية (١٧).

وقوله: ﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾، في هذه الآية لم يتحدث الحق (جل جلاله) عن (فرعون)، وإنما تحدث عن إغراق آل فرعون. لماذا؟ لأن آل فرعون هم الذين أعانوه على جبروته وبطشه وطغيانه، وهم الأداة التي استخدمها لتعذيب بني إسرائيل.

والله (سبحانه وتعالى) أراد أن يرى بنو إسرائيل آل فرعون وهم يغرقون، فوقفوا

يشاهدونهم. وأنت حين ترى مصرع عدوك، تشعر بالمرارة التي في قلبك وهي تزول. ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ تحتمل معنى آخر، أي: ينظر بعضكم إلى بعض وأنتم غير مصدقين أنكم نجوتم من هذا البلاء العظيم، وفي الوقت نفسه تطمئنون وأنتم تشاهدونهم وهم يغرقون، دون أن ينجو منهم أحد، حتى لا يدخل في قلوبكم الشك، أنه ربما نجى بعضهم وسيعودون بجيش ليتبعوكم(١٨).

٣- عبادة العجل والعفو من الله تعالى:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (٥١) ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، هذا الوعد كان لإعطاء (موسى) المنهج، فحينما كلم الله (سبحانه وتعالى) (موسى) بجانب الطور، كان هذا لإبلاغ (موسى) - عليه السلام - أنه رسول من رب العالمين، وأنه أرسله ليخلص بني إسرائيل من طغيان فرعون وعذابه، وأنه سيمده بآيات ومعجزات، حتى يقتنع فرعون وقومه أن (موسى) رسول من الله (تبارك وتعالى)، بعد تكليف (موسى) بالرسالة وذهابه إلى (فرعون)، وما حدث مع السحرة، ثم نجاة (موسى) وقومه، بأن شق الله (جل جلاله) لهم البحر، هذا في وقت لم يكن المنهج قد نزل بعد. ولذلك بمجرد أن نجى الله (سبحانه وتعالى) (موسى) وقومه، وأغرق فرعون، كان

مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٠٣﴾ بعد أن تاب الله على قوم (موسى) بعد عبادتهم للعجل، عادوا مرة أخرى إلى عنادهم وماديتهم، فهم كانوا يريدون إلهاً مادياً، إلهاً يرونه، ولكن الإله من عظمته أنه غيب لا تدركه الأبصار. قال تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الأنعام: ١٠٣).

فكون الله (سبحانه وتعالى) فوق إدراك البشر، هذا من عظمته (جل جلاله)، ولكن اليهود الذين لا يؤمنون إلا بالشيء المادي المحسوس، لا تتسع عقولهم ولا قلوبهم إلى أن الله (سبحانه وتعالى) فوق المادة وفوق الأبصار.

وليس أشد إفساداً للفطرة من الذل الذي ينشئه الطغيان الطويل، والذي يحطم فضائل النفس البشرية، ويحلل مقوماتها، ويغرس فيها المعروف من طباع العبيد: استخذاء تحت سوط الجلاد، وتمرداً حين يرفع عنها السوط، وتبطراً حين يتاح لها شيء من النعمة والقوة. وهكذا كانت إسرائيل، وهكذا هي في كل حين" (٢٠).

٥ - كفران النعمة:

قال تعالى: ﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّانَ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾، فالله (سبحانه وتعالى)

لا بد أن يتم إبلاغ (موسى) بالمنهج. وكان الوعد يشمل أربعين ليلة. هذه الليالي الأربعون حددت كثلاثين أولاً، ثم أتمها الحق سبحانه وتعالى بعشر أخرى. وقرأ قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَّمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ (الأعراف: ١٤٢)، والحق سبحانه يقول: ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾، يريد أن يتحصن بني إسرائيل، ويبين لنا كفرهم بنعم الله. فالله نجاهم من آل فرعون، ولم يكادوا يعبرون البحر حتى رأوا قوماً يعبدون الأصنام، فقالوا - كما يروي لنا القرآن الكريم -: ﴿يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ (الأعراف: ١٣٨)، حدث هذا بمجرد خروجهم من البحر سالمين. (موسى) عليه السلام أخذ النقباء وذهب لميقات ربه، وترك أخاه (هارون) مع بني إسرائيل، وزين لهم الشيطان أن يصنعوا منها عجلاً من الذهب يعبدونه، صنعه لهم (السامري)، فأخذ الحلبي، وصهرها، ليجعلها في صورة عجل له خوار، وقال لهم: هذا إلهكم وإله (موسى). وقال الله تعالى عنهم: ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ (١٩).

٤ - الإيمان ولكن بشرط:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذْتُمُ الصَّاعِقَةَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ (٥٥) ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ

ظَلَمُوا رَجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٤١﴾، والحق (جل جلاله) حين خاطبهم بين لنا أنهم لم يكونوا في حالة جوع شديد، بحيث يأكلون أي شيء، فقال: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾، أي ستجدون فيها ألواناً كثيرة من الطعام، تغريكم على الأكل، ولو لم تكونوا جائعين.

وقوله تعالى: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾، أي: ادخلوا الباب، وأنتم في منتهى الخضوع، ﴿وَقُولُوا حِطَّةً﴾ أي: حط عنا ذنوبنا يا رب، غير أنهم حتى في الأمر يغيرون مضمونه، ويلبسون الحق بالباطل، وهذه خاصية فيهم، ولذلك دخلوا الباب وهم غير ساجدين.. دخلوه زاحفين على ظهورهم، مع أن ما أمرهم الله به أقل مشقة مما فعلوه، فكأن المخالفة لم تأت من أن أوامر الله شاقة، ولكنها أتت من الرغبة في مخالفة أمر الخالق، ليطوعوا اللفظ لأغراضهم. فكأن المسألة ليست عدم قدرة على الطاعة، ولكن رغبة في المخالفة.

٧- تفجير العيون ثم التماذي:

قال تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ كُلُّوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾. تعثوا: عثي الظالم عثا: أفسد أشد الإفساد، وبالغ في ظلمه وتكبره وكفره (٢١).

يريد أن يمتن على بني إسرائيل بنعمه ومعجزاته، ويرينا أنه برغم كل هذه النعم، عاش بنو إسرائيل في عنادهم وتعنتهم، بعد أن طلب بنو إسرائيل أن يروا الله جهرة فقتلتهم الصاعقة، ثم بعثهم الله (تبارك وتعالى) لعلهم يشكرون. ذكر لنا الحق (جل جلاله) نعماً أخرى من نعمه على بني إسرائيل، وقال اذكروا إذ كنتم في الصحراء، وليس فيها ظل تحتمون به من حرارة الشمس القاسية، وليس فيها مكان تستظلون فيه، لأنه لا ماء ولا نبات في الصحراء، فظل الله (سبحانه وتعالى) عليكم بالغمام، أي جاء الغمام رحمة من الله (سبحانه وتعالى)، ثم بعد ذلك جاء المن والسلوى. نوع من الحلوى اللذيذة المغذية سهلة الهضم سريعة الامتصاص في الجسم. والله (سبحانه وتعالى) جعله بالنسبة لهم وقود حياتهم، وهم في الصحراء، يعطيهم الطاقة. أما السلوى، فهي طير من السماء، ويقال إنه السمان، يأتيهم في جماعات كبيرة، لا يعرفون مصدرها، ويبقى على الأرض، حتى يسكوا به ويدبحوه ويأكلوه.

٦- تبديل القول:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ

بالإفساد في الأرض. كذلك حدث لبي إسرائيل، قيل لهم: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ فأفسدوا في الأرض، ونسوا نعمة الله، فنزل بهم العذاب (٢٢).

٨ - استبدال الأدنى بالذي هو خير:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْتِجُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ﴾، لقد كانوا بين الصحراء يجذبها وصخورها، والسماء بشواظها ورجومها. فأما الحجر فقد أنبع الله لهم منه الماء، وأما السماء فأنزل لهم منها المن والسلوى: عسلاً وطيراً.. ولكن البنية النفسية المفككة، والجلبة الهابطة المتداعية، أبت على القوم أن يرتفعوا إلى مستوى الغاية التي من أجلها أخرجوا من مصر، ومن أجلها ضربوا في الصحراء. لقد أخرجهم الله - على يدي نبيهم (موسى) - عليه السلام - من الذل والهوان ليورثهم الأرض المقدسة، وليرفعهم من المهانة والضعفة. وللحريّة ثمن، وللعزّة تكاليف، وللأمانة الكبرى التي ناطهم الله بها فدية. ولكنهم لا يريدون أن يؤدوا الثمن، ولا يريدون أن ينهضوا بالتكاليف، ولا يريدون أن يدفعوا الفدية، حتى بأن يتركوا مألوف حياتهم

وكان طمع (موسى) - عليه السلام - في رحمة الله بلا حدود، ولذلك فإن دعواته لقومه كانت تتوالى، وكانت الاستجابة من الله تأتي: ﴿اضْرِبْ بَعْصَاكَ الْحِجْرَ﴾. الله (سبحانه وتعالى) أراد أن يُري بني إسرائيل مدى الإعجاز، فأعطاهم الماء من الحجر الذي تحت أرجلهم، ولكن من الذي يتأثر بالضرب: الحجر أم العصا؟ العصا هي التي تتأثر وتتحطم، والحجر لا يحدث فيه شيء، ولكن الله (سبحانه وتعالى) أراد بضربة واحدة من العصا أن ينفلق الحجر. إن انفجار الماء من ضربة العصا، دليل على أن العصا أشارت فقط إلى الصخرة، فتفجر منها الماء، وحتى لو كانت العصا من حديد. يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾، لماذا اثنتا عشرة عينا؟ لأن اليهود كانوا يعيشون حياة انزعال، كل مجموعة منهم كانت تسمى (سبط)، لها شيخ مثل شيخ القبيلة. والحق تبارك وتعالى يقول: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾ أي: كل سبط أو مجموعة ذهبّت لمشرب. نبعّت العيون من الحجر، امتدت متشعبة إلى الأسباط جميعاً كل في مكانه، ملتزماً بالأداء، فإذا فرج الله كربته، وعادت إليه النعمة، يعود إلى طغيانه. ولذلك يقول الحق (جل جلاله) فيها: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ أي: لا يكون شكركم على النعمة

كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١﴾، لم يشهد تاريخ أمة ما شهدته تاريخ إسرائيل من قسوة وجحود واعتداء وتنكر للهداة، فقد قتلوا وذبحوا ونشروا بالمناشير عدداً من أنبيائهم - وهي أشنع فعلة تصدر من أمة مع دعاة الحق المخلصين - وقد كفروا أشنع الكفر، واعتدوا أشنع الاعتداء، وعصوا أبشع المعصية. وكان لهم في كل ميدان من هذه الميادين أفاعيل ليست مثلها أفاعيل! ومع هذا كله فقد كانت لهم دعاوى عريضة عجيبة. كانوا دائماً يدعون أنهم هم وحدهم المهتدون، وهم وحدهم شعب الله المختار، وهم وحدهم الذين يناهم ثواب الله، وأن فضل الله لهم وحدهم، دون شريك. قد طلب بنو إسرائيل من (موسى) أن يدعوا الله (سبحانه وتعالى) أن يخرج لهم أطعمة مما تنبت الأرض، وعددوا ألوان الأطعمة المطلوبة، وقالوا: ﴿مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلِهَا﴾.. ولكنها كلها أصناف تدل على أن من يأكلها هم من صنف العبيد، والمعروف أن آل فرعون استعبدوا بني إسرائيل، ويبدو أن بني إسرائيل أحبوا حياة العبودية واستطعموها.

وقوله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾. الذلّة هي المشقة التي تؤدي إلى الانكسار، وقوله تعالى: ﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنْ

الرتيبة الهينة، حتى بأن يغيروا مألوف طعامهم وشرابهم، وأن يكيفوا أنفسهم بظروف حياتهم الجديدة، في طريقتهم إلى العزة والحرية والكرامة. إنهم يريدون الأطعمة المتنوعة التي ألفوها في (مصر). يريدون العدس والثوم والبصل والقثاء وما إليها! وهذا ما يذكرهم القرآن به. وهم يدعون في المدينة دعاواهم العريضة: ولقد تلقى (موسى) عليه السلام طلبهم بالاستنكار: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾. أتريدون الدنية، وقد أراد الله لكم العلية؟

﴿اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ﴾..

إما بمعنى أن ما يطلبونه هين زهيد، لا يستحق الدعاء، فهو موفور في أي مصر من الأمصار، فاهبطوا أية مدينة فإنكم واجدوه فيها، وإما بمعنى عودوا إذن إلى (مصر) التي أخرجتم منها. عودوا إلى حياتكم الدارجة المألوفة. إلى حياتكم الخانعة الذليلة، حيث تجدون العدس والبصل والثوم والقثاء! ودعوا الأمور الكبار التي نديتم لها، ويكون هذا من (موسى) عليه السلام تائباً لهم وتوبيخاً. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ، وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ. ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾.

٩- غضب من الله تعالى:

قال تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ

الاستقلالية شاقة عليهم" (٢٥). إن الممارسات والمهوم اليومية الفردية والعائلية، تُفقد الإنسان الطموح وعشق الحرية، وحتى التفكير بها، "ويهرب من توضحيات التحرر، بإلقاء الثقل على السلطة المستبدة، ليرتاح.. ويكون ثمن هذه الراحة هو حياة الأغلال، التي يرى الإنسان من خلالها التحرر تمرداً، والاستعلاء شذوذاً، والعزة جريمة، ومن ثم يصب نقمته الجائحة على الأحرار، الذين لا يسرون في قافلة الرقيق.. التي تجري وراء من استغنى عنها، وتطلب محبة من ترفع عنها" (٢٦).

هذا ما نلمسه من اليهود، الذين خرجوا مع (موسى) - عليه السلام -، حيث كان أغلب اليهود، عندما ظهر (موسى) عليه السلام، "كان الذل قد رسم خطوطاً عريضة عميقة في أعصابهم... فأكثر أتباع (موسى) ألفوا الذل والهوان، ألفوا إذلال الفراعنة، وأن تنحني أصلابهم لغير الله، وأن يضربوا فلا يتألموا، لكن عدداً قليلاً من الناس سلمت فطرته، وصحت عقيدته، وعرف الدين صلة بالله ترفع الرؤوس، وتركى النفوس، وتجعل المؤمن يجتاز دروب الحياة، وهو لا يعرف إلا ربه، ولا يبغى إلا رضاه. أما الجيل الذي ألف الدنيا، وتحمل ذل (فرعون) دون أن يتمرد، فقد فسد" (٢٧).

الله، أي غضب الله عليهم بذنوبهم وعصيانهم، حتى أصبح الغضب من كثرة عصيانهم كأنه سمة من سماتهم (٢٣).

وهكذا أسلمهم الله - وهم على أبواب الأرض المقدسة - للتيه، وحرّم عليهم الأرض التي كتبها لهم، والأرجح أنه حرّمها على هذا الجيل منهم، حتى تنبت نابتة جديدة، وحتى ينشأ جيل غير هذا الجيل، جيل يعتبر بالدرس، وينشأ في خشونة الصحراء، وحريتها، صلب العود.. جيل غير هذا الجيل، الذي أفسده الذل والاستعباد والطغيان في (مصر)، فلم يعد يصلح لهذا الأمر الجليل! والذل والاستعباد والطغيان يفسد فطرة الأفراد، كما يفسد فطرة الشعوب (٢٤).

العبيد وعشق الذل والهوان

قوله سبحانه: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جِبَارِينَ وَإِنَّا لَنَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾.

هذه هي صفات النفس المنهزمة داخلياً، والمستعبدة، التي تهيء تربة المجتمع لاستنبات بذور الاستعباد، التي تنشئ في النفوس والقلوب أخلاقيات وسلوكيات الضعف والخوف، والخور والجبين... "كما كان بعض العبيد يرجعون باختيارهم إلى خدمة سادتهم في (أمريكا)، بعد تحريرهم كلهم، ومنع الاسترقاق بقوة الحكومة، لأنهم ألفوا تلك الخدمة والعبودية، وصارت العيشة

القدوة والقيادة في شخصية (موسى) عليه السلام

- الالتقاء: ونعني التقاء الداعي بالمدعويين، وبأكبر جمع ممكن، وهذا ما فعله (موسى) - عليه السلام - مع فرعون وقومه، إذ أتاهم يدعوهم إلى الله تعالى وعبادته وحده. وفي الالتقاء بيني إسرائيل عاني (موسى) - عليه السلام - من المتاعب والإيذاء، والاستهزاء والسخرية الكثير، مما يتطلب الكثير من الصبر والتحمل.

قال تعالى: ﴿وَإِذ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُوَدُّونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (الصف: ٥).

"ويذاء بني إسرائيل لـ(موسى) - وهو منقذهم من فرعون وملئه، ورسولهم وقائدهم ومعلمهم - إيذاء متطاوّل متعدد الألوان، وجهاده في تقويم اعوجاجهم جهاد مضمّن عسير شاق. ويذكر القرآن في قصص بني إسرائيل صوراً شتى من ذلك الإيذاء ومن هذا العناء.

ومع هذا التسبّح والعصيان والمضايقات، أتى ثمرة الالتقاء المتكرر والمعاشة المستمرة اختيار واصطفاء بعض الرجال لموعد الميقات، واختيار النقباء، فكان:

ولهذا نرى أن المناذرة بالحرية ودعوات الإصلاح لا تنجح بين العبيد، لأنهم ألفوا الذل والهوان، والرضا بالحياة الدونية، حتى قيل في المثل: "لو أمطرت السماء الحرية، لرفع العبيد المظلات فوق رؤوسهم"، وذلك لأن الحرية تحتاج إلى العقل والتفكير، والتفكير من أخص خصائص الإنسان، فإذا فقد العبد الفكر بإرادته، فإنه لا يستطيع أن يغير معتقده، ونمط حياته، وأن يعيش بحرية. وهنا نتساءل: "لماذا يحتمل الناس طاغية لا يملك من السلطان إلا ما أعطوه، ولا من القدر على الأذى إلا بقدر احتماهم الأذى منه؟ ولماذا يتحول الإنسان إلى كائن مسخ يتقن الكذب والتمثيل؟ ولماذا لا يرى عيباً في عبوديته، ويشعر أنها طوق يستحيل كسره، بل ربما رأى التحرر انتحاراً؟! إنه لا يوجد شيء يبرر الخط من مكانة البشر، ولا يبرر البؤس ولقمة العيش الاستسلام للعبودية، بل من حق البؤساء التمرد في وجه الانتهاك الإنساني، الذي كانوا ضحاياه المعذبين طويلاً، لأنهم إن لم يقوموا بذلك فسيدخلون في حالة الإحباط وعدم الفاعلية، ومن ثم لا يستطيعون تقديم الشهادة العلمية للحرية، ولا البقاء في ميدان الصراع من أجلها دون استسلام، ليس لأنهم مكبلون بأغلال الحديد، وإنما لأنهم مكبلون بفقدان المبادأة والمقاومة" (٢٨).

يقوم بعمل من خلفه عند مغيبه، والغائب يجعل مكانه وراءه(٣٢).

يعني: أن (موسى) لما أراد الذهاب لميقات ربه استخلف عليهم أخاه الكبير هارون -عليهما السلام - للحكم بينهم والإصلاح فيهم، إذ كانت الرياسة فيهم لـ(موسى)، وكان هارون وزيره ونصيره ومساعدته، وأوصاه بالإصلاح فيهم وفيما بينهم، ونهاه عن اتباع سبيل المفسدين في الأرض. واتباع سبيل المفسدين يشمل مشاركتهم في أعمالهم، ومساعدتهم عليها، ومعاشرتهم والإقامة معهم في حال اقترافها(٣٣).

السياسة محورها الإصلاح

جمع (موسى) في وصيته لأخيه هارون - عليهما السلام - بقوله: ﴿وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ فإن سياسة الأمة تدور حول محور الإصلاح، وهو جعل الشيء صالحاً، فجميع تصرفات الأمة وأحوالها يجب أن تكون صالحة، وذلك بأن تكون الأعمال عائدة بالخير والصالح لفاعلها ولغيره.

وقوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ تحذير من الفساد بأبلغ صيغة، لأنها جامعة بين نهى - والنهي عن فعل تنصرف صيغته أول وهلة إلى فساد المنهي عنه - وبين تعليق النهي باتباع سبيل المفسدين.

فلا جرم أن كان قوله تعالى: ولا تتبع سبيل المفسدين، جامعاً للنهي عن ثلاث

- الانتقاء: والانتقاء من النقي، وحقيقته: دهن العظام، ومجازة: لباب كل شيء(٢٩).

﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا﴾ (الأعراف: ١٥٥).

واختار من الاختيار، بمعنى: الانتخاب والاصطفاء.. أي: اختار (موسى) سبعين رجلاً من قومه للميقات الذي وقته الله له، ودعاهم للذهاب معه. وهؤلاء السبعون كانوا من خيرتهم، أو كانوا خلاصتهم، لأن الجملة الكريمة جعلتهم بدلاً من القوم جميعاً في الاختيار، وكان بني إسرائيل على كثرتهم لا يوجد من بينهم فضلاء سوى هؤلاء السبعين(٣٠).

القيادة التفويضية

فَوْضَ: فوض إليه الأمر: صيره إليه، وجعله الحاكم فيه(٣١).

قال تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِيقَاتٍ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (الأعراف: ١٤٢).

ومعنى اخلفني: كن خلفاً عني، وخليفة، وهو الذي يتولى عمل غيره عند فقده، فتنتهي تلك الخلافة عند حضور المستخلف. فالخلافة وكالة، وفعل خلف مشتق من الخلف - بسكون اللام - وهو ضد الأمام، لأن الخليفة

ويحتسبون، ويكونون أنصار الله في العسر واليسر والشدة والرخاء... (٣٦). وفي هذا درس مهم للحركات الإسلامية التي تعمل في السياسة، وتشارك في البرلمانات والحكومات ذات التوجه غير الإسلامي، أن تزج بأفرادها الخيبرين، ذوي العقول النيرة، والأفكار السديدة، وأصحاب المشاريع التي تخدم المواطن، وتحمل همومهم، وأن تراعي في ذلك أصحاب الكفاءة والنزاهة، بعيداً عن الصلات الاجتماعية والعشائرية.

نقول: لو تغلغل هذا الفكر في عقول القيادات الإسلامية، دخلت هي أيضاً في التيه، وكانت سبباً في تأخير مرحلة النصر والتمكين، وكانت سبباً أيضاً في توالي الضربات الموجعة داخلياً وخارجياً، وقد تؤدي هذه الضربات إلى التمزق والانقسام، أو الانشطار، ناهيك عن الاستقلالات الجماعية، وحتى الاختراق، والتفرق شذر مذر.

العودة إلى بدايات البعثة

قال تعالى على لسان (موسى) - عليه السلام - : ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِنْ أَهْلِي﴾ (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (٣٢) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (٣٤) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿ (طه: ٢٩-٣٥).

مراتب من مراتب الإفشاء إلى الفساد، وهي: العمل المعروف بالانتساب إلى المفسد، وعمل المفسد، وإن لم يكن مما اعتاده، وتجنب الاقتراب من المفسد ومحالطته" (٣٤). لأن من مهام الأنظمة المستبدة "قلب الحقائق، وتزييف الوقائع، وقلب السنن ذات الارتباط بالعلاقات بين الناس، حيث تقرب البعيد، وتبعد القريب، تكبر الصغير، وتصغر الكبير، تقدم من حقه التأخير، وتؤخر من حقه التقديم، ترفع العملاء، وتضع العلماء، تقف مع الأغنياء ضد الفقراء، ومع الأقوياء ضد الضعفاء، ومع الفاسدين ضد الشرفاء، وتنحاز إلى صفوف المأ ضد الجماهير، وإلى لوبيات الظالمين ضد الصالحين، وإلى جماعات الأقلية ضد تيارات الأغلبية، وتبتكر كل يوم المزيد من الأوضاع والآليات والقوانين واللوائح التي تكرس الفوارق بين تخمة الفاسدين الأرقاء، وإذلال الشرفاء الأحرار" (٣٥).

ولأن اتباع سبيل المفسدين يؤدي إلى التمزق الفكري والروحي، وجب أن يكون الإصلاح داخلياً "بإيقاف حركة التمزق التي تسود الأمة، وذلك بالقضاء على الانهزام النفسي، باللجوء إلى قوة الإيمان، التي يمكن بها مواجهة هذا التمزق، التي تكون درعاً تنكسر عليه هجمات أعداء الدين، ولن ينتصر الحق إلا برجال يضحون ويبذلون

هذا عن الراشدين - رضي الله عنهم - وغيرهم كثير.

من هنا يكون القائد الحاذق، البصير بمصلحة دنياه وآخرته، ميالاً إلى عدم التفرد، حريصاً على إحاطة نفسه بأعوان كثيرين، يوزع عليهم الجهد، ويعينونه في حمل الأمانة، وإلا فإنه إن تفرد، أو طلب الأعوان فلم يجدهم: وقع في العجز، وقارب أن يستحيل عليه الإصلاح، وإبداء أثر كبير.

هكذا الدعوة أيضاً، لا بد أن تفكر بتكوين جيل قيادي مناسب في سمته لطبيعة ضخامة العمل الذي تتعرض له، ومتكامل من ناحية الاختصاصات المتنوعة (٣٨).

إن المهنة تستهلك أحسن ساعات النهار، وهي الصباح، ولا تبقى للدعوة من القيادي غير فضول الأوقات، وأكثرها إجحافاً، حتى ليأتي إلى الاجتماع بإخوانه يتشاءب، وما نظن ذلك يسوغ في العقل، ولا أن ترضى به جماعة تحترم نفسها، وتريد أن تنتصر.

إرفع الهموم المعاشية عن كاهل الداعية، ثم انظر عندئذ نتاج عقله، وكيف ستتحول خواطره إلى اقتراحات بناءة وخطط وكتابة، أو كيف تتحول طاقاته البدنية إلى مشاركة تنفيذية دائبة (٣٩).

إعداد قائد المستقبل

طلب أن يعينه الله بمعين من أهله: أخاه (هارون)، فهو يعلم عنه فصاحة اللسان، وثبات الجنان، وهدوء الأعصاب، وكان (موسى) - عليه السلام - انفعالياً حاد الطبع سريع الانفعال، فطلب إلى ربه أن يعينه بأخيه، يشد أزره، ويقويه، ويتزوى معه في الأمر الجليل الذي هو مقدم عليه.

والأمر الجليل الذي هو مقدم عليه يحتاج إلى التسبيح الكثير والذكر الكثير والاتصال الكثير. فد(موسى) عليه السلام يطلب أن يشرح الله صدره، وييسر له أمره، ويحل عقدة من لسانه، ويعينه بوزير من أهله. كل أولئك لا يواجه المهمة مباشرة، ولكن ليتخذ ذلك كله مساعداً له، ولأخيه، على التسبيح الكثير، والذكر الكثير، والتلقي الكثير من السميع البصير.. ﴿إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾.. تعرف حالنا، وتطلع على ضعفنا وقصورنا، وتعلم حاجتنا إلى العون والتدبير (٣٧).

التوريث القيادي

ليست القيادة بالعمل البسيط أبداً، وإنما هي تكليف لا تشريف، كما شاع هذا اللفظ بحق، خاصة إذا كان المكلف بها مستشعراً واجباته تمام الاستشعار، جيد التحسس لمسؤوليته أمام الله تعالى إن قصر أو ضيع الأمانة، عارفاً بما ينتظره من حساب مضاعف، إذا تصدى لما هو أليق بغيره، وتكلف الظهور دونما اتقان عمله، والكلام في

السلام - في التيه، ولم يدخلا الأرض المقدسة؟

نقول وبالله التوفيق: إن (موسى) - عليه السلام - أدى الأمانة، وبلغ الرسالة، وكان ما كان من بني إسرائيل في مواجهة الدعوة وأوامر الله تعالى. وكما بينا أن (موسى) - عليه السلام - كان قد أعد قائد المستقبل، الذي سيكمل الرسالة من بعده، بعد أن يهلك الجيل الذي كان معه، بشكل يحقق الاستمرار على تكملة المهمة، بالدخول إلى الأرض المقدسة، والتوازن في ظل أي متغيرات قد تحدث أو تصدر في المجتمع الجديد. وهذا ما يسمى في العصر الحديث بـ(أنظمة الاستقرار)، وهي الأنظمة التي لا ترتبط بأشخاص معينين مدى الحياة، مهما كان وضعهم، ومهما كان تاريخهم، ومناصبهم، ومهما قدموا من خدمات وتضحيات، "ارتباطاً مباشراً يزول بزوالهم، أو يتغير بتغيرهم، وهي بالتالي لا تفقد فعاليتها أو حيويتها أو قدرتها واستقرارها واستمرارها إذا ما ذهب أشخاص بعينهم، أو أتى غيرهم بدلاً منهم" (٤٣).

وهذا ما نراه أن النظام والحكم ظلا مستقرين بعد (موسى) و(هارون) عليهما السلام، في المدة المتبقية بعد وفاتهما، حتى تسلم الرسالة (يوشع بن نون) - عليه السلام - وأكمل المهمة، ولم يخدم حماس إكمال

قال تعالى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (المائدة: ٢٣).

(موسى) و(هارون) - عليهما السلام - لم يدخلا قرية الجبارين، وعلى أصح الأقوال أنهما ماتا في أرض التيه، ولكن (موسى) - عليه السلام - أعد من يكمل الرسالة، ويحمل راية القيادة من بعده، وهو (يوشع بن نون)، حيث هيئته لتحمل الصعوبات في سنوات التيه، "وفي رحلته لطلب العلم، وقصته مع الرجل الصالح" (٤٠)، وهذه السنوات كانت كافية لدراسة نفسيات بني إسرائيل المهزومة والمتبجحة، "وقيل: كان (موسى) و(هارون) فيهم، وإنما توفيا في التيه، وقيل: لم يكونا فيهم، وإنما كان ذلك عقوبة عليهم، فلما ماتوا في التيه، ونشأ أولادهم، أقبل (يوشع بن نون) بأولادهم إلى الأرض المقدسة، وحارب العمالقة، ونصره الله تعالى عليهم، حتى فتح تلك المدينة" (٤١). وقال (الطبري): "ثم إن الله جل وعز لما انقضت الأربعون سنة، بعث (يوشع بن النون) نبياً، فأخبرهم أنه نبي، وأن الله قد أمره أن يقاتل الجبارين، فبايعوه وصدّقوه، فهزم الجبارين واقتحموا عليهم يقتلونهم" (٤٢).

وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال: لماذا مات الرسولان (موسى) و(هارون) - عليهما

إلى الله تعالى، باعتباره خالق الحياة. وتصوير قوى الظلم والاستبداد بصورتها الواقعية، التي تتكشف فيه عن مخلوقات وكائنات لا تملك لنفسها، ولا لغيرها، ضراً ولا نفعاً. وهذا ما رأيناه في دول الربيع العربي، حيث كيف كانت نهاية المستبدين وأعدائهم، وما زال عرض المسرحية مستمراً، ولم تنته المشاهد بعد..

علاقة التيه بظلم الفراعة

تمضي قصة موسى (عليه السلام) مع قومه بني إسرائيل، بعد إذ أنجاهم الله من عدوهم، وأغرق (فرعون) وملائه، ودمر ما كانوا يصنعون، وما كانوا يعرشون. إن (موسى) - عليه السلام - لا يواجه اليوم طاغوت (فرعون) وملائه، فقد انتهت المعركة مع الطاغوت المستبد (٤٤)، ولكنه يواجه معركة أخرى - لعلها أشد وأقسى وأطول أمداً - إنه يواجه المعركة مع "النفس البشرية!"، ويواجهها مع رواسب الجاهلية في هذه النفس، ويواجهها مع رواسب الذل، الذي أفسد طبيعة بني إسرائيل، وملائها بالالتواء من ناحية، وبالقسوة من ناحية، وبالجن من ناحية، وبالضعف عن حمل التبعات من ناحية. وتركها مهلهلة بين هذه النزعات جميعاً.. فليس أفسد للنفس البشرية من الذل والخضوع للطغيان طويلاً، ومن الحياة في ظل الإرهاب والخوف والتخفي والالتواء لتفادي

المهمة في قلبه، ولم تهتز أركان القيادة بزوال القائد القدوة، لأن الرؤية كانت واضحة، والتخطيط كان موضوعاً، والهدف كان مقاساً ومحدوداً، أي أنه كان يسير وفق أهداف تكتيكية وخطة استراتيجية، مع مشروع حضاري، جعل من أبناء وأحفاد التائهين أبطالاً وقادة يقاتلون الجابرة.

وفي مدة سنوات التيه تمكن (يوشع بن نون)، ومن معه، من بناء الإنسان الرسالي، "إنسان الفكرة - إنسان المبادرة - الإنسان المنتصر على اليأس والقلق - الإنسان المشابر - الإنسان صاحب اليد العليا - الإنسان صاحب الشعور بالمسؤولية - إنسان ثابت على المبدأ وإن طال الزمن - إنسان له إرادة صلبة لا تنزعزع أمام الصعاب - إنسان يمتلك الأمل والطموح - إنسان يمتلك الروح الإيجابية - إنسان الحكمة - إنسان يجيد إدارة فن الممكن - إنسان يرتقي بالهموم ويعيشها..."، والإنسان الرسالي: هو الشرط الأساس للتحرر من العبودية، إذ بدون أي تقدم نحو الحرية هو في حقيقته خطوة نحو القهر والذل.. وبناء الإنسان الرسالي لا يتم بين ليلة وضحاها، ولكنها مهمة صعبة ودقيقة، نحتاج فيها إلى (فقه الرواحل)، وإلى جهد كبير، وصبر طويل، لتفريغ الإنسان من كل ما يشعره ويخيفه مما يملكه المستبدون، وإرجاع أمور الحياة كلها

(فرعون) وملئه، ومنذ أن أنقذهم نبيهم وزعيمهم (موسى) عليه السلام - باسم الله الواحد - رب العالمين -، الذي أهلك عدوهم، وشق لهم البحر، وأنجاهم من العذاب الوحشي الفظيع، الذي كانوا يسامون.. إنهم خارجون للتو واللحظة من (مصر) ووثنيتهما، ولكن ها هم أولاء ما إن يجاوزوا البحر حتى تقع أبصارهم على قوم وثنيين، عاكفين على أصنام لهم، مستغرقين في طفوسهم الوثنية، وإذا هم يطلبون إلى (موسى) - رسول رب العالمين - الذي أخرجهم من (مصر) باسم الإسلام والتوحيد، أن يتخذ لهم وثناً يعبدونه من جديد! ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ، فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ. قَالُوا: يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾! إنها العدوى تصيب الأرواح، كما تصيب الأجسام! ولكنها لا تصيبها حتى يكون لديها الاستعداد والتهيؤ والقابلية. وطبيعة بني إسرائيل - كما عرضها القرآن الكريم عرضاً صادقاً دقيقاً أميناً في شتى المناسبات - طبيعة مخلخلة العزيمة، ضعيفة الروح، ما تكاد تهتدي حتى تضل، وما تكاد ترتفع حتى تنحط، وما تكاد تمضي في الطريق المستقيم حتى تترتكس وتنتكس، ذلك إلى غلظ في الكبد، وتصلب عن الحق، وقساوة في الحس والشعور!

الأخطار والعذاب، والحركة في الظلام، مع الذعر الدائم والتوقع الدائم للبلاء! ولقد عاش بنو إسرائيل في هذا العذاب طويلاً، عاشوا في ظلال إرهاب، وفي ظل الوثنية الفرعونية كذلك.

عاشوا يقتل (فرعون) أبناءهم، ويستحيي نساءهم، فإذا فتر هذا النوع البشع من الإرهاب الوحشي، عاشوا حياة الذل والسخره والمطاردة على كل حال، وفسدت نفوسهم، وفسدت طبيعتهم، والتوت فطرتهم، وانحرفت تصوراتهم، وامتلات نفوسهم بالجبن والذل من جانب، وبالخقد والقسوة من الجانب الآخر، وهما جانبان متلازمان في النفس البشرية، حيثما تعرضت طويلاً للإرهاب والطغيان..

عملية استصلاح نفوس بني إسرائيل من ذل الطاغوت الفرعوني، هي التي سيواجهها (موسى) عليه السلام بعد خروجه ببني إسرائيل من (مصر)، وتجاوزه بهم البحر، وهي تواجه الحرية بكل رواسب الذل، وتواجه الرسالة بكل رواسب الجاهلية، وتواجه (موسى) عليه السلام بكل الالتواءات والانحرافات والانحلالات والجاهالات، التي ترسبت فيها على الزمن الطويل!

إن العهد لم يطل بهم منذ أن كانوا يسامون الخسف في ظل الوثنية الجاهلية عند

ينتظرون حتى الإشارة من إصبع للسيد، حتى يخرجوا له ساجدين!!
 إنهم إذا أطلقوا، حسدوا الأرقاء الباقين في الحظيرة، لأن الحرية تخيفهم، والكرامة تثقل كواهلهم، لأن حزام الخدمة في أوساطهم، هو شارة الفخر التي يعتزون بها. إنهم لا يجدون أنفسهم إلا في سلاسل الرقيق، وفي حظائر النحاسين، فإذا انطلقوا تاهوا في خضم الحياة، وضلوا في زحمة المجتمع، وفرعوا من مواجهة النور، وعادوا طائعين يدقون أبواب الحظيرة، ويتضرعون للحراس أن يفتحوا لهم الأبواب" (٤٦).

انظر إلى العبيد من بني إسرائيل: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامِ وَاحِدٍ فَاذْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبِ اللَّهِ ذَلِكَ بَأْسُهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (البقرة: ٦١).

علاقة الفسق بالتيه

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (٢٥) قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً

وها هم أولاء على طبيعتهم تلك، ها هم أولاء ما يكادون يمرون بقوم يعكفون على أصنام لهم، حتى ينسوا تعليم أكثر من عشرين عاماً، منذ أن جاءهم (موسى) - عليه السلام - بالتوحيد. فقد ذكرت بعض الروايات أنه أمضى في (مصر) ثلاثة وعشرين عاماً، منذ أن واجه (فرعون) وملاه برسالته، إلى يوم الخروج من (مصر) مجتازاً ببني إسرائيل البحر. بل حتى ينسوا معجزة اللحظة التي أنقذتهم من (فرعون) وملته، وأهلكت هؤلاء أجمعين! وهؤلاء كانوا وثنيين، وباسم هذه الوثنية استذلوهم (٤٥).

سوم العبودية

الإنسان الذي لا يمارس الحرية، ولا يسعى لانتراعها، يضمحل فكرياً، وينهزم نفسياً، ولا يجرؤ على المواجهة، ويرضى بذل العبودية تسري في عروقه، ولا يشعر بآلام الاستبداد الخيطة به، لأنه لا يقدر قيمة الحرية.

الذين يصنعون الطغاة هم الذين يرضون بالعبودية.. إنهم يهربون من الحرية، فإذا طردهم سيد، بحثوا عن سيد آخر، لأن في نفوسهم حاجة ملحة إلى العبودية. لأن لهم حاسة سادسة، أو سابعة، حاسة الذل، لا بد لهم من إروائها، فإذا لم يستعبدهم أحد، أحسّت نفوسهم بالظماً إلى الاستعباد، وتراموا على الأعتاب، يتمسحون بها، ولا

يَبْهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ
الْفَاسِقِينَ ﴿المائدة: ٢٥-٢٦﴾.

معاني المفردات:

فَأَفْرُقْ بَيْنَنَا: اقض بيننا وبينهم، وافتح بيننا
وبينهم (٤٧)، بأن تحكم لنا بما نستحقه،
وتحكم عليهم بما يستحقونه، أو بالتباعد بيننا
وبينهم، وتخليصنا من صحبتهم (٤٨).

الفسوق، أصل الفسق: الخروج عن
الاستقامة، والجور، وبه سمي العاصي
فاسقاً (٤٩). فَسَقَ الرَّجُلُ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ: عصى
وجاوز حدود الشرع، خرج عن طاعة الله،
انغمس في الملمات (٥٠).

تَأْسٌ: الأسى: الحزن على الشيء (٥١).
خلاصة شهادة (موسى) - عليه السلام -
على قومه، مدة إقامته بينهم، ودعوتهم لعبادة
الله، اختصرت في تسميتهم بـ(الْفَاسِقِينَ)،
حتى قال الله تعالى عنهم، مستجيباً لدعاء
نبيه، دعوة فيها الألم، وفيها الالتجاء، وفيها
الاستسلام، وفيها - بعد ذلك - المفاصلة
والحسم والتصميم! وإنه ليعلم أن ربه يعلم
أنه لا يملك إلا نفسه وأخاه.. ولكن
(موسى)، في ضعف الإنسان المخذول، وفي
إيمان النبي الكليم، وفي عزم المؤمن المستقيم،
لا يجد متوجهاً إلا لله، يشكو له بشه ونجواه،
ويطلب إليه الفرقة الفاصلة بينه وبين القوم
الفاسقين، فما يربطه بهم شيء، بعد النكول
عن ميثاق الله الوثيق.. ما يربطه بهم نسب،

وما يربطه بهم تاريخ، وما يربطه بهم جهد
سابق، إنما تربطه بهم هذه الدعوة إلى الله،
وهذا الميثاق مع الله.

هذا هو أدب النبي، وهذه هي خطة
المؤمن، وهذه هي الآصرة التي يجتمع عليها أو
يتفرق المؤمنون..

لا جنس، لا نسب، لا قوم، لا لغة، لا
تاريخ، لا وشيعة من كل وشائج الأرض، إذا
انقطعت وشيعة العقيدة، وإذا اختلف المنهج
والطريق.

واستجاب الله لنيبه، وقضى بالجزاء العدل
على الفاسقين ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ
الْفَاسِقِينَ﴾ (٥٢).

وهكذا ظلوا أربعين سنة يتيهون في
الأرض، حتى هلكت الأجيال الجبانة
الفاسقة، التي استطابت الدنيا والمذلة،
والذين يستحبون الخنوع، ويرتضون الدنية،
وتكونت أجيال أخرى من بعدهم، تعرف
الله، وتحب رضاه، وتبذل حياتها في سبيله. ثم
دخل اليهود بعد ذلك فلسطين يقاتلون
الجبابرة.

وفي هذا العقاب الإلهي لعبرة لأولى
الألباب، يستفيدون منها أن الشعوب التي
تنشأ في مهد الاستعباد تذهب أخلاقها،
ويذهب بأسها، وتضرب عليها الذلة
والمسكنة، وتأنس بالمهانة، وإذا طال عليها
الأمم أصبحت تلك الصفات غرائز وطباعاً

الأمني لا تتحقق إلا خلال السنين الطوال. وقد اختلف علماء الاجتماع فقال بعضهم: يمكن أن تتكون أمة خلال أربعين سنة، ولعلمهم نظروا في هذا إلى ما حكاه القرآن الكريم عن بني إسرائيل، عندما رفضوا أن يدخلوا الأرض المقدسة. قال العلماء: أربعون سنة يمكن أن تكون فترة تغيير لتحول المجتمع من الفوضى إلى النظام، ومن الفرقة إلى الوحدة، إلى غير ذلك.

الطريق إلى التيه

للسير في طريق التيه آفات، ووسائل متعددة، تنخر في جسم الفرد والمجتمع، "وآفة المجتمع اليوم، أو أزمة الناس، في أخلاقهم، وسوء معاملتهم لغيرهم، فرمما سهل على الإنسان ملازمة فروض العبادة والطاعة، وأدائها في أوقاتها، ولكن ليس من السهل الحكم على الاستفادة من هذه العبادة، والتجاوب مع أغراضها التهديبية، في شؤون المعاملة الخاصة والعامة، فهذا هو المحك الحقيقي للحكم على صدق المسلم أو المسلمة، واحترام قيم الدين وآدابه، والافتناع بمبادئه، وإدراك الانسجام بين المبدأ والتطبيق، وهو المعبر عنه بالمصادقية.

كم من الشكاوى المبررة من تصرفات أناس معروفين بالتدين، لكنهم غرباء في الواقع عن الدين والأخلاق الإسلامية في المعاملات، وكأن الدين عبادة فقط، ويهملون

خلقية لها، فإذا خرجوا من بيئتهم، ورفع عنهم نير الظلم والاستعباد، حنوا إلى ما كانوا فيه، وتاقت نفوسهم إلى الرجوع إليه، وهذا شأن البشر في جميع ما يألفون، ويجرون عليه من خير وشر(٥٣).

الزمن جزء من العلاج

اليهود الذين ألفوا المهانة والاستعباد، والذل والمسكنة، أضيف إلى ذلك التيه أربعين سنة، لجحودهم وعنادهم على أوامر الله تعالى، كجزء من التحول من العبودية إلى الحرية، لأن تغيير المجتمعات سنة من سنن الله تعالى في الكون، "وقد أثبتت التجارب العالمية أن التغييرات السريعة، والتحويلات الجذرية العنيفة، قليلة الفائدة، كثيرة الضرر، حيث أن قدرة الأنظمة الاجتماعية على تقبل الجديد محدودة، فإذا ما اتخذ التغيير شكل دفع عنيف متتابع، فإن ذلك يؤدي إلى تفسخ الأنظمة، وإظهار عجزها عن هضم التغييرات الجديدة... مما يعني في النهاية نوعاً من الاختلال في التوازنات العميقة للمجتمع، وذلك لا يمر دون مقاومة وردود أفعال طائشة، تؤدي في النهاية إلى انقسام الوعي الاجتماعي على نفسه"(٥٤). و"هنا نتساءل:

كم من الزمن يحتاج إليه التغيير أو التحول الذي ننشده؟ يجب أن نعلم أن الزمن جزء من العلاج، وأن من المستحيل أن تبلغ مناك بين عشية وضحاها، إذا كان قدر الله أن هذه

- كل أو أغلب أحكام الإسلام، وفي شؤون المال خاصة، ويحللون ويحرمون وفق أمزجتهم وأهوائهم ومصالحهم، ضارين عرض الحائط بكل فضيلة، أو حكم ديني في صميم المعاملة والإدعان للحق ومنهج الاستقامة" (٥٥).
- وإن أهم الأسباب الدافعة إلى هذا النخر، هو ذلك الفصام النكد لدى كثير من الناس بين الدين والدنيا، بين المسلم في محرابه متبتلاً، وبينه في سوقه متمولاً، بين الصائم نهاره طاعة لله، ثم هو في ليله مقترف لمعاصي الله، باحث عن الشهوات والملذات، وإن كانت من المحرمات.. إنه الانفصام النكد، الذي يجعل بعض الصائمين والمصلين ينسون أوامر الله في أعمالهم، فإن كان تاجراً غش وأقسم زوراً، لا يعنيه شيء من أمر الحلال والحرام، ما دامت سلعته رائجة، وتجارته غير كاسدة. وإن كان موظفاً ربما وقع في الرشاش، وأهمل العمل، ولم يؤده بالشكل المطلوب المتقن (٥٦) □
- الهوامش:**
- (١) صحيح ابن حبان: (رقم: ٧٤٨١).
- (٢) المنذري، الترغيب والترهيب: (رقم: ٣٣٣٢)، رواه البزار والطبراني من طريق كثير بن عبد الله المُنْزِي وَهُوَ وَاهٍ وَقَدْ احْتَجَّ بِهِ التِّرْمِذِيُّ وَأَخْرَجَ لَهُ ابْنُ خُرَيْمَةَ فِي صَحِيحِهِ وَبَقِيَّةُ إِسْنَادِهِ نَقَات.
- (٣) محمد الغزالي، الإسلام والاستبداد السياسي: (ص ٦٨).
- (٤) فواد البناء، الإيدز الأسود: (ص ٦-٧).
- (٥) مجدي الهلالي، عودة الروح وبقظة الإيمان: (ص ٣٣)، بتصرف.
- (٦) خالص جليبي، قوانين التغيير: (ص ١٨٨).
- (٧) مجدي الهلالي، عودة الروح وبقظة الإيمان: (ص ٣٣)، بتصرف.
- (٨) جزء من حديث متفق عليه، رواه مسلم: باب تحليل الغنائم لهذه الأمة: (٥٧٦/٤-٣٢-١٧٤٧)، البخاري: (رقم: ٣١٢٣) عن أبو هريرة رضي الله عنه.
- (٩) رعودة الروح وبقظة الإيمان: (ص ٣٤).
- (١٠) شرح النووي لصحيح مسلم: (٣٢٨/٦).
- (١١) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): (٢٧٨-٢٧٩).
- (١٢) في ظلال القرآن: (٨٦٩/٢).
- (١٣) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: (ص ٢٣٧-٢٣٨).
- (١٤) الماوردي، النكت والعيون: (٢٤/٢).
- (١٥) نفسه.
- (١٦) الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن: (١٩١/١).
- (١٧) التحرير والتنوير: (٤٩٤، ٤٩٥).
- (١٨) خواطر الشعراوي: (٣٣١/١).
- (١٩) خواطر الشعراوي: (٣٣٤-٣٣٦).
- (٢٠) في ظلال القرآن: (٧٢/١).
- (٢١) معجم اللغة العربية المعاصرة: (١٤٥٧/٢).
- (٢٢) الخواطر: (٣٥٨/١-٣٦٢)، بتصرف.
- (٢٣) الخواطر: (٣٦٤/١، ٣٦٧).
- (٢٤) في ظلال القرآن: (٨٧١/٢).

- (٢٥) تفسير المنار: (٢٧٥/٦).
- (٢٦) محمد محمد بدري، نحو مجتمع الحرية: (ص١٥-١٦).
- (٢٧) خطب الشيخ الغزالي: (١٥١/٥-١٥٢).
- (٢٨) نحو مجتمع الحرية: (ص١٥، ١٦).
- (٢٩) تفسير المنار: (١٨٥/٩).
- (٣٠) سيد طنطاوي، التفسير الوسيط: (١٦٩٩/١).
- (٣١) لسان العرب: (٢١٠/٧).
- (٣٢) التحرير والتنوير: (٨٧/٩).
- (٣٣) تفسير المنار: (١٠٦/٩).
- (٣٤) التحرير والتنوير: (٨٧-٨٨/٩).
- (٣٥) الإيدز الأسود: (ص٨) بتصرف يسير.
- (٣٦) جاسم بن مهلهل الياسين، تأملات في ثقافة التغيير: (ص١٦٣-١٦٤)، بتصرف.
- (٣٧) في ظلال القرآن: (٢٣٣٣/٤).
- (٣٨) محمد أحمد الراشد، المسار "نظرية الأجيال القيادية": (ص٥٠٣ وما بعدها).
- (٣٩) نفسه: (ص٥٣٠).
- (٤٠) يراجع سورة الكهف الآيات: (٦٠-٦٥).
- (٤١) أبو المظفر السمعاني، تفسير القرآن: (٢٨/٢).
- (٤٢) الطبري، جامع البيان: (١٩٢/٢).
- (٤٣) سيكولوجية السلطة: (ص٥٦).
- (٤٤) الاستبداد لغة هو غرور المرء برأيه، والأنفة عن قبول النصيحة، أو الاستقلال في الرأي، وفي الحقوق المشتركة. وفي اصطلاح السياسيين: هو تصرف فرد أو جمع في حقوق قوم بالمشيئة، وبلا خوف تبعه... ومن صفات
- المستبد: التحكم في شؤون الناس بإرادته لا بإرادتهم، ويحكم بهواه لا بشريعتهم، المستبد عدو الحق، عدو الحرية وقاتلها، المستبد يتجاوز الحد ما لم ير حاجزا من حديد، المستبد إنسان مستعد بالطبع للشر، ويود أن تكون رعيته كالغنم... والنتيجة أن المستبد فرد عاجز، لا حول له ولا قوة إلا بالمتجمدين... يراجع: عبدالرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد: (ص٢٣-٢٨، ٦٠).
- (٤٥) في ظلال القرآن: (١٣٦٧-١٣٦٤/٣).
- (٤٦) سيد قطب، دراسات قرآنية: (ص١٢٩-١٣١)، بتصرف يسير.
- (٤٧) تفسير الطبري: (١٨٩/١٠).
- (٤٨) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: (١٢٢/٢).
- (٤٩) النهاية في غريب الحديث: (٤٤٦/٣).
- (٥٠) معجم اللغة العربية المعاصرة: (١٦٧٤/٣).
- (٥١) العين: (٣٣٢/٧).
- (٥٢) في ظلال القرآن: (٨٧٠-٨٧١/٢).
- (٥٣) خطب الشيخ محمد الغزالي: (١٥٥/٥).
- (٥٤) عبدالكريم بكار، من أجل انطلاقة حضارية شاملة: (ص١٨٤).
- (٥٥) وهبه الزحيلي، أخلاق المسلم: (ص١١-١٢).
- (٥٦) تأملات في ثقافة التغيير: (٢٦-٢٧)، بتصرف.

قراءات سياسية



أحمد الزاويتي

القضية الكردية من التأثير إلى التأثير

كح عانت كوردستان كثيراً من كونها مركز التأثير الإقليمي، خاصة في المائة سنة الأخيرة، فهي كانت الأكثر تأثراً باتفاقية (سايكس - بيكو)، بعد الحرب العالمية الأولى، حيث حُرم أكبر شعب في المنطقة من أن تكون له دولة، ولم يقف التأثير بالمتغيرات الجيوسياسية عند حد الحرمان من الدولة وحسب، بل توسع إلى حد أن يعاني كل جزء من أجزاء كوردستان، في دولها الجديدة (تركيا، إيران، العراق، سوريا) من حرب للقضاء على الوجود الكردي كجغرافيا (وطن)، وكيانسان (مواطن)، خاصة بعد ثورات اندلعت رفضاً للواقع الجديد. ففي تركيا قامت ثورة الشيخ (سعيد بيران) عام ١٩٢٥، وأفرزت حالة عداوة تركية للقضية الكردية، بدأت بإعدام الشيخ (سعيد بيران)، مع قيادات الثورة، وقتل ١٥ ألف من الشوار الكورد، وإزالة ٢١٠ قرية من الوجود، ونهب ممتلكات وثورات كل من وصلت إليه أيدي الجنود الأتراك، وتهجير مئات الآلاف من الكورد إلى الدول المجاورة.

وقد امتدت حالة رفض الوجود الكردي كقضية شعب، إلى ما يقرب ثلاثة أرباع القرن، واستمرت كوردستان الشمالية في حالة شبه حرب، نسي بسببها ملايين الكورد هناك لغتهم، وتركوا ديارهم ليذوبوا في المجتمع التركي تماماً، ولتتحول الجزء الكردي من تركيا إلى أفقر المناطق، رغم أنه في الأصل أكثر المناطق من حيث الغنى في مجالات المياه والأراضي الزراعية، بل حتى النفط والثروات الأخرى.

وبعد قرن من الزمن، وبعد استمرار النضال الكردي في تركيا، واقتناع الحاكمين هناك بأن القضية الكردية أصبحت تتحول من مركز التأثير إلى مركز التأثير، بدأوا يراجعون حساباتهم، ويضعون خطاً لحل المشكلة، ويعيدون الاعتراف بأن هناك مشكلة ويجب أن تحل، وهي أولى نتائج التحول من التأثير إلى التأثير.

ما تحدثنا عنه يظهر أكثر جلاءً في كوردستان الجنوبية (العراق)، التي سبقت كوردستان الشمالية عندما قام الشيخ (محمود الحفيد) بثورته في (السليمانية)، وأعلن عن (مملكة كوردستان) عام ١٩١٩، فيما لم يكن قد أعلن عن (العراق) بعد. لكن ثورة الشيخ (محمود) اصطدمت بإرادة المستعمر البريطاني، الذي تصدى بكل عنف لثورة (الحفيد)، وقضى البريطانيون باسم العراق الجديد على الثورة. وبعد ذلك اندلعت ثورات (الملا مصطفى

البارزاني)، التي بدأت في أربعينيات القرن الماضي، واستمرت حتى منتصف السبعينيات، لتخمد، ثم تتجدد بقيادة شباب شبّوا على الثورة، وهم (مسعود البارزاني، و(جلال الطالباني)، و(سامي عبدالرحمن)، وآخرين، وصولاً إلى الانتفاضة عام ١٩٩١.

انتقلت حالة العداء الاستعماري للإرادة الكوردية في (العراق) من المستعمر إلى السلطات العراقية، التي شكّلها الاستعمار، بدءاً من الملكية، ومروراً بالجمهورية، ولا تزال حالة العداء الاستعماري موجودة في كل سلطة عراقية تحكم في (بغداد)، وحتى الآن، رغم أن الكورد في (العراق) يرون أنفسهم حالياً جزءاً من تلك السلطة.

كانت كوردستان مركز تأثر سلبي نتيجة عداء أنظمة الحكم المركزية في (العراق) للقضية الكوردية، فنتج عن هذه الحالة دمار ٤٥٠٠ قرية، وقتل ما يقارب النصف مليون إنسان خلال مائة سنة، وتهجير مثل هذا العدد من موطنهم.

لم يتنفس الكورد الصعداء في (العراق) إلا بعد أن تحولت القضية الكوردية في (العراق) من حالة التأثير إلى حالة التأثير حالياً، ف(أربيل) أصبحت مركزاً لحل ما يمر به (العراق) من أزمات سياسية وأمنية وعسكرية، ويجب أن تستمر كوردستان في حالة التأثير حتى تصل إلى حالة من الاستقرار تكسب معها ما فقدته خلال قرن.

أما لو تحدثنا عن كوردستان الشرقية (إيران)، والغربية (سوريا)، فستطيع القول بأنه رغم أن كوردستان في (إيران) واكبت ثورات كوردستان في (تركيا) وفي (العراق)، ففيها تم الإعلان عن (جمهورية مهاباد)، ومن ثم تم القضاء عليها بتواطؤ دولي مع السلطات الإيرانية، ومن ثم أصبحت كوردستان ضحية ظلم إيراني استمر حتى الآن، فرغم ثورات ونضال الكورد إلا أنه لم تستطع كوردستان الشرقية أن تنتقل من حالة التأثير إلى حالة التأثير، ولا تزال كوردستان هناك تعيش حالة التأثير السلبي من عداء النظام للقضية الكوردية في إيران.

كذلك كانت القضية الكوردية في (سوريا)، التي لم تعش ثورة ولا مقاومة أو مواجهة مع النظام إلا مؤخراً، بعد الثورة السورية، فالقضية الكوردية في (سوريا) كانت - ولا زالت - أسيرة التحرك الكوردي في الشمال (تركيا)، والجنوب (العراق)، سواء بموالاتة (حزب العمال الكوردستاني)، وقبول فكر (عبدالله أوجلان)، أو بموالاتة (الحزب الديمقراطي الكوردستاني)، بزعامة (الملا مصطفى البارزاني) - سابقاً - و(مسعود البارزاني) - حالياً - وكذلك موالاتة (الاتحاد الوطني الكوردستاني)، بزعامة (جلال الطالباني). وكان سبب ذلك أن السلطات السورية لم تعترف - ولا تزال - بوجود كوردي في (سوريا)، وكان الكورد هناك محرومون حتى من انتمائهم السوري، ولم تتبلور القضية الكوردية في (سوريا) عن نموذج خاص بها، وربما ما يجري في (كوباني) الآن من مقاومة بطولية ضد مسلحي (داعش)، والاهتمام الدولي بهذه المقاومة، في وقت تشكل فيه تحالف دولي ضد (داعش)، قد يبلور نموذجاً خاصاً للقضية الكوردية في (سوريا)، يحول القضية من حالة التأثير إلى حالة التأثير مستقبلاً □

مقالات

- تحديات تواجه الصحوة الإسلامية المعاصرة
عمر عبدالعزيز
- داعش والتحالف الدولي.. خيارات المواجهة
سرهه أحمد
- الإسلاموفوبيا من الغرب إلى الشرق
جاسم محمد الشرنخي
- لا تكن خيراً منه فتهلك وتهلك
فاتن محمد
- لماذا قبل الرسول الحجر الأسود
د. سعد الديوه جي
- البرازيل أنموذج الدولة الوطنية المتطلعة للنهوض!
هفال بروراي

تحديات تواجه الصحوة الإسلامية المعاصرة..

ومقترحات حلول



د. عمر عبد العزيز

بعد هذه الانتفاضة الوسيعة – التي تلت غفوة لم تدم طويلاً – ورغم نجاح الصحوة في إعادة ملامح الإسلام إلى أبناء الأمة، وتقدمها في مجال إحياء العاطفة الدينية في قلوبهم، ورغم انتشارها المكثف في شرق الوطن الإسلامي وغربه، رغم كل ذلك، نلاحظ ونشهد كثيراً من الإخفاقات، وقصوراً خطيراً في الأداء، كما نلاحظ أن هذه الصحوة تواجه الآن بتحديات خطيرة، سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي، قد يكون من الصعب تحديدها حصراً، إلا أنني أحاول أن ألقى ضوءاً على أهمها في نقاط، لأنني لست مع العاطفيين الذين يطبقون الطرف عما يجري حولهم ويحدث من المشاكل والإخفاقات العديدة المتنوعة:

كهمن المعلوم أن بزوغ الصحوة الإسلامية ظاهرة تاريخية معاصرة، ولدها سقوط الخلافة العثمانية، وهيمنة الدول الاستعمارية، وحالة التفكيك السياسي في الأمة الإسلامية، ثم الاختلال العقدي الذي روج له دعاة العلمانية المتطرفة باسم التنوير، ثم التدهور الخلقي والقيمي، والدعوة للتغريب والتبعية الثقافية، باسم التطوير والتحديث والمواكبة. وبعد أن بدأت الأمة ترزح تحت هول هذا المثلث اللعين، هبّ رجال مجدّدون ومصلحون كبار لإذكاء روح المقاومة، بالدعوة إلى العودة إلى الإسلام عقيدة، والتمسك بأحكامه وقيمه شرعية، بل النهوض ضد المستعمر المحتل، والدعوة لإعادة مجد الأمة وعزّها.

التمثل في: ضعف تطوير المكاسب، وفقدان الذاتية، وتدني الهمة، والانهيار بالغرب، وسريان روح التبعية والاتكالية والإمعية، والكسل والبطالة..

رابعاً/ على الصعيد المنهجي: يمكن ذكر تحدي فقدان رؤية فكرية واضحة تجاه التعامل مع كثير من معطيات العصر ومستجداته، وانعدام ما يمكن أن نسميه (فقه المرحلة)، أو (فقه العصر)، وعدم التفريق الكامل بين الابتداع - كأمر مرفوض - والإبداع، كسنة كونية إسلامية مطلوبة.

خامساً/ على الصعيد السلوكي والروبي: نلمس ظاهرة تدني السلوك الإسلامي الأصيل، وتدهور الأخلاق والفضائل العالية، وطفغان الشكليات على الجواهر والمضامين، والمظاهر على المضامر والمقاصد.

سادساً/ على صعيد المؤسسات والآليات: يعاني أبناء الصحوة من كثرة المشاريع الإصلاحية النظرية، وتعدد الفئات والجماعات والمؤسسات الدعوية والسياسية، مع انعدام مشروع ناضج لتنسيق يناسب المرحلة. وكذلك كثرة الخلافات الجزئية، التي تستهلك طاقات شباب الصحوة وقياداتها، وتجعلها منشغلة بمشاكلها الداخلية في أكثر الأوقات، وعلى رأسها جدلية العلاقة بين العمل الدعوي والعمل السياسي.

سابعاً/ على الصعيد الاجتماعي والثقافي: يمكن التنويه بالخلط الحاصل بين التقاليد

• تحديات على الأصعدة الداخلية:

بما أن المعوقات والمشاكل الداخلية التي تعترض طريق الصحوة - التي تقودها حركات وقوى إسلامية عديدة - كثيرة ومتشعبة وطاقية على ميادين عديدة، أضطر أن أشير إلى أبرز أصعدتها ومجالاتها في نقاط مركزة:

أولاً/ على الصعيد الفكري: يمكن الإشارة إلى تحدي أنماط عديدة من الغلو في الدين، والتطرف الفكري، وطفغان المفاهيم المغلوطة، والخلط بين بعض الأحكام الشرعية، كما حدث في التعامل مع مفهومي (القتال والجهاد)، و(التعامل مع غير المسلمين من الخارين والمسلمين)، وكذلك ما حدث في مجال التعامل مع قضايا المرأة، والشباب، والفنون، وبعض الظواهر الحضارية، التي لعبت دوراً خطيراً في تشويه صورة الإسلام.

ثانياً/ على الصعيد السياسي: نشير إلى تحدي انعدام الرؤية السياسية تجاه قضايا ساخنة معاصرة، كمشكلة القوميات وقضاياها، والأقليات غير المسلمة، والتعامل معها، وموجة العولمة والحداثة، وخطر الثورة الإعلامية العارمة، وتكنولوجيا الاتصالات، وغيرها..

ثالثاً/ على الصعيد الحضاري: يمكن الإشارة إلى التخلف الحضاري للشعوب المسلمة،

أما التحديات الخارجية - وأقصد خارج نطاق الصحوة بالدرجة الأولى-، فهي كذلك عديدة ومتنوعة، أهمها هي:

أولاً/ شمولية الأنظمة العربية والإسلامية، وتضييقها المتعمد على الحركات الإسلامية، والعداء السافر لمعظمها مع التيارات الإسلامية، لاسيما التيار الوسطي الفعال والمؤثر في الساحات والميادين. ولقد أثبتت تعامل العلمانيين المتطرفين في دول عربية عديدة، مدى تعنت وشراسة تعاملهم مع الإسلاميين، حتى بعد مهب التغيير الذي سمي بالربيع العربي، حيث لا يقرون الحضور للإسلاميين في ميادين الحكم والإدارة، حتى وإن أتوا عن طريق الشرعية الانتخابية والطرق القانونية المتبعة.

ثانياً/ تحدي معظم التيارات العلمانية، التي أشرت على الشعوب المسلمة، ومعاداة المتطرفين فيها للمشاريع الإسلامية، بل انحراط العديد منها في مسالك المتورطين مع الأنظمة القمعية في التآمر على الإسلاميين، لا سيما في الدول التي لم تتنعم بنسيم ربيع التغيير السياسي.

ثالثاً/ تحدي القوى الاستكبارية العالمية المتجبرة، والمشاريع الصهيونية والصليبية المعادية، والقرارات الدولية المجحفة بحق الأمة الإسلامية.

رابعاً/ تحدي ثورة تكنولوجيا الفضائيات، وشبكة العنكبوت العالمية الغازية، وموجة

الاجتماعية والقيم الإسلامية، واللجوء إلى التأويلات غير المسوّغة، سعياً لتلوين التقاليد بصيغة دينية، لا سيما في مجال التعامل مع قضايا المرأة والفن والأعراف الاجتماعية، وكثرة اللجوء إلى قاعدة (سد الذرائع)، دون استناد علمي، وتقصّ شرعي.

ثامناً/ على الصعيد الإداري: يمكن ذكر قلة الإتقان المطلوب في معظم الأمور، وضآلة الإحسان المأمور به، وضعف الجودة التي علمناها الإسلام الخفيف، في معظم الميادين الإدارية، وانعدام شبه كامل في توظيف الطاقات، بل كشفها وتشخيصها من الأساس، وغياب ظاهرة دراسة السيناريوهات والخيارات، التي استلهمها الغربيون من مناهج علمائنا التجريبيين، الذين تحدثوا عن: أحسن الاحتمالات، وأحسن الأقوال، وأحسن الأعمال، وأقوى الآراء، وأرجح الاجتهادات.. الخ. بل الذي ساد شعوبنا الإسلامية - في هذا العصر- حالة الانكفاء الذاتي، وانعدام روح المؤسسة، وفقدان الانضباط، وضعف الآليات والأنظمة في معظم المفاصل الحياتية، إضافة إلى تشتت وتشردم طاقات إبداعية عديدة في العالم، نتيجة هجرة العقول العلمية، وبقاء أصحاب الشهادات العليا في دول المهجر، لا سيما الدول الأوروبية.

• تحديات على الصعيد الخارجي:

ولا بد لتحقيق ذلك من خلق منافسة إيجابية لتقديم أحسن المشاريع العملية، وأفضل الخيارات والسيناريوهات المطروحة، خدمة ما أشرنا إليه.

ثانياً/ إحياء روح التحديث والتجديد والاجتهاد العصري، والتفكير الجاد في وضع برامج تطويرية في جميع مجالات: مناهج التعليم، والمناهج التربوية، والمشاريع السياسية، والخطابات الدعوية، والدراسات الشرعية، وتدوين الفقه المعاصر، وغير ذلك.

ثالثاً/ السعي الحثيث لترشيد الصحوة الإسلامية، سواء على مستوى أفرادها وأتباعها، أو على مستوى رموزها وقياداتها - فكرياً وتربوياً - أو على مستوى برامجها ومشاريعها وأنظمتها ولوائحها.

رابعاً/ التمهيد لإيجاد آلية عالمية، لغرض التنسيق بين التيارات والقوى الإسلامية، كخطوة لاستحداث مرجعية تشاورية مستقبلية.

خامساً/ مراجعة جدية لأساليب الدعوة إلى الإسلام، وأنماط الخطاب الدعوي، الذي يحتاج إلى تطوير يناسب المرحلة، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ وقوله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

سادساً/ العودة لإعطاء المصادقية العلمية لسلمات وخصائص الواقعية، والربانية،

وسائل الإعلام والاتصالات العارمة، وتأثيرها الملموس على الرأي العام. وضعف التحدي الإسلامي لمواجهتها، إلى درجة انعدام الخطط والسبل الكفيلة بالمواجهة، إن لم أقل انعدام رؤية إسلامية متكاملة ومتوازنة لمواجهتها، وإيجاد حلول وبدائل.

مقترحات حلول

بما أن أمتنا الإسلامية أمة واحدة، مأمورة بالوحدة، ومنهية عن التفرّق والاختلاف، وفق قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾، وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا﴾ آل عمران/ ١٠٥، وبما أنها تعتبر (خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ). وبما أنها تمتلك من الإمكانيات والنعمة والطاقات الكامنة، ما لا يمتلكه الآخرون، وبما أن المسلمين مأمورون أن لا ييأسوا من روح الله، لا بد من الحديث عن الحلول، بل السعي الحثيث لإيجادها. ولهذا فإنني، في هذا السياق، سأستعرض في نقاط محددة أهم الخطوات اللازمة - في نظري - لمواجهة تلكم التحديات، على صعيديها الداخلي والخارجي:

أولاً/ لا بد من السعي الجماعي لتوحيد رؤية متقاربة حول جميع القضايا، بعيداً عن التزمّت الفقهي، والتعصب الحزبي، والنزعة الفتوية والطائفية. ومحاولة الاجتماع على المشتركات والثوابت، وترك الخلافات جانباً.

الإعلام والنشر، والخطب والمواعظ.
٣- التأكيد - يجب ذلك - على ضرورة حفظ الهوية الدينية والخلقية والوطنية والقومية، وإبراز الجوانب المشرقة لتاريخ الحضارة الإسلامية، وشعوبها، وإنجازاتها.

٤- دعم مؤسسات الإعلام والشبيبة والطلاب والمرأة والعلماء والدعاة والساسة والبرلمانيين، وإتاحة الفرص أمامهم، لقيام كل منهم بدوره في أداء الواجبات المذكورة أعلاه.

٥- وعلى الساسة والمؤسسات والهيئات التشريعية، العمل الدؤوب لتغيير الدساتير التقليدية، وتعديل القوانين والتعاليم المستلزمة منها، وفق معطيات العصر، ومتطلبات المرحلة. وهذا ما تؤكده ثوابت الدين الإسلامي، ومقاصد تشريعه، ومرونة أحكامه.

هذا ما أسعفت به إخواني في هذه العجالة، في مجال تحديد أهم (التحديات) التي تواجه الصحوة الإسلامية المتنامية، مصطحبة بعرض ما رأيته (مقترحات حلول)، وإن شئتم فاجعلوا من مثل هذا المقال مفتاحاً لفتح باب مناقشة الموضوع بإسهاب أكثر. ولقد وددت بذلك أن أخلق لدى القراء الكرام شيئاً من العصف الذهني، عسى أن يجزّنا للحديث عن الموضوع بجديّة أكثر، والله من وراء القصد، وهو هادي السبيل □

والتييسير، والتبشير، والتسامح، المعروفة بها شريعة الإسلام. وتحريم جميع أساليب التنفير، والتعسير، والتشديد، والغلو، والتطرف، والتعنّت، والتعنيت، والعنصرية، والطائفية، والفئوية..

سابعاً/ محاولة لم الطاقات الإسلامية، باختزال المؤسسات الفكرية والفقهية (العالمية) في آليات جامعة، على غرار أجنحة (الأمم المتحدة)، ومؤسسات (المؤتمر الإسلامي)، أو (الجامعة العربية)، مثل الجهود البدائية المشكورة في (الاتحاد العالمي للمنظمات الطلابية)، وغيرها، إسناداً لجسور التلاقي والتفاهم بين القوى والاتجاهات. وسيترتب على هذا الأمر توفير كثير من الإمكانيات، وجمع الشمل، وتقريب وجهات النظر.

ثامنًا/ وعلى مستوى الشعوب والحكومات، لا بد من القيام ببعض الأمور، منها:

١- العمل على توعية الشعوب، كي يتحول أبنائها من مستهلكين داعمين لمنتجات الغرب، إلى منتجين ومعتمدين على الإنتاج الوطني والصناعات المحلية، رغم ضآلتها وقلة جودتها. وهذا يقتضي أن يواكبه دعم المشاريع الزراعية والصناعية المحلية، حتى وإن كانت بدائية.

٢- فضح الجوانب السلبية للعولمة الفكرية والثقافية والاقتصادية، من خلال وسائل

يُصعد التحالف الدولي، بقيادة (الولايات المتحدة الأمريكية)، مواجهته ضد تنظيم (الدولة الإسلامية/ داعش) في (العراق) و(سوريا)، وهذا ما تدل عليه المعطيات الميدانية، مسبقة بتصريحات القادة العسكريين.

فتكثيف التحالف الدولي لغاراته الجوية، على مواقع (داعش)، واستهدافه لقيادات التنظيم المتطرف، يقابله لجوء الأخير إلى رفع وتيرة هجماته على مناطق عدة، محاذية لتمرّكزاته في (العراق) و(سوريا). وهو ما بدا جلياً في تسخين جبهة المواجهة ضد قوات البيشمركة في قضائي الـ(دبس) و(الحوبيجة) بـ(كركوك)، وناحيتي (قره تبه) و(كوله جو)، في منطقة (كرميان)، والهجوم المضاد على (ربيعة) بـ(الموصل) - على اعتبار أن الكورد جزء من التحالف الدولي -.. ومن جانب آخر، تصعيد هجماته ضد القوات العراقية في غرب البلاد، وشمالها، رغم تقهقره في مدينة (بيجي) النفطية. وفي (سوريا) الدفع بـ(جبهة النصرة)، الموالية له، إلى حصار مدينة (عفرين) الكوردية. ناهيك عن إظهاره تماسكاً في أحياء بـ(كوباني)، مع ما يقع في صفوفه من قتلى، وصل عددهم منذ العدوان على المدينة، في السادس عشر من شهر أيلول الماضي، ولغاية الخامس عشر من شهر تشرين الثاني المنصرم، إلى ٧١٢ قتيلاً - بحسب توثيق المرصد السوري لحقوق

داعش والتحالف الدولي.. خيارات المواجهة



سرهد أحمد

أضعاف تقديرات وكالة المخابرات المركزية، التي بلغت تقديراتها لعددهم ٣١,٥ ألف مقاتل. وإلى جانب التكتيكات الميدانية، يبدو أن (داعش) يتبنى استراتيجية (الردع)، والتي تقضي بإبداء القدرة على امتصاص



الضربات الاستباقية الموجهة من العدو، وفي ذات الوقت الرد بالمثل - هنا مع الفارق - فالرد المضاد لـ(داعش) يستهدف سايكولوجية الخصم. وهذا بدأ واضحاً في قيامه بعمليات ذبح لرهائن على الهواء، آخرهم عامل الإغاثة (بيتر كاسيغ)، الذي كان قد خطف في سوريا عام ٢٠١٣. فداعش) غير معدوم الخيارات والبدائل - رغم محدوديتها - في مواجهة التحالف الدولي، وهو ما استقرأه وأقر به السيناتور (جون ماكين)، عضو مجلس الشيوخ الأمريكي، عن (الحزب الجمهوري) بالقول: "داعش ينتصر.. على الأقل بنظر المتطرفين الأصغر سناً في الشرق الأوسط".

لكن اختيارات هذا التنظيم بين البدائل مختلفة، وهذا طبيعي من منظور علم السياسة، لكونه تنظيمًا لا دولة تركز على مفاصل متعددة، وإن سمي نفسه دولة. أما التحالف الدولي، فخياراته كثيرة، وبدائله وفيرة، ولا عجب فهو مجموعة دول عظمى، تجد في وجود (داعش) خطراً يهدد

الانسان - إثر ضربات وجهتها له - ولا تزال - الوحدات الكوردية، ولاحقاً دخول البيشمركة على خط المواجهة هناك.

تحرك (داعش) على أكثر من محور في آن واحد، يكشف عن رؤية عسكرية لقيادة التنظيم، مفادها، المضي قدماً، وأن الضربات الجوية لن تعيق تغلغله في أي منطقة متى شاء. كما يكشف عن امتلاكه جيشاً جراراً، أكثر عدداً من المتوقع استخبارياً، وهو ما أكده رئيس ديوان رئاسة إقليم كردستان (فؤاد حسين)، الذي قال إن تنظيم (داعش) جنّد جيشاً مكوناً من مئات الآلاف من الجنود الأقوياء، وهو ما يعد أكثر بكثير من التقديرات السابقة، التي أقرتها وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية.

وقال (فؤاد حسين) لـ (الاندبندنت): إن قدرة التنظيم على مواجهة العديد من الجهات المتفرقة، على نطاق واسع، في كل من (العراق) و(سوريا)، يظهر في ذات الوقت أن أعداد المسلحين يبلغ على الأقل ٢٥٠ ألف مقاتل، أي ما يعادل سبعة أو ثمانية

وطالما بقيت الحرب مفتوحة، فإن كلا الطرفين سيلجأ إلى خيارات المواجهة لحسم المعركة لصالحهما، على الأقل بالنسبة لـ(داعش)، لمحدودية بدائله، حيث سيسعى لكسب المزيد من الوقت كاستراتيجية مرتقبة، يستطيع من خلالها زيادة عدد مجنديه، وتكريس واقع مغاير على الأرض التي يسيطر عليها حالياً. وربما يخفي التنظيم مفاجآت سيكشف عنها حسب المعطيات الميدانية، خاصة مع زيادة الضربات الجوية، وتضييق الخناق عليه برباً، تحديداً في (الموصل) و(الأنبار) و(صلاح الدين)، وهو الاحتمال الأقرب، بناء على مؤشرات مستقاة من تأكيدات وزير الدفاع الأمريكي (تشاك هيغل)، عقب حضوره تدريباً لقوات الجيش الأمريكي في صحراء (موجافي) بولاية (كاليفورنيا)، قال فيها إن بلاده تسرع تدريب القوات العراقية.

العام الجديد الذي لم يتبق على مجيئه سوى أيام قلائل، سيشهد تطورات دراماتيكية متسارعة على مسار الحرب بين (داعش) والتحالف الدولي، ستفضي وفق مؤشرات قوية إلى طرد عناصر التنظيم من العراق - القيادات الأجنبية وأمراء المحاور وعديد المجندين المحليين - ودفعها باتجاه (سوريا)، كخطوة أولية، حيث سيجري إعداد سيناريو مختلف بعض الشيء لدرها هناك أيضاً، وإن نسيباً □

أمنها القومي، حتى وهو متمرس في (الشرق الأوسط)، باعتبار هذا الجزء من جغرافية العالم منطقتة (الجيو سياسية). وهذا يتضح من طلب (باراك أوباما) من فريق الأمن القومي تقديم مراجعة جديدة للاستراتيجية الأمريكية حيال (سوريا)، على ضوء واقع جديد يؤثر إلى أن هزيمة تنظيم (داعش) لن تكون ممكنة دون حل سياسي يقتضي رحيل رئيس النظام السوري (بشار الأسد) عن السلطة، وفق شبكة CNN.

فاخطوة، وإن اعتبرت تراجعاً عن الاتجاهات السابقة للإدارة الأمريكية، التي كانت تعتقد بإمكانية التركيز على ضرب التنظيم في (العراق)، ومن ثم استهداف مسلحيه في (سوريا)، دون ضرورة التركيز على رحيل (الأسد) عن السلطة، فهي تعني في ذات الوقت خياراً جديداً على طريق القضاء على (داعش).

وحسب الشبكة المشار إليها، فإن الإدارة الأمريكية باتت على قناعة بأن التركيز على (العراق) بمفرده لن ينفع، خاصة وأن الجيش السوري الحر، الذي تراهن عليه (واشنطن) لقتال (داعش)، يخوض مواجهات أيضاً مع قوات النظام، و(جبهة النصرة). ومن بين الخيارات المطروحة لمساعدة المعارضة السورية، إمكانية فرض منطقة حظر جوي، عند الحدود التركية، وتسريع عمليات التدريب.

كبح ظاهرة الرهاب الإسلامي، أو الخوف المرضي من هذا الدين، في الغرب، لاشك أنّ لها جذوراً ممتدة في التاريخ، تضافرت عوامل كثيرة على نشأتها، ومن ثم تقويتها، حتى تشكّلت الصورة النمطية، والحكم المسبق على الإسلام والمسلمين بالإدانة والاتهام عبر العصور، لكنّ هذا التّحامل والكرهية قد ارتفعت وتيرتهما، وتضاعفت حدّتهما، خلال أكثر من عقد من الزمن، إلى درجة أن تحوّل العداء لكلّ ما يمت إلى الإسلام بصلّة، من حالات إلى ظاهرة، ومن ثمّ إلى "أمر مشروع"، على حدّ قول (مسعود شاردرجره)، رئيس لجنة حقوق الإنسان الإسلامية في (المملكة المتحدة)، وصار الحال في (بريطانيا) - على سبيل المثال - أن لا تخلو الصحف اليومية من خبرين أو ثلاثة من حالات الاعتداء على المسلمين، مثل خلع الحجاب، أو البصق في الوجه..

وإذا كانت تلك الثقافة العدائية في الغرب تجاه ديننا، مصيبة كبيرة، يتطلّب الأمر معها أن يقوم كل مخلص لهذا الدين، بما في وسعه، من أجل تغيير تلك الصورة الكريهة، وتقديم الإسلام في حقيقته البهية. فإن الكارثة الحقيقية أن تتعرض صورة الإسلام، في نفوس كثير من المنتسبين إليه، أنفسهم، إلى هزّة شديدة، وأن ينتقل مرض الرهاب الإسلامي إلى العالم الإسلامي نفسه، فيتزعزع

الإسلاموفوبيا

من الغرب إلى الشرق



جاسم محمد الشرنجي

الدين". وصرنا نرى من يتجرأ فيطعن في كتاب الله تعالى، بأنه يزخر بنصوص كثيرة تحرّض على العنف والقتل والإرهاب، وأنّ الإسلام ما كان أن ينتشر إلّا بحمدّ السيف، وأنّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) هوّ الذي شرّع قتل الأسرى، بل إنّ القرآن الكريم - حسب زعمهم الباطل - قد عاتب النبيّ لعدم قيامه بمجزرة في حقّ أسرى (معركة بدر)، ويستدلون بتلك الآية التي تصدّرت بعبارة { ما كان }، والتي ارتبطت بواقع تاريخي مضي، لا بحكم شرعي مفروض من قبل الشارع الحكيم عزّ وجلّ. قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُثَخَّرَ فِي الْأَرْضِ، يُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. فتلك أهمّ الشبهات التي يثيرها هذه الأيام صنّاع الإسلاموفوبيا، أوّلئك الذين وجدوا فرصتهم سانحةً للصيد في الماء العكر، وأظهروا - بطعنهم المتكرر المتواصل على صفحات الأنترنت، وغيره - أنّهم رأوا موبقات (داعش) هدايا قدّمت إليهم على طبق من ذهب، وكأنّهم كانوا ينتظرون مثل ذلك كي تنقياً أفواههم قيحاً تنناً، أثبتوا به للعالم كلّه، أنّهم أبعد ما يكونون عن الإيمان، ولا يحملون من الإسلام سوى أسمائهم، التي تظهر أنّهم ولدوا من آباء مسلمين ليس إلّا. ولست أرى داعياً للتفصيل في الرد على أوّلئك النفر،

الإيمان في قلوب البعض بعظمة الإسلام، كدين جاء لإسعاد البشرية، ورحمة مهداة للعالمين. فباتوا يشككون في ثوابت الإسلام، ويشيرون الشبهات المردودة، التي أثارها الأعداء الكافرون منذ عهد بعيد، وظنّ الناس أنّ الزمن قد تجاوزها إلى غير رجعة، فإذا بالجميع قد فوجئوا بعودة إثارة زوبعة الشبهات -وبقوة- في الفضاء الثقافي، في بعض البلدان الإسلامية، لا سيما في هذا الجزء الذي نعيشه من العالم، الذي ابتلي بـ(داعش)، ومن قبلها (القاعدة).

وأكاد أجزم أنّ بصعود (داعش)، وتمدّده، انتقل التحامل والعداء للمشروع الإسلامي، وللتيار الإسلامي المتنامي، إلى أخطر مرحلة، وهي العداء للإسلام جهاراً نهراً، والمهجوم في عقر (دار الإسلام) على أقدس مقدسات الإسلام والمسلمين، على الرسول الكريم (محمد) (صلى الله عليه وسلم)، وعلى نصوص الإسلام القطعية الثبوت، فأصبحنا نسمع من يرفع بعقيرته بأنّ ما يرتكبه (داعش) من الفظائع المروعة: من قطع للرؤوس، وعرض مشاهده السّادية في مقاطع الفيديو، واسترقاق للأسرى، بل وقتلهم بصورة جماعية، وسبي للنساء، "إنّها - على حدّ قولهم - هو الإسلام في حقيقته الجليّة، التي يحاول بعض المسلمين، جاهدين دون جدوى، من إخفاء الوجه الحقيقي لهذا



غياب سلطة الإسلام عن الحكم لقرون، وكما هو الحال اليوم! كما تكذبه نصوص واضحة وصريحة في رفض فرض العقيدة، كقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، تلك الآية المحكمة التي لا تقبل التأويل، ولا تحمل غير معنى واحد، وهو حرية العقيدة، بعد التحرر من ظلم وعبودية الطواغيت، التي تفتن الناس عن دينهم، وبعد ذلك فالأمر كما قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾.

وبخصوص الاسترقاق والعبودية، لم يأت نص، في مصدرى الشريعة الرئيسيين، يشرع للعبودية، وإنما جاء الإسلام فأغلق كل سبيل من السبل الكثيرة، التي كانت مشرعة لاستعباد من ولدتهم أمهاتهم أحراراً، وحرّمها جميعاً، سوى سبيل واحد، ألا وهو الحرب المشروعة، ولم يبقه سالكاً مفتوحاً، بل

الذين نقلوا، بأمانة وحرافية شديدة، شبهات ألد أعداء الإسلام من المستشرقين، وباتوا يعيدون نشرها من جديد، بفضل (داعش)، التي أحشى أن تكون العذاب، أو العقاب الداخلي، المسلط علينا، مصداقاً لقول الرسول الأعظم (عليه أفضل الصلاة والسلام)، فيما يرويه عن ربه سبحانه وتعالى: "إِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأَمْتِكَ أَنْ لَا أَهْلِكَهُمْ بِسَنَةِ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ..."، فيكون (داعش) سبباً قوياً ومباشراً في أن تُوَجَّع نار الحرب المسلطة على الإسلام والمسلمين.

لكن قد يستلزم الأمر الرد على شبهات البعض، على عجال، بشأن موضوع انتشار الإسلام بقوة السيف، الذي يكذبه واقع الشعوب المسلمة، التي وجدت فرصاً متكررة للعودة إلى دين أجدادها، في فترات

(عقبة بن أبي معيط)، و(النضر بن الحارث)، اللذان قتلا بأمر النبي يوم (بدر). فمشهد الخيانة والغدر تلك، وصورة الحقد الأسود، التي دفعت أصحابها أن يلقوا حتفهم ومصيرهم المشؤوم، يتغافل عنها صنّاع الإسلاموفوبيا، في الدّاخل والخارج، عمداً، ويحاولون اجتزاء جزء من الصورة، واستغلالها، للتحريض على العداة للإسلام، بتشويه صورته الناصعة.

وهكذا، فالיום إنّ المسؤؤل - في المقام الأول - عن نشر مرض الإسلاموفوبيا بين المسلمين أنفسهم، وحمل وزر زعزعة الإيمان، وفقدان الثقة بالإسلام، فضلاً عن المشروع الإسلامي الحضاري، هو (داعش)، بما يقترّف من إرهاب فظيع، تقشعر له الأبدان، يرتكبه كلّ تحت راية التوحيد، والتوحيد منه، ومن جرائمهم، براء. وبعد (داعش)، فإنّ تلك الفئة من أصحاب الأفكار المسمومة، والثقافة الموبوءة، والمشحونة بالعداء والحقد الدفين لديننا، اللذين بدت البغضاء من أفواههم، وما تخفي صدورهم أكبر، مسؤولون أيضاً عن بثّ جرائم الإسلاموفوبيا في الدّاخل. فهل نحن على حذر من هذين الفريقين سواء بسواء، اللذين يكمل أحدهما الآخر، ويخدم بعضهما بعضاً، في حركتيهما الهدّامتين، بغية تصفية الإسلام، واغتيال الإيمان معنوياً؟! □

ضيّقه إلى أبعد الحدود. فأسرى الحرب المشروعة بين حكّمين رئيسين، هما: إمّا المنّ ياتلاق سراحهم، أو الفداء، تطبيقاً لأمر الله عزّ وجل: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ، حَتَّى إِذَا أَتَخْتَمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾. هذا هو الأصل الشرعي، كما كان هناك حكمٌ استثنائيٌّ، وهو الاسترقاق، الذي كان بمثابة قانون سائر في عصر صدر الإسلام، وما تلته من عصور، فكان ذلك من مبدأ التعامل بالمثل، وأمّا وقد حرّم استرقاق الأسرى في العصر الحديث عالمياً، فإنّ غالبية الفقهاء المعترّين على تحريم استرقاق من يقع أسيراً بأيدي المسلمين في حرب مشروعة، مادام غير المسلمين يمتنعون عن الاسترقاق، فلا يجوز لنا أن نتجاوز ردّ الاعتداء بأشدّ من مثله. ثمّ إن الإسلام قد فتح أبواباً كثيرة، شجّع بذلك على تحرير العبيد، وجعل كفارة أخطاء وذنوب كثيرة عتق الرقاب، وفكّها. وبخصوص حالات نادرة جداً، حول قتل بعض من وقع في أيدي المسلمين، في عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلّم)، فوقائع السيرة النبوية والتاريخ يشهدان أنّ ذلك لم يكن بسبب الأسر، وإنّما كان بسبب الغدر والخيانة العظمى المتكررة، كما في قتل رجال (بني قريظة)، أو بسبب جرائم حرب ارتكبوها، فقتل أفراد كمجرمي حرب، مثل:

لا تكن خيراً منه فتهلك وتهلك

فاتن محمد

فما علاقة الدين في الأخلاق؟ إن مهمة الدين من الناحية الخلقية هي إعادة ترميم الأخلاق لا بناءها، قال صلى الله عليه وسلم: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق). فلم يقل (صلى الله عليه وسلم) إنه جاء ليؤسس أو ليؤصل للأخلاق، إنما لأتمم، فالأخلاق موجودة، ولكنها تمرض كما تمرض الأجساد، وتحتاج لعلاج، وعلاجها ممكن، فكانت من مهام النبي معالجتها.

وكذلك هناك مميزة للمسلم المنتزم أخلاقياً على غير المسلم، أن المسلم يعامل الله، وغير المسلم يعامل نفسه، والنفس تغش صاحبها، فقد تزين له ما هو غير أخلاقي على أنه خلقي، لمصلحة لها به. وهذا يعطي المتدين مميزات:

- الثبات على الأخلاق، مهما كانت الظروف والتحديات. فغير المتدين قد يصمد لمرحلة معينة، ثم يضعف، لكن الدين يعطي المنتزم به قوة، تأتيه من صلته بربه.
- التمييز: عندما يختلف بين خلقين أيهما الأولى التمسك به في موقف معين، هنا لن يجد الجواب في نفسه، إنما الذي يعطي الجواب الصحيح للإنسان هنا هو الدين .
- القدوة: وهو النبي (صلى الله عليه وسلم)، بل ويعتبر النبي (صلى الله عليه وسلم) أصل للأخلاق الإنسانية للبشرية

كما أيتفق البشر في فطرتهم الخلقية، فالإنسان مجبول على الأخلاق الحسنة، ثم يتفاوتون بعد ذلك في مدى حفاظهم على هذا الأصل الخلقي أو انعدامه، كل بحسب تربيته، ومجتمعه، وغيرها مما يؤثر في شخصية الإنسان. قال تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾، فالأصل في الأخلاق الحسنة فطرة، ﴿ثم رددناه أسفل سافلين﴾، أي: ثم يأتي خلال مسيرة الإنسان ما قد يؤثر على صلته بهذه الأخلاق.

ومن هنا نفهم أن الخلق موجود في كل الإنسان: المسلم وغير المسلم . فإذا كانت الأخلاق موجودة عند المسلم وغيره، فهل هي عند غير المسلم حقيقة أم شكلية؟

الإنسان بدون الدين الأخلاقيات عنده إما أن تكون شكلية، خوفاً من العقوبة، أو على مركز، أو على سمعة، أو طمعا بمنزلة أو ... وهناك من الناس الأخلاق عنده حقيقية، فهي عنده مبدأ، سواء قدر الناس هذا الخلق، أم لم يقدروه، وسواء كانت جريرة الالتزام الأخلاقي عليه منفعة أم مضرة.

وقد قال صلى الله عليه وسلم: (الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، فخيرهم في الجاهلية، خيرهم في الإسلام، إذا فقهوا). فإذا كان الخلق الحسن فطرة في الإنسان،

والذي يخصهم هو أخلاقه، فالمسلمون سفراء الإسلام للبشرية، وأخلاقهم هي أول رسالة يتلقاها العالم منهم عن طبيعة دينهم، أيا كانت مراكزهم، أو وظائفهم، فذلك لا يختص بالدعاة، كلاب بأي مسلم طيب، معلم، مهندس.. لذلك عندما دخلت (أندونيسيا) و(الملايو) و(الفلبين) و(ماليزيا) الإسلام، دخلته عن طريق أخلاق تجار (اليمن) و(حضر موت) المسلمين. فدخلت بأكملها دخلت الدين من خلال الأخلاق.

وإن ابتعاد المسلمين عن الأخلاق الإسلامية هو أول ما ينفرد غيرهم من دينهم، قال تعالى: ﴿ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضو من حولك﴾، وبذلك يحملون إثمهم وإثم من كانوا سببا في كرهه أو نفوره من الإسلام بسبب سوء أخلاقهم قال تعالى: ﴿ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة، ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم﴾.

ولكن هناك سؤال يطرح نفسه، إن كانت الأخلاق فطرة في الإنسان، وإن كان الدين يولي الأخلاق هذه الأهمية الكبيرة، فلماذا نرى ابتعاد المسلمين عن أخلاقهم؟ ونخص منهم الدعاة أو المنتزعين بالدين المحسوبون عليه، فما السبب؟

سؤال كان كل ما بدأته من كلام طريقا للوصول لهذه النقطة، فما السبب؟ وهل هو موجود فعلا؟

هل هو موجود أو لا؟ هو جواب يستطيع الإجابة عليه كل منا، وبكل سهولة: نعم هو

جمعاء. فقد قال الله عز وجل في حقه: (إنك لعلى خلق عظيم)، فهو (صلى الله عليه وسلم) مقياس للأخلاق وأموذجه.

إن العالم اليوم، وليس المسلمون، يفتقد حقيقة الأخلاق. فالعالم اليوم يعاني أزمة أخلاق، فالأخلاق وإن وجدت في مجتمع من المجتمعات، فهي أخلاق شكلية لا حقيقية. والأخلاق ضرورة اجتماعية لا غنى عنها لمجتمع من المجتمعات، فمتى فقدت الأخلاق التي هي الوسيط الذي لا بد منه لانسجام الإنسان مع أخيه الإنسان، تفكك المجتمع، وتصارع أفراد، و..... ثم أدى بهم إلى الانهيار والدمار.

لكن لن يشعر العالم بهذه الحاجة للأخلاق الإسلامية، إلا بعد أن نستشعر نحن أنفسنا حاجتنا إليها، ونطبقها في سلوكنا، ويروا هم أثرها على الأمة الإسلامي، كمجتمع وأفراد، حينها سيشعر العالم بحاجته للتلمذ على هذا الدين.

وهنا تكمن أهمية التزامنا بالأخلاق الإسلامية من الناحية الدعوية، فالنبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (إنما بعثت لأتمم مكارم مكارم الأخلاق)، فجعل علة بعثته هي الأخلاق. فهل الأخلاق أهم من العقيدة والعبادة؟ بالطبع كلا. ولكن لبيان أهمية الأخلاق في هذا الدين. فهي أبرز ما يراه الناس من الدين، ومن خلالها يحكمون على صحة الدين من عدمه، فالناس لا تعيهم عقيدة الإنسان أو عبادته، فهي بينه وبين ربه،

موجود.

فإن كان موجوداً، فما سببه؟

١- اختلال مفهوم التدين عندنا، وجعل العبادة فقط هي معيار التدين، وعدم معرفة أن الأخلاق هي أساس في التدين. سئل النبي عن امرأة تصوم وتصلي، ولكنها تؤذي جيرانها، فقال صلى الله عليه وسلم: (هي في النار). وهذا الخطأ أثمر خطأ آخر، وهو حكمنا على الآخر بنفس المقياس، وهو العبادة، فتحكم على الإنسان أنه ملتزم أو لا من خلال عبادته فقط، ونسى المقياس الأخلاقي! والفرق بين النقطة الأولى والثانية، أن الأولى تخص الحكم على الإنسان نفسه، أي حكمه على نفسه، والثانية تخص المجتمع، أي حكمنا على الآخرين..

٢- غياب معنى ربط العبادات بالأخلاق، فعلامة اتقان العبادة، هي ظهور ثمرتها في أخلاقنا. قال تعالى: ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾، وأن الذي لا تنعكس عبادته على أخلاقه، فعبادته فيها خطأ. قال صلى الله عليه وسلم: (من لم يحمله صيامه على ترك قول الزور والعمل به، فلا حاجة لله في أن يدع صلاته وصيامه).

٣- اختلال مفهوم الحب والبغض في الدين، والتعامل الجاف مع غير المنتزمين على أنه لا يجوز محبتهم، بل ينبغي إظهار البغض لهم، وهو خطأ، لأن غير المنتزم كالمريض الذي يحتاج للعلاج، فلا تكون النصيحة بالبغض، لأنك إن أبغضته تجعله يبغض دينك

الذي أبغضته بسببه، وهكذا تكون صاداً عن الدين، لا داعياً له. بل إن الاحترام والتقدير سبب في محبة الإنسان، وبالتالي محبة دينه، والدخول فيه. قال صلى الله عليه وسلم للصحابة: (ادعوا الناس وأنتم صامتون)، قالوا: وكيف؟ قال: (بأخلاقكم).

٤- انعكاس معنى المنة في الدين. قال تعالى: ﴿يؤمنون عليك أن أسلموا، قل لا تمنوا علي إسلامكم، بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين﴾، فحين يشعر الإنسان بمنة الله عليه في هدايته، ينعكس ذلك على سلوكه مع عباد الله.

٥- العلم الإبليسي: ازدياد كبر الإنسان كلما ارتقى في مراتب العلم، وهذا هو العلم الإبليسي: ﴿أنا خير منه﴾، وهو ما أهلك إبليس. أما العلم الرباني، فهو ما يظهر في أخلاق صاحبه، بأن يزيد تواضعه، وحلمه، وتحسن أخلاقه، كلما ازداد علماً، فثمرة العلم تظهر في سكون العالم. فالفرق بين العلم الرباني والعلم الإبليسي، أن العلم الرباني ممزوج بخشية الله، قال تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده، العلماء﴾، وقيل: (العلم خشية كله، يعرف بذلك أهله، وليس بالأقوال، وكثرة الجدل).

فلا تكن صاحب علم إبليسي، فتنفر الناس من دينك، فتهلك، وتهلك. واعلم أنه: أينما كمنت الأخلاق الراقية، كمن الدين، وأينما كمنت الأخلاق الراقية، كمن العلم، وأينما اختفت الأخلاق، فلا دين ولا علم □

كح لن نخوض في هذا المجال في تاريخ (الحجر الأسود)، الموجود في أحد أركان الكعبة المشرفة، أو عن مصدره وأصله، فالكتب ومواقع الانترنت مملوءة بهذه المعلومات، وما نريد أن ندخل فيه، بدون لف ودوران، هو أنه ليس كل عملية تقبيل هي من قبيل التقديس، وهذا ما ينطبق على (الحجر الأسود)، فهذا وهم كبير، فالتقبيل يمارس لإظهار المودة والقربى لشخص ما، كأن يقبل الشخص أطفاله وأهله وإخوته، وعند لقاء الأعرزة، ويمارس كذلك في الشرق لإبداء الاحترام، وخصوصاً لكبار السن، أو الوالدين، وذلك بتقبيل الأيدي.

ولقد اتخذ الغلاة والباطنية من تقبيل (الحجر الأسود)، حجة لاتهم المسلمين بالشرك والوثنية، كما يتهمهم البعض - من الغلاة الظاهرية - بأن إظهار القباب، أو العلامات المميزة، فوق القبور، على أنها شرك ومجافة للتوحيد، رغم عدم تعظيم هذه القبور، بممارسات وشعائر معينة، أو اتخاذها كمزارات، ولكن كمعالم فقط لهذه الشخصيات، التي قدمت خدمات جليلة للإسلام والمسلمين، وتركت بصمات لا تمحى في الشارع الإسلامي، كضريح صلاح الدين الأيوبي، وضريح محمد الفاتح في استانبول ... إلخ.

والثابت قطعاً في الأدبيات الإسلامية أن سيدنا إبراهيم (عليه السلام)، هو الذي بنى

لماذا قبّل الرسول (الحجر الأسود)؟



الدكتور سعد سعيد الديوهجي

المسلمين يعبدونه، وفي كل هذه المرات كان المعتدون من الباطنية. وهذا تدليس واضح لتجريد الإسلام من تراثه الأخلاقي والاجتماعي، وصبه في قوالب جامدة لا روح فيها.

والحقيقة أنه ليس من المهم أين نزل، ولا من أين؟ ولن نبحث في أسراره، لأنه في الإسلام لا توجد أسرار دينية، كما في المسيحية، وغيرها من الأديان، كما لا يوجد فيه تحجرات عقلية، فمرتبة العقل من أعلى المراتب في القرآن الكريم، ولذلك فإن قدسيته ليست ناتجة من أن الله جعله مقدساً، كالأرض المقدسة لبني إسرائيل، فالله تعالى لا يجعل الأحجار، ولا الأشجار، ولا غير ذلك، مقدسة، لأن ذلك ينافي العقل والتفكير، وهما من أهم أسس التوحيد.

ولذلك، فإن بعض الأحاديث المنسوبة للرسول (صلى الله عليه وسلم) في هذا المجال، محط تساؤل واستفهام، مثل: "إن مسح (الحجر الأسود)، و(الركن اليماني)، يحيطان الخطايا خطأ" {رواه أحمد}، و"والله ليعثنه الله يوم القيامة، له عينان يبصر بهما، ولساناً ينطق به، يشهد على أن من استلمه بحق" {رواه الترمذي}، ذلك بأن هذه الأحاديث المنسوبة تتعارض مع قول عمر (رضي الله عنه): "والله إنني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أنني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك"، وعلى حد قول الحافظ (ابن

الكعبة، ووضع (الحجر الأسود) فيها: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ البقرة: ١٢٧.

ولقد تعرض (الحجر الأسود) لأقصى هجمة إرهابية همجية من قبل (القرامطة) عام ٣١٧هـ/٩٢٩م، وهم باطنية إسماعيلية، وكانوا يرتبطون بالفاطميين في مصر عقائدياً، حيث سرقوا (الحجر الأسود)، وكسروه إلى عدة أجزاء، ونقلوه إلى عاصمتهم (هجر)، على ساحل (البحرين)، وبقي هناك لمدة ٢٢ عاماً، بعد أن قتلوا ألوف الحجيج، وفعلوا كل المخازي داخل المسجد الحرام الشريف، مما يندى له جبين الإنسانية. وكما يقول المؤرخ (دي خويه) بأن ما فعلوه قد جعل المسلمين يتحدثون عن الجريمة بالتياع وحزن لقرون عديدة، وكان ذلك في (يوم التروية)، مما يعني الكثير.

خرجوا بـ(الحجر الأسود) وهم يستهزئون بحرمة المسجد الحرام، وينشد كبيرهم:

أين الطير الأبايل؟

أين الحجارة من سجيل؟

وتكررت الاعتداءات من قبل الباطنية، ولكن بحوادث أقل خطورة، وذلك في أعوام (٤١٣هـ/١٠٢٢م) و(٩٩٠هـ/١٥٨٢م) و(١٣١٥هـ/١٨٩٧م)، وذلك بمحاولة ضربه بمعمل، وكسر أجزاء منه، بحجة أن

الداخلين، فقالوا: هذا الأمين رضيناة حكماً، فأمر برداء، حملة المجتمعون من كل طرف، ثم وضع الحجر في وسطه، ورفعوه إلى مكانه الثابت، ووضعوه جميعاً، والرسول (صلى الله عليه وسلم) معهم.

فهذه الحادثة تدل - بدون أدنى شك - أن (الحجر الأسود) صار موضع حكمة واتفاق أيضاً، بدل أن يكون موضع جدل واختلاف.

إن معظم الروايات التي تدور حول (الحجر الأسود)، تتجح إلى الإفراط في كونه يتكلم ويسمع، وأنه قد حكم بين المتخاصمين في بعض المسائل، وهي كلها أساطير وخرافات تم حشر (الحجر الأسود) فيها حشراً.

وعليه، فلو لم يكن قول عمر (رضي الله عنه) ثابتاً، بأن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد قبله، دون أن يقده، لفعل الغلاة من كل الطوائف أشنع الأفاعيل به. وما كان تقبيل الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلا احتراماً ومودة، وإعادة لذكرى لا تتعارض مطلقاً مع قواعد الشرع والقرآن، الذي لم يأمرنا بالجمود الفكري والعقلي في أمور الدنيا، وهو أمر دينوي بحت، مارسه الرسول (صلى الله عليه وسلم) كمسألة شخصية، من حق المؤمن أن يقلده بها، ولا غير □

(حجر)، عن (الطبري)، بأن (عمر) (رضي الله عنه) قال ذلك، لأن الناس كانوا حديثي عهد بعبادة الأصنام، فخشي أن يظن الجهال بأن استلام الحجر هو تعظيم بعض الأحجار، كما كانت العرب تفعل في الجاهلية، فأراد عمر أن يعلم الناس أن استلامه اتباع لفعل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لا غير، لا لأن الحجر يضر وينفع، كما كانت تعتقد العرب بالأوثان.. لماذا إذن قبل الرسول (صلى الله عليه وسلم) هذا الحجر؟

فكما رأينا بأن (إبراهيم) و(إسماعيل) (عليهما السلام)، وهما جدا رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وهو من صلبهما، قد لمسا هذا الحجر بيديهما الكريمتين، فأراد الرسول (صلى الله عليه وسلم) أن يعيد ذكرى بناء أول بيت وضع للناس، ورمزه الأكبر (الحجر الأسود)، موضع احترام ومودة.

كذلك، فإن (الحجر الأسود) يمثل وحدة المسلمين، بالسلام عليه وتقبيله، كما مثل ذلك في جاهليتهم، ففي الرواية المشهورة والصحيحة، والتي مفادها بأن قريشاً عندما أرادت تجديد بناء الكعبة، وحصل الخلاف: أيهم يكون له فخر وضع (الحجر الأسود) في مكانه، وكادت الحرب أن تقع بينهم، فحكموا أول داخل للحرم المكي الشريف، وكان الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وهو في الخامسة والثلاثين من عمره، أول

البرازيل أنموذج الدولة الوطنية المتطلعة للنهوض!



هفال عارف برواري

البرازيلي...!!
من المهم دراسة متأنية لتجربة هذه الدولة ونهضتها الاقتصادية العملاقة التي وصلت إلى الإعلان رسمياً عنها عام (٢٠١١) أنها سادس أكبر دولة نمواً في العالم قاطبة "متقدمة" بذلك على بريطانيا؟ وكيف استطاعت بسياساتها الجبارة بقيادة (لولا سيلفا) الذي قال عنه أوباما: "لولا سيلفا) هو السياسي الأكثر شعبية على وجه الأرض"!! أن ينقل البرازيل من هوة الإفلاس إلى قمة التقدم الاقتصادي من خلال ثماني سنوات فقط (٢٠٠٣-٢٠١٠). وكيف استطاعت تلك السياسات التأثير في

بعيداً عن الأحداث الدامية في الشرق الأوسط، وقريباً من الدول الطامحة في التقدم والنهوض، والمثال (البرازيل) التي تمتلك شعباً ذا أصول متباينة، وأعراق مختلفة، مع ذلك استطاعت أن تكون دولة وطنية قوية، استطاعت الاستفادة من كل ما تملكه من متناقضات بيئية وديموغرافية، تحت مظلة الوحدة الوطنية، واستطاعت أن تتقدم بعد أن كانت تنهض من الفقر والظلم السياسي، لكن ما دام هناك وطنيون يحملون همّ الوطن بجد وشعب يحلم بوطن متقدم فلا بد لها النهوض ولو بعد حين وهاكم قصة نهوض المارد

الاحتفاظ على نقائهم وخصوصيتهم الثقافية وما زالوا يسكنون في غابات الأمازون، ويعتقدون بخصوصيتهم وضرورة الحفاظ عليها، لأنها كل ما تبقى لهم في معركة الإبادة التي خاضوها ضد الرجل الأبيض طوال ٥٠٠ عام عند وصول البرتغاليين لأراضي البرازيل. أي بمعنى أنها امتلكت مناخاً ديموقراطياً قبل أن تبدأ مرحلة الديمقراطية في البرازيل؟ وهي تمتلك قوة سكانية لا يستهان بها مع قدراتها الطبيعية من حيث الأراضي الزراعية الشاسعة والأنهار الكثيرة والثروات الطبيعية مثل النفط والمعادن الوفيرة.

مراحل الأزمات التي واجهتها

في البدايه أود التوضيح أن كل دولة تحكمها النظم العسكرية مصيرها الانهيار والتشردم والتخلف ولقد ابتليت البرازيل مثل دول الشرق الأوسط بالحكم العسكري، وكانت بداية الحقبة العسكرية سنة ١٩٣٠ وفي عام ١٩٦٤ استولى الجيش على كل مفاصل الدولة، وبدأت حقبة القمع السياسي، وتراجعت الديمقراطية والحريه وانتشرت الاعتقالات والأزمات الاقتصادية والحروب الأهلية داخل البرازيل، واستمرّ هذا الحال حتى السبعينيات من القرن المنصرم عندما حوّل العسكر نظام الدولة إلى الرأسمالية وتحالفت مع أمريكا، وقامت بقرض الأموال لدفع مشروعها التنموي إلى الأمام ودافعت عن رجال الأعمال ومصالح الشركات التي كانت قد اخترقتها! ولم تعبأ بالطبقات الفقيرة والمسحوقه ممّا خلّفت

حياة ملايين البرازيليين ونقلهم من مصاف الطبقات الفقيرة إلى الطبقة الوسطى.

مقدمة:

البرازيل البلد الذي يعتبر أكبر دولة في كل من أمريكا الجنوبية ومنطقة أمريكا اللاتينية. وخامس أكبر دولة في العالم، سواء من حيث المساحة الجغرافية أو عدد السكان وهي تعتبر بلد المتناقضات تجمعت فيه ناطحات السحاب مع عشش الصفيح، ومناخياً توصف بأنها أكبر مستودع للتنوع الحيوي في العالم، حيث تتواجد جميع الأنظمة البيئية. وديموغرافياً يعيش على هذه الأرض شعب يتألف من أعراق وأصول متباينة يصل العدد السكاني الى ما يقارب الـ ٢٠٠ مليون نسمة موزعين بين ٥٤٪ بيض ٣٩٪ ملونين ينقسمون بدورهم إلى الملاتو (سلالة ناتجة من تزواج الأفارقة والبيض) والكابوكولوز (سلالة ناتجة من تزواج الهنود الأصليين والبيض) والكافوكوز (تزاوج الأفارقة والهنود الأصليين) و٦٪ زنوج و١٪ المهاجرين العرب، أمّا عدد السكان الأصليين الذين بقوا على نقائهم ولم يختلطوا بأي من الشعوب القادمة يصل إلى نحو ٢٠٠ ألف نسمة أي ما يعادل ٠.١٪ من إجمالي السكان. إلا أنه مجتمع متجانس عرقياً، بمعنى أن هذه الأصول لا يمكن وصفها بأنها طوائف أو أعراق مختلفة أو متصارعة أو يمكن رسم خطوط فاصلة بين تجمعات منفصلة تقوم على أساس اللون، وربما يكون الاستثناء الوحيد هو مجموعة السكان الأصليين الذين يصرون على

إلى سدة الحكم في أواسط التسعينيات حاول بكل جهده بإنجاح خطته القائمة على دمج الاقتصاد المحلي بالاقتصاد العالمي مع الاستمرار بسياسة السوق الحرة مع الاستدانة الخارجية، ولكنه دخل في مستنقع الديون حيث بلغت نسبة الديون ٩٠٠٪ وأدى ذلك إلى خلق عدم الثقة للدول المانحة لها وكذلك المستثمرين وشارفت الدولة على الإفلاس!

صحوة المارد البرازيلي

ولما وصل (لولا سيلفا) (٢٠٠٣ - ٢٠١٠) ذو التوجه اليساري إلى سدة الحكم، بدأ مارد البرازيل ينهض بجهوده الجبارة ومشروعه القائم على:

١- سياسة التقشف (لسد عجز الموازنة مع القضاء على أزمة الثقة بين المستثمرين).

٢- تغيير سياسات الاقراض بخفضها، وتسهيل إقامة مشاريع صغيرة لتوفير فرص العمل، وبالتالي رفع الإنتاج والنمو وبالتالي حل مشكلة الفقر..

٣- التوسع في الزراعة في البلد واستخراج النفط والمعادن.

٤- التوسع في الصناعة (بشقيها الخفيفة والبسيطة والصناعات المتقدمة مثل صناعة السيارات والطائرات، مثل شركة (امبراير Embraer)، والتي تعتبر الآن ثالث أكبر شركة تصنيع طائرات تجارية بعد إيرباص وبوينغ، وأكبر شركة مصدرة في كل البرازيل، وتمثل طائرات شركة «إمبراير» ٣٧٪ من أسطول شركات الطيران الإقليمية في أمريكا

ديوناً اقتصادية كبيرة وخلّفت عبئاً على الأجيال اللاحقة واستمر مسلسل الأزمات الاقتصادية إلى حقبة الثمانينات التي عاشت الدولة أزمة الديون ومعدلات التضخم المرتفعة مع تراجع في معدلات النمو، وفي حقبة التسعينيات اضطر العسكر إلى التراجع من الحياة السياسية التي تمّ انتقالها بشكل تدريجي إلى السلطة المدنية، بعد فشله في الحكم، واختفى العسكر عن المشهد السياسي، وفي هذا العقد انتهجت السلطة نظاماً رأسمالياً قائماً على السوق الحرة والانفتاح على العالم كله، وانتهاج نهج الخصخصة حسب توصيات صندوق النقد والبنك الدوليين مما أدى إلى تقدّم في مؤشرات الاقتصاد الكلي، وهو ما لم يكن يعنى تقدماً فعلياً، بمعنى أن سياسات الانفتاح الاقتصادي أصابت المنتجين المحليين بخسائر فادحة مما أدى إلى مزيد من البطالة وتراجع حاد في الإنتاج المحلي ومن ثم تراجع معدلات التصدير، وكذلك ارتفاع معدلات الفقر التي كانت مرتفعة أساساً وعلى هذا فقد أثبتت تجربة التسعينيات في البرازيل والعديد من دول العالم الثالث أن استقرار الاقتصاد الكلي لا يعنى بالضرورة نمواً حقيقياً في الاقتصاد والإنتاج ولا يعنى تقدماً في مستوى دخل الأفراد وحل المشكلات الاقتصادية مثل البطالة ومستويات الفقر المرتفعة ومشكلات الدين العام والتضخم وغيرها.

محاولات النهوض

بعد صعود (كاردوسو) (١٩٩٥-٢٠٠٢)

٢٠١٠. ويمثل تجمع هذه الدول الخمس أكبر الاقتصاديات على مستوى الدول النامية، حيث يعادل الناتج الإجمالي المحلي لتلك الدول مجتمعة ناتج الولايات المتحدة. وقد قام هذا الكيان على أساس أطروحة مفادها أنه بحلول ٢٠٥٠ ستنافس اقتصاديات تلك الدول اقتصاد أغنى دول العالم. وهي على أي حال تشكل واحدة من أكبر الأسواق العالمية وأسرع الاقتصاديات نمواً في العالم.

٨- ترجمة النجاح الاقتصادي إلى مكاسب سياسية.

هذا وقد قد حرص "سيلفا" على توثيق العلاقات مع كل الدول، وابتعد عن الصراعات السياسية، وعند نجاحه في الانتخابات ذهب فوراً إلى الولايات المتحدة الأمريكية وقال لـ(بوش): "إن قضيتي ليست العراق ولكن قضيتي هي محاربة الفقر لشعبي، فهناك الملايين من البرازيليين من الفقراء والجوعى، فكيف لي أن اهتم بالعراق". فالرئيس "لولا" امتلك الحكمة التي جعلته لا يتورط في صراع مع الولايات المتحدة في بداية فترة حكمه، حيث أنه استلم دولةً لديها جملة من المشكلات الاقتصادية وشعباً يعاني من الفقر والجوع. ولكن وفي فترة رئاسته الثانية، وبعد أن تجاوزت البرازيل كبوتها الاقتصادية أبدت انطلاقةً أكثر على مستوى السياسة الخارجية، والتدخل في قضايا كانت من قبل بعيدة عن اهتمام حكام البرازيل أو حتى من اهتماماتهم، مثل الملف النووي الإيراني، ففي

٥- تنشيط السياحة، حيث نجحت في استقطاب ٥ ملايين سائح كل عام.

٦- خطة الإعانات الاجتماعية لحل مشكلة الفقر، ورفع مستوى الدخل مقابل إرسال أطفالهم إلى المدارس التي كانت تحت سطوة شركات المخدرات المافيوية، والتي كانت لها تنسيق مع الحكومات لتهميش التعليم في المناطق النائية لكي ينخرط الشباب في العمل المخدراتي!! وكان مردود هذا المشروع الاجتماعي في أواخر حكمه هو رفع مستوى ما يقارب ٣٣٪ من نسبة السكان.

٧- التوجُّه نحو التكتلات الاقتصادية، حيث أنها خطت خطوات متميزة على مستوى السياسات الاقتصادية الخارجية. من خلال منظمة (الميروكسور) وهي بمثابة السوق المشتركة لدول الجنوب، وتشكَّلت باعتبارها اتفاقية للتجارة الإقليمية بين كل من البرازيل والأرجنتين وباراكواي وأوروكواي في ١٩٩١ وعضوية غير كاملة لفرنزويلا وبوليفيا. وهي تعد اليوم رابع أكبر قوة اقتصادية في العالم، وقد اهتمت سياسة "لولا" الاقتصادية على المستوى الخارجي بالقيام بدور قوي في التأثير على النظام الاقتصادي العالمي من خلال اجتماعات (الميركوسور). ويرصد الباحثون الاقتصاديون تنامي ذلك الكيان الاقتصادي الجنوبي في الوقت الذي يتدهور فيه الاتحاد الأوروبي. وعلى جانب آخر شكَّلت البرازيل مع روسيا والصين والهند مجموعة (البريكس BRICS) في ٢٠٠٩ انضمت لها جنوب أفريقيا في

ثقتهم وساندوه في مشروعه التفتشفي في بداية حكمه. ٦- مع المناخ الديمقراطي الذي تم تهيئته قبل مجيئه بـ١٧ عاماً، لأن الحفاظ على آليات الديمقراطية هو الضمانة الحقيقية لعدم ظهور الفساد واستفحاله، وأن المهم ليس فوز مرشح أي تيار في الانتخابات الرئاسية، بل الأهم هو ضمان إمكانية إسقاط هذا المرشح مرة أخرى أن لم يحقق النجاح من خلال صندوق الاقتراع، لا أن يكون وصوله معناه إلغاء الديمقراطية والعودة إلى أنموذج الرئيس اللانهائي؟، والواقع فإن "لولا" قد خاض غمار الانتخابات الرئاسية، وفشل ثلاث مرات في ١٩٩٠ و ١٩٩٤ و ١٩٩٨، ثم حقق النجاح في المرتين الرابعة في ٢٠٠٢ والخامسة في ٢٠٠٦، ومن المعلوم أن الذي يحكم البرازيل الآن هي السيدة المناضلة (ديلما روسيف) اليسارية من حزب العمال والتي درست الاقتصاد والتي كانت يوماً من الأيام وبالتحديد عام ١٩٧٠ يتم تعذيبها بالكهرباء والغرق في الماء لمدة ٢٢ يوماً من قبل العسكر وها هي الآن تتربع عرش البرازيل في العصر الذهبي لهذه الدولة. فقد نجحت عام ٢٠١٠ بوصولها إلى سدة الحكم، وقد نجحت في انتخابات ٢٠١٤ التي خاضها الشعب البرازيلي قبل شهر لتتربع على عرش الرئاسة للمرة الثانية □

حديث تليفزيوني تحدث فيه عن موقفه من العراق يقول: "لقد كانت قصة العراق أكذوبة ولذلك لا أريد تكرارها مع إيران" وبالفعل قامت الدبلوماسية البرازيلية بدور محوري في الدفاع عن حق إيران لامتلاك تكنولوجيا نووية، كما واجهت بالرفض الشديد لأي محاولة أمريكية لضرب إيران عسكرياً كما عارضت فرض عقوبات على الأخيرة. إذا يبدو أن الرؤية السياسية البرازيلية في عهده عبرت عن الارتباط الحكيم بين القوة الاقتصادية وبين اتخاذ مواقف فعالة في السياسة الخارجية.

وبعد هذا العرض الموجز لمشروع (لولا) الاقتصادي فلا غرابة أن تقوم البرازيل بعد هذا النمو الاقتصادي، وأن تكون من الدول المقرضة للبنك الدولي، لقد نجح لولا بسبب:

١- رؤيته الواضحة.
٢- واراوته السياسية القوية.
٣- الصدق والشفافية مع شعبه حيث أنه عاش في بيئة فقيرة عمل صباغاً للأحذية منذ طفولته، وخاض غمار الحياة السياسية عندما أصبح بالغاً، وشارك في المنظمات التي تدافع عن حقوق العمال وحقوق الشعوب المهضومة من قبل المتسلطين فهو كان يحس بمعانات شعبه، ولم يغيب هذه الصورة عن ذهنه حتى بعد وصوله للحكم.

٤- مع عدم إهمال الأغنياء أثناء حكمه وعدم الانتقام منهم بل شاركهم في عملية نهوض الدولة. ٥- مع تكاتف جماهيري له وامتلاك الشعب الوعي الذي ساعده من خلال أعطائهم



دنيانا التي فيها معاشنا !

مرافئ

د. يحيى عمر ريشاوي

كح لا يمكن أن تقيّم مستوى رقي وتقدم أي شعب إلا بسلوكياته وتعامله الحضاري مع البيئة المحيطة به، تعامله مع الإنسان والحيوان والجماد، مع ما يحيط به من خيرات وثمرات وأشياء. المستوى الحضاري لا يقاس بالأدبيات، فحسب، وبما تحويه كتب التاريخ من مآثر وإنجازات، السلوك والتعامل الحضاري يقاس بما أنت عليه الآن .. الآن فقط لا غير!

زرت أخيرا عددا من الأخوة العائدين من حج بيت الله الحرام، وكنت أحاول أن أستشف منهم المخفي والمسكوت عنه من أحوال المسلمين، في تلك البقعة المباركة، ولا أخفي عليكم أنني سمعت منهم ما يسر، وكذلك ما لا يسر، ما لا يسر من تصرفات غير حضارية لبعض المسلمين، وأكوارم النفايات الملقاة على جانب الطرقات، والتصرفات غير اللائقة (للبعض) أثناء حدوث الازدحامات، وحال ركوب الحافلات، ودخول مصاعد الفنادق، وغيرها كثير.. كنت أسمع منهم بعض لقطات هذا الجانب الحزن، من تلكم الشعيرة الروحانية العظيمة، وكلّي ألم وحسرة واستغراب ! حين كنت أسمع تلك الروايات من الأخوة الحجاج، كنت أفكر بالزوار الأجانب (المسلمين الجدد)، وكيف تكون انطباعاتهم عن واقع المسلمين، في بلد يفترض أن (لا رفث ولا جدال) فيه؟!!

نحن نحتاج إلى نقد صريح وبناء لهذه الصور الحزنة، وهذا الجانب السلبي، من واقع بعض المسلمين. نحتاج إلى عشرات المحاضرات، والخطب، والكتيبات، حول (المحافظة على بيئتنا، والالتزام بقوانين السلامة المرورية، وكيفية الوقوف بشكل حضاري أثناء شراء حاجياتنا ومستلزماتنا، ونحتاج إلى دورات في تعلم فن الابتسامة، ولغة المجاملة، و..). وقد أعجبت كثيرا موضوع إحدى البرامج الدينية في فضائية (سبيدة)، حيث خصص الداعية الحلقة، ليس للحديث عن مآثر (عمر)، وغزوات (صلاح الدين)، أو صيام يوم الإثنين والخميس من كل أسبوع، بل خصصها كي يرشدنا إلى كيفية قيادة سيارتنا في الطرقات، والالتزام بالإشارات المرورية، والأخلاقيات الواجب اتباعها، وأنت خلف مقودك، راجعا إلى البيت، أو متجها إلى مكان عملك.. حقيقة أمتعتني حديثه الواقعي والحضاري، ودعوت من ربي أن يهبنا خطباء ووعاضا، يحدثونا عن دنيانا التي فيها معاشنا، كما يحدثونا عن آخرتنا التي إليها معادنا □

مدن وتاريخ



- ملخص تاريخ قضاء زيار

عبدالكريم يحيى الزبياري

كثيرون من المدن الكبيرة كانت في جذورها قرى صغيرة، ثم كبرت وتوسعت، بحسب القانون الطبيعي لسنن التطور: قرية، ناحية، قضاء، محافظة. لكن قضاء الزيبار كان قضاءً طوال العهد العثماني، وذلك بسبب موقعه الجغرافي، وصلاحيته أراضيها للزراعة، وكثرة المراعي في السهول المحاذية للزاب الكبير، وكانت قرية (هربي) ناحية. وكان مقر القضاء في قرية (بيره كبره)، الواقعة ما وراء جبل (بيرس)، الذي يطل على ناحية (دينارثة). لكن بسبب وعورة المنطقة، وشراسة أهلها، وقرب الحدود، ارتأى الإنكليز إلغاء الوحدات الإدارية لهذه المنطقة، وهكذا تمّ هدم القضاء، والقرى المجاورة لأول مرة نهاية عام ١٩١٩، ولا زالت بعض القرى إلى اليوم لم تُعمّر. وتمّ نقل قضاء الزيبار إلى منطقة (راوندوز)، وظلّ باسم (قضاء الزيبار) في المكاتب والمخاطبات الرسمية، لكن موقعه ابتعد مئات الكيلومترات، وانفك ارتباطه بلواء الموصل وعقرة، وتمّ ربطه بلواء أربيل. وفي عام ١٩٥٢ تمّ رفع قرية (دينارثة) إلى ناحية، وجرى ربطها بقضاء (عقرة)، التابع إلى لواء الموصل.

مقتل الحاكم العسكري البريطاني لمدينة

الموصل

بعد أربعة أيام من وقف إطلاق النار مع

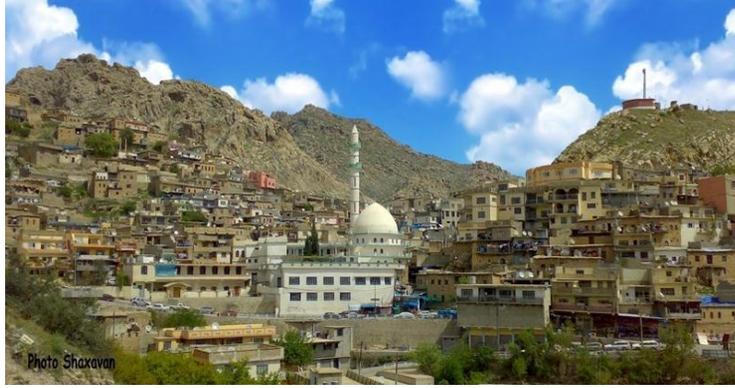
ملخص تاريخ قضاء زيبار



عبدالكريم يحيى الزيباري

معاقبتهم وإهانتهم،
لإثبات قوته
ووجوده.

في ١٩١٩/٩/٩
عين الكابتن (كي
آر سكوت) معاون
حاكم سياسي في
(عقرة)، في الوقت



الذي خلف الكولونيل (بيبل) الكولونيل
(لجمن) في حاكمية الموصل. نهاية تشرين
الأول ١٩١٩ زار الكولونيل (بيبل) (عقرة)،
وتوجّه إلى (الزيبار)، بصحبة النقيب
(سكوت)، و مترجم مسيحي يدعى
(عبدالكريم)، من قرية (بيدار)، قرب
(زاخو)، ثمّ استقدم (فارس آغا بن محمد آغا
بن مصطفى آغا الزيباري) (١٨٨٧-
١٩٤١) وشقيقه (محمود آغا)، وابن عمهم
(بابكر عثمان مصطفى الزيباري)، وتباحثوا
في شؤون المنطقة، وحملهم مسؤولية المحافظة
على الأمن في المنطقة، وتسليم أسلحتهم،
ودفع الضرائب المتأخّرة عليهم، وطلب منهم
(أن يُقدّم كل واحد منهم كفالة نقدية، تكون
دليلاً على حسن سلوكهم، وقدرها أربعة
آلاف روبية... فاستأوا من ذلك، وامتعضوا
من هذا التشدد، وخرجوا وهم عازمون على
الفتك به في قرية (نباخي)، الواقعة وراء جبل
(بيرس) " وتمّ تنفيذ الكمين بمشاركة (محمد

تركيا، وبتاريخ ١٩١٨/١٠/٣ دخلت
القوات البريطانية مدينة (الموصل). قائد
عسكري محتل، كيف سيتعامل مع أهل
المنطقة؟ ذكر (القصاب) في مذكراته:
" (لجمن) في الزيار: سمعتُ وأنا جالس على
سطح دائرة القائمقامية يوم
١٩١٩/١١/٢٩ أحد القرويين ينادي:
إنكليز هات.. وإذا بضابط إنكليزي أمامي،
يصحبه خمسة عشرَ خيلاً، يدخل القرية من
جهة (العمادية). ترجّل الضابط أمامي،
وطلب مني أن أمسك لجام حصانه،
فرفضت، ووكرني بعصاه، وقال: لماذا لا
تُمسك بحصاني أيها الخائن؟.. قال: كلكم
خونة". وكان العقيد (لجمن) يتكلم العربية
بطلاقة، وباللهجة البدوية، وعاش متنكراً
لسنوات في (الزبير) و(الديوانية)، لكنه تعلم
اللغة فقط، وبسبب هذه العنجهية والغطرسة
سيقتل على يد أبناء (الشيخ ضاري) في
١٩٢٠/٨/١٢. فاحتل الجديد يعتبر جميع
الذين تعاونوا مع المحتل القديم خونة، عليه

بين عقرة والزاب مرة أخرى". وقام الإنكليز بإلغاء قضاء الزيبار جغرافياً، وتسمية موقع جديد باسم قضاء الزيبار، في منطقة (راوندوز)، وتعيين (إسماعيل بك بن سعيد بك الراوندوزي) قائممقاماً لقضاء راوندوز، باسم قضاء الزيبار".

ونشرت جريدة (العرب) البغدادية، في عددها ٧٤٣ في ١٢/١١/١٩١٩: "وأنت أخبار من الموصل تنبئ بوفاة (ج. هـ. بيل) حاكم سياسي الموصل، والكابتن (سكوت)، معاون حاكم سياسي عقرة، وقد قتلتهما المعادون من الأكراد في ٤/١١/١٩١٩". وانفرد (رزا زبير محمود آغا) برواية عن جدّه، أنّ العقيد (بيل) كان -فضلاً عن الغرامات- قد اشترط على زعماء منطقة زيبار، قبول عشرة عائلات أرمنيّة، في كل قرية من قرى المنطقة.

(فارس آغا)، مع مائتي عائلة زيبارية، عبروا الحدود إلى منطقة (هكاري)، في سهول (بحيرة وان) جنوب تركيا، ولم تستطع الحكومة التركية آنذاك إيوائهم، خوفاً من الإنكليز، فطلبوا منهم مغادرة الأراضي التركية، فعبروا الحدود إلى (إيران)، وبقوا هناك ستة شهور في ضيافة (سمكو شكاك)، ثمّ طلب منهم المغادرة لأسباب سياسية، فعادوا إلى (العراق). في هذه التغييرية الزيبارية، على حدود العراق وإيران وتركيا،

صديق البارزاني)، وموافقة شقيقه الشيخ (أحمد البارزاني)، فقتلوا العقيد (بيل)، والنقيب (سكوت)، وجميع من كان معهم، إلا أنّ المترجم استطاع الفرار والتخفي، ليقتل فيما بعد على أيدي فلاحى المنطقة. وهاجموا المخافر والمقرات الحكومية في (بيره كبره)، واستولوا عليها، ثم بعد يومين هاجموا مقرات الإنكليز في (عقرة)، واستولوا عليها أيضاً. وذكر (محمد أمين عثمان) أنّ المهاجمين "قتلوا أفراد حامية (عقرة)، وكان عددهم بين ٣٠-٤٠، واستولوا على صندوق الحكومة، المحتوي على أربعين ألف روبية، ونهبوا محتويات دور ضباط الحامية الإنكليز، ومترجم الحاكم السياسي، وأمين الصندوق (أحمد حمدي)، والدكتور (يونس ماهي)، وثلاثة موظفين هندود هربوا إلى قرية (زيوكي)... في ١٠/١٢/١٩١٩ تقدّم الإنكليز واحتلوا (بيره كبره)، وقبضوا على (عبدالوهاب آغا بن ياسين) كاتب قضاء الزيبار، بتهمة مساندة الزيباريين، وسجن لستهة شهور.. وأحرق الجنود الإنكليز دور الرؤساء الزيباريين، والبارزانيين، ورفض (طه النهري) و(سيتو الأورماري) اقتراح قائممقام (نيري) التركي، بأن يبادرا إلى مساعدة الزيباريين.. وعندما أنهى الإنكليز الحركات، قرروا تقليص حدود سيطرتهم إلى (عقرة)، والكف عن محاولات التمسك ببلاد الزيبار،

باني)، والرابع بقيادة (محمد أموكا)، ثم أرسل (فارس آغا) أربعين رجلاً، بقيادة (عبدالحالق دينو ميرخان)، فانقسم الزبياريون إلى قسمين: الأول بقيادة (خالد آغا)، والثاني بقيادة (عبدالحالق)، وكنوا لهم في منعطف الطريق إلى قرية (نباخي)، ونشبت المعركة، وهب الزبياريون من كل القرى للدفاع عن أنفسهم، وكان معظمهم بدون بنادق، حتى أن (عمر آغا دينو) كان معتزلاً في قريته، بسبب مشاكل عشائرية مع (فارس آغا) الزبياري، هب مع أبنائه، وأبناء عمومته، للدفاع وقال:

- أنا لا أدافع عن فارس آغا، أنا أدافع عن ديني وقريتي وعائلتي.

واستولى (حجي حسين) على بندقية (ملك ناطور) التياري، ولا زالت عائلته تحتفظ بها، ومُنِّيَ الرتلان بحسائر فادحة، ومن بين قتلى الزبياريين كان (محمد شريف الزبياري). بعد هذه الهزيمة، لم يحاول الإنكليز إعادة الكرة، واكتفوا باعتبار هذه قرى الزبيار خارج السيطرة والخدمات، وأدركوا أن العشائر الكردية في الاقتتال الداخلي مدفوع الشمن، لن تكون جادة، خوفاً من عمليات الثأر.

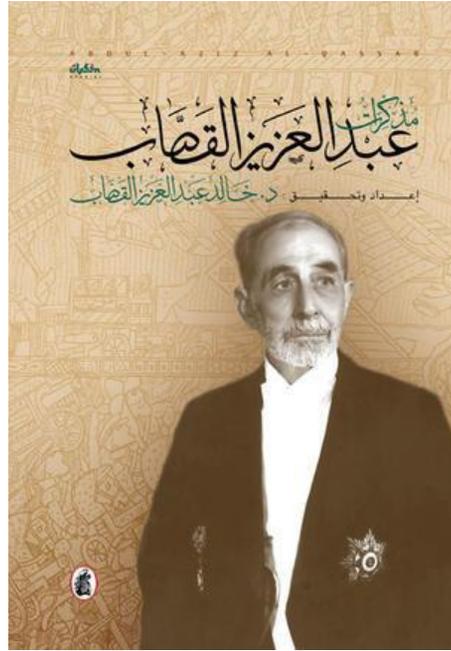
عند تشكيل الحكومة العراقية، بدأت المفاوضات مع الزبياريين في قرية (رأس شهبي)، وفرضوا غرامة أربعين بندقية على الزبياريين، ورفض (فارس آغا). ثم جرت

في مناطق جبلية وعرة، خاض الزبياريون عدة معارك، وخاصة داخل الحدود العراقية، مع مقاتلين من العشائر الكوردية، قام الإنكليز بتجنيدهم. وأن (فارس آغا) قال لـ(نعمت باني): "ابق في نهاية القافلة، وإذا رأيت امرأة غير قادرة على العبور فاقتلها، أفضل من أن تقع أسيرة بيد العدو". و"حالما علمت سلطات الاحتلال البريطانية بمقتل الحاكم السياسي (بيبل)، ومعاونه (سكوت)، واستيلاء رجال العشائر على (عقرة)، أصدرت الأوامر إلى النقيب (كيرك)، معاون الحاكم السياسي في (راوندوز)، لاسترجاعها من أيدي الثوار، والتنكيل بهم. وفي سهل (حريز) و(باطاس)، تصدت له عشائر السورجية في عدة معارك... في ٢٧/١١/١٩١٩ دخل (عقرة) بدون مقاومة، لأنهم تركوها لئلا يُصاب الأهالي بأذى".

في خريف ١٩٢٠ اضطر الزبياريون أن يعودوا إلى قراهم، فجنّد الإنكليز رتلين من المقاتلين المرتزقة، الأول بقيادة (ملك ناطور) التياري، والثاني بقيادة اثنين من آغاوات العشائر الكوردية في (دهوك)، وتقدّما إلى منطقة الزبيار، تعرّض الرتلان إلى عدة كمائن وغارات، الأول بقيادة (خالد آغا بن محمد آغا الزبياري)، ومعه أحد عشر رجلاً، الثاني بقيادة (أحمد جاربوتي)، والثالث بقيادة (نعمة

الموظفين من المهاجرين من منطقة (وان)، بعد أن احتلها الروس، ويعملون بأجور يومية، وهم مكلفون بجمع الضرائب، والتكاليف الحربية، من سكان القرى المحيطة بالمركز". وتظهر حدود القضاء في خرائط الإنكليز، والدولة العثمانية، يحدها من الشمال: مقاطعتي (نهري) و(كور)، وجنوباً: مدينة (عقرة)، وغرباً: (العمادية)، وشرقاً: قضاء (رواندوز). وتعتبر مناطق الزيبار شبه جزيرة على ضفاف الزاب الكبير، وروافده. يتابع (القصاب) مذكراته: "علمت بعد أربعة أيام أن معلم مدرسة قرية (هرن)، قد ذهب إلى منطقة الهركي والكردني ونيروه، لجمع التكاليف الحربية، ورجع ومعه قافلة من ستين كردياً من أهالي القرى، يحمل كل واحد منهم ما يزيد على الأربعين كيلو من الحبوب، تسلقوا بها جبلين مرتفعين، وكان قد مات أربعة منهم في الطريق... صباح اليوم التالي جاءني مدير المال، ووضع أمامي اثنتين وثلاثين ليرة ذهبية.. سألته: كيف تصرف سابقاً في أحوال كهذه، أجاب: سلفكم كان يأخذ نصفها، ويوزع ما تبقى على أعضاء اللجنة: مدير المال، ومأمور التحصيلات، وبابكر آغا".

قرر مجلس الوزراء في جلسته المنعقدة في ١٦/١٢/١٩٢٤ (إحداث قضاء في الزيبار، ويشتمل على ناحيتي (نهلة) و(بارزان)، وفك



الجولة الثانية من المفاوضات في قرية (سيسنا)، برعاية (حجي قادر آغا الشوشي)، والذي قال بأنه سيدفع عشرين بندقية، للتخفيف عن (فارس آغا)، فوافق الأخير. وتمّ انتخاب (فارس آغا) عضواً في (مجلس النواب العراقي)، للدورتين السابعة والثامنة (١٩٣٧ - ١٩٣٩)، ومن بعده شقيقه (محمود آغا) الزيباري، عضواً للدورات (١١-١٦)، للفترة من ١٩٤٧ ولغاية ١٩٥٨.

قضاء الزيبار في الوثائق والمذكرات

يقول (عبد العزيز القصاب) في مذكراته: "كان المركز عند تسلمي القضاء في ١٠/٣/١٩١٨ في (بيره كيره)... وأكثر



١٩٤٤م: صورة تذكارية لجميع الزعماء القرويين بسطلي البارزاني الثالث في الصف الأمامي من بين ثمانيناً مع عدد من رؤساء ووجهاء العشائر الكردية.

Mostafa Barzani (front row, third from right) with Kandish tribal leaders, 1944.

من راتب الموظف، وتابعا للواء أربيل، بينما كانت قرية (هرن)، تابعة لناحية (نهلة)، وقرية (هوكي) تابعة لقضاء (عقرة)، التابع للواء الموصل. وهذا دليل على أنّ مركز قضاء الزيبار القديم لم يعد له وجود، وكان قد تمّ نقل الدوائر الإدارية والموظفين إلى (راوندوز)، التي صار اسمها قضاء الزيبار، بينما لم يعد لاسم (راوندوز) وجود في الخرائط والمخاطبات الرسمية والقوانين والتعليمات والأنظمة التي صدرت من الحكومات آنذاك.

ويتم (القصاب) مذكراته: "من رجال الزيبار البارزين: (فارس آغا بن محمد آغا)، وإخوانه: (محمود) و(أحمد)، وقرية: (بابكر)،

ارتباطهما عن قضاء عقرة)، ونشر القرار في جريدة (الوقائع العراقية) العدد ٢٦١ في ١٥/١/١٩٢٥. وكانت الكابينة السادسة لمجلس الوزراء، والوزارة الهاشمية الأولى (٢/٨/١٩٢٤ - ٢١/٦/١٩٢٥). وحين أصدرت الكابينة الخامسة والخمسون، وكانت الوزارة السعيدية الثالثة عشرة (١٧/١٢/١٩٥٥ - ٢٠/٦/١٩٥٧) نظام الرواتب والأجور رقم (٣٢) بتاريخ ٢/٨/١٩٥٦، ونشر النظام في جريدة (الوقائع العراقية) العدد: ٣٨٤٩ في ٢٣/٠٨/١٩٥٦، كان قضاء الزيبار مذكوراً في الجدول رقم (ب)، ضمن الأماكن التي تمنح فيها المخصصات المحلية بنسبة ٧٪.

الهوامش:

- ١- مذكرات عبد العزيز القصاب، إعداد وتحقيق: د. خالد عبد العزيز القصاب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٧، بيروت، ص ١٦٢.
- ٢- عبد المنعم الغلامي، ثورتنا في شمال العراق: ١٩١٩-١٩٢٠، مطبعة شفيق، ١٩٦٦، بغداد، ص ٧٦.
- ٣- محمد أمين عثمان، حصاد الحنظل، دهوك، ١٩٩٨، ص ٤٣. الغلامي، ثورتنا في شمال العراق، ص ٨١.
- ٤- المس بيل، فصول من تاريخ العراق القريب، ترجمة: جعفر الخياط، دار الرافدين، ٢٠٠٤، بغداد، ص ٢٢٧-٢٢٨.
- ٥- رزا زبير زيباري، الزيباريون والتاريخ، مطبعة هوار، ٢٠١٢، دهوك، ص ٢٢.
- ٦- حميد شكري، عقرة في العد الملكي، دار سبيريز للطباعة والنشر، ٢٠٠٨، دهوك، ص ٤٣-٤٤. ومصدره: الغلامي، ثورتنا في شمال العراق، ص ٨٢.
- ٧- مذكرات عبد العزيز القصاب، إعداد وتحقيق: د. خالد عبد العزيز القصاب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٧، بيروت، ص ١٥٥.
- ٨- مذكرات عبد العزيز القصاب، إعداد وتحقيق: د. خالد عبد العزيز القصاب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٧، بيروت، ص ١٥٧.
- ٩- مذكرات عبد العزيز القصاب، إعداد وتحقيق: د. خالد عبد العزيز القصاب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٧، بيروت، ص ١٥٩.

وأولاد (سليم آغا): (علي، ومسيح، وتسو آغا)، و(عبد القادر شوش)، و(محمد آغا شيروان)، و(نعمة آغا درويش). وزرت أثناء تجوالي في منطقة (بازي بروش) قرية (بارزان)، واجتمعت بإخوان الشيخ (عبد السلام ابن الشيخ محمد البارزاني)، وهم: (أحمد، ومحمد صديق، ومصطفى، ومحمد بابو)، وكانوا شبابا تتراوح أعمارهم بين الخامسة عشر والعشرين، وجميعهم منزوون في تكية أبيهم". ونحن نعلم أنّ (ملا مصطفى البارزاني) مواليد ١٩٠٣، ولهذا كان عمره حين قابله (القصاب) خمسة عشر عاماً، وحين أعدم شقيقه الأكبر (عبد السلام)، كان عمره إحدى عشرة سنة، وأنّ الشيخ (أحمد) البارزاني مواليد ١٨٩٦، لهذا كان عمره اثننتين وعشرين سنة، حين التقى بـ(القصاب). وكانت المنطقة تعاني توتراً أمنياً آنذاك، لقرب العهد بانتفاضة الشيخ (عبد السلام البارزاني) (١٩٠٩-١٩١٤)، الذي اعتقل غدرًا في (تفليس)، وأُعدمَ بأمر من (سليمان نظيف)، والسي الموصل، في ١/١٢/١٩١٤، مع (محمد آغا هيشه تي)، (عبدي آغا مزوري)، (علي بن محمد أمين)، و(تتر علي سيني) □

ثقافة



- لقاء مع الشاعرة والأديبة الكويتية سعدية مفرح

حاورها: بسام الطعان

سعدية مفرح: القصيدة الحقيقية تظل حية ومتوهجة دائماً

حاورها: بسام الطعان



شاعرة وناقدة وصحفية كويتية، تعمل بالصحافة منذ عقد ونصف، تُرجمت قصائدها إلى الإنكليزية والفرنسية والألمانية والإسبانية والسويدية والطاجيكية والفارسية، تهتمُّ بالكتابة الشعرية للأطفال، وأصدرت لها مجلة (العربي) مجموعة شعرية للأطفال بعنوان (النخل والبيوت).. فازت بعدة جوائز شعرية، وصدرت عن تجربتها عدة كتب ودراسات، باللغتين العربية والإنكليزية.. تنشر قصائدها ودراساتها في الكثير من الصحف والدوريات العربية. وقد صدر لها: (آخر الحالمين كان) شعر/ ١٩٩٩، و(تغيب فأسرج خيل ظنوني) شعر/ ١٩٩٤، و(كتاب الآثام) شعر/ ١٩٩٧، و(مجرد مرآة مستلقية) شعر / ١٩٩٩، و(تواضعت أحلامي كثيراً) شعر/ ٢٠٠٦، و(كتاب سين، نحو سيرة ذاتية ناقصة) / ٢٠١١.

* كناقدة، ما هي رؤيتك للعمل الإبداعي؟
- أفضل أن أتلقى العمل الإبداعي كمتلقية وقارئة، وبتلك الصفة تكون اللذة هي بوابتي الأولى نحو العمل، ولم أعد أجبر نفسي على قراءة عمل لم يعجبني منذ صفحاته الأولى، تجرّد أنني أود الكتابة عنه مثلاً.

* الحركة النقدية العربية هل هي ضعيفة في الوقت الراهن؟ وهل لإرهاصات الوضع الثقافي العربي أثر في ضعف الحركة النقدية؟

- ليست ضعيفة، بل أرى أن النقاد هذه الأيام أكثر من الشعراء والروائيين، ولكنهم يركّزون على النقد التنظيري أكثر من تركيزهم على النقد التطبيقي. أنا متفائلة بالمشهدين الشعري والنقدي على حدٍ سواء، وأرى أن الإبداع العربي بخير. فقط نحن بحاجة للمزيد من الثقة بما نكتبه، وما نكتب عنه.

* أيهما أكثر غنى من حيث الإيقاعية، الشعر العربي القديم، ببنيته العمودية، أم الشعر العربي الحديث، ببنيته التفعيلية؟

- بصراحة، لا أقيس الأمور هكذا، أعني أنني لا أمسك بالآلة الحاسبة لأحصي الشروات الإيقاعية التي يتمتع بها الشعر العربي القديم والشعر العربي الحديث، حتى أنني لا أستسيغ أن أصف الشعر بالقديم أو الحديث، فالقصيدة الحقيقية تظل حيةً ومتوهجة دائماً، ولنا في تراثنا الشعري، الذي نجح في اختبار الزمن، مثال على ما نقول. ثم إن الإيقاع ليس هو المعيار على شعرية النص، مع

* أنت شاعرة وناقدة وصحفية، ما سبب توجهك للتنوع في الكتابة الأدبية؟ لمن تنحازين أكثر: للشعر، أم للنقد، أم للعمل الصحفي؟

- أنحاز لذاتي التي لا تتشظى كما يوحي السؤال، بل تنوّع وتزداد ثراءً، عبر كل هذه الممارسات الكتابية. أحاول أن أعبر عن ذاتي بواسطة الكتابة، محض الكتابة، ولست أبحث عن الأسباب، لأنها لا تعيني، مع الأخذ في الاعتبار أن الصحافة هي مهنتي التي مارستها منذ أن كنت في الثامنة عشرة من عمري، وقبل أن يصدر لي ديوان شعري أو تنشر لي قصيدة، وما زلت أمارسها بذلك الشغف الأول، دون أن أشعر بالملل مثلاً. وأستطيع القول إنني كشاعرة استفدت كثيراً من عملي في الصحافة، فقد فتحت لي أبواب النشر بسرعة، واختصرت عليّ سنوات من محاولات التعريف بتفاصيل تجربتي الشعرية، وسهلت لي التعرف على تجارب أخرى شعرية ونقدية وصحفية أيضاً، ولهذا أشعر أنني مدينة لها بأحلى كتاباتي.

* هل لك أن تضعي القارئ في صورة الحركة الشعرية في الكويت، وأين مكانها على خارطة الشعرية العربية؟

- على خط متواز مع تجليات الحركة الشعرية العربية المتوحدة في كل مكان، ولا أنظر للحركة الشعرية في (الكويت) بمعزل عن إطارها العربي، وخصوصاً بعد أن صار التواصل بين التجارب، وأصحاب التجارب الشعرية، في جميع أقطار الوطن العربي، أسرع وأكبر.

يكاد يختفي عن الأنظار، ولا يظهر للعيان إلا في بعض المناسبات الرسمية والتظاهرات الوطنية؟

- وهذا أسوأ ما في الأمر، أعني أن يرتبط شكلٌ معين من أشكال الكتابة الشعرية بموضوعاتٍ بعينها، كأن ترتبط القصيدة العمودية بما يسمّى بالقصائد الوطنية، وقصائد المديح تحديداً. لعلّ هذا أحد أسباب الانحسار الذي يشير إليه السؤال. الشعر ضدّ الأشكال الجاهزة، وضدّ البلاغة الجاهزة، بل هو ضدّ كل ما هو جاهز وناجز مسبقاً. الشعر دهشة متناصلة عن بعضها البعض، ولا يقتله أكثر من أن يجد نفسه محاصراً بالشكل، قبل أن يتحقّق كقصيدة.

* هل الشعر في الوقت الحالي صالح للتعبير، وقادر على مجازاة العصر، وهل ذلك يتطلب مواهب متميزة، خاصة، قادرة على تفجير طاقاتٍ تعبيرية جديدة؟

- القصيدة قادرة على خلق زمانها، وهي ليست مجرد وسيلة للتعبير، هي لحظة دهشة كاملة في اللازمان واللامكان، لا تحتاج سوى إلى ومضة من الموهبة كي تخلق زمنها ومكانها الخاصين، ولعلّها تكون هي الزمان وهي المكان.

* لدى العرب الآلاف من الشعراء المعاصرين، وأيضاً الكثير من الشاعرات، ولكن ليس لديهم الأحاد من الشعراء الكبار من جيل الرواد، كأحمد شوقي، والشابي، والجواهري، والسيّاب، وقباني، والقائمة تطول؟

إعجابي الشديد به كأحد أهمّ مكونات النص الشعري العربيّ، بغض النظر عن شكل هذا النص. ولعلي لا أبلغ إذا قلت: إنني أجد في كثير من قصائد النثر، من الإيقاع، ما يطغى على الإيقاع الذي أجده في بعض القصائد التفعيلية، على صعيد إحساسي بذلك الإيقاع، وملاءمته لأجواء النص النفسية، على سبيل المثال.

* يلاحظ أن قصيدة النثر بدأت بالانحسار لحساب شعر التفعيلة، الذي ما يزال يؤكد جدارته الفنية، من حيث الشكل، في استيعاب الطموحات الشعرية لدى الكثيرين من الشعراء العرب المعاصرين، ما رأيك؟

- بصراحة لا ألاحظ ذلك، فنظرة سريعة على المجالات الأدبية والصفحات الأدبية في الصحف اليومية - على سبيل المثال - تجعلنا نكتشف دون عناء أن أكثر من ٨٠٪ ممّا يُنشر من شعرٍ ينتمي لحقل قصيدة النثر. أنا محررة صفحة ثقافية لمدة تقرب من العشرين عاماً، وأستطيع أن أحكم على الأمر بسهولة على هذا الصعيد. وهذا طبعاً لا يُلغى الجزء الثاني من فرضية السؤال الذي يقول إن "شعر التفعيلة ما يزال يؤكد جدارته... إلخ"، فأنا أيضاً مؤمنة بذلك، ولكنني أيضاً مؤمنة بأن قصيدة النثر قد أكّدت جدارتها على هذا الصعيد، وقبلهما القصيدة العمودية. لا أحكم الشكل، ولا أحمّز تقييماً لشكل ضد آخر، وإن انحزت إبداعياً مثلاً لشكل معين، شرط ألا يكون شكلاً جاهزاً قبل تكون القصيدة.

* أيضاً ثمة انحسار آخر للشعر العمودي، الذي

- ليس على الشاعر شيء، سوى أن يكون نفسه، وسوى أن يعبر عن ذاته، بكل صدق وجمال وحرقة. أما تلك القضايا الكبرى للوطن والأمة، فليست من مهمات الشاعر، وهو بالمناسبة لا يملك من الأدوات ما يجعله قادراً، كشاعر وحسب، على الاهتمام بها. ثم إن أهل السياسة، في وطننا العربي، ينافسون هم الراقد على القلب، في كثرة عددهم، وقوة عديدهم، فلندع قضايا الوطن والأمة لهم، وإلا فماذا يفعلون!؟

* هل من أصواتٍ شعرية جديدة في (الكويت)، يمكن أن ينظر إليها بعين الدهشة والإعجاب؟

- بالتأكيد، هناك شعراء شباب تتخطى تجاربهم حدود الدهشة والإعجاب، ومنهم (سعد الجوير)، و(محمد هشام المغربي)، و(حمود الشايجي)، وغيرهم، لكن علينا الإشارة إلى الأصوات القصصية والروائية، التي ظهرت في (الكويت) مؤخراً، متفوقة في عددها، وربما في مستواها، على الشعراء، ومعظمها أسماء نسائية. وأستطيع الإشارة على هذا الصعيد إلى (استبرق أحمد)، و(ميس خالد العثمان)، و(بثينة العيسى)، و(هبة بوخمسين)، وغيرهن □

- في زمن الشعراء الكبار، الذين ذكرتهم في سؤالك، كان يوجد الآلاف من الشعراء المعاصرين آنذاك، لكن اختبار الزمن لا ينجح فيه سوى الكبار يا عزيزي.

* ما هي المعطيات التي يتم بها النقد الثقافي السليم؟

- لا أعرف، ولا أستطيع أن أكتب وصفة دقيقة تشبه وصفات الأطباء في هذا الشأن، ولكنني أستطيع على الأقل أن أشير إلى قاعدة شرعية تصلح لأن تكون قاعدة ثقافية، وهي تقول: "استفت قلبك" أو "استفت ذائقتك"، لأن النقد - وخصوصاً نقد القصيدة - يجب أن ينطلق من الذائقة، قبل أن يستعين بأدوات نقدية أخرى، ليست سوى أدوات مساعدة.

* كيف تكتين القصيدة، وما هو تصورك للشعر وطرائق تعبيره، وكيف تبدو رؤيتك عبره للعالم من حولك؟

- ليتني أعرف كيف أكتب القصيدة، بل لو كنت أعرف من أين أبدأها، وكيف أنهيها، على الأقل، لكتبت كل يوم عشر قصائد. ما زالت القصيدة بالنسبة لي سرّاً عصياً على البوح بتفاصيله، ولغزاً مستحيل الحل، ولكنها على أي حال ما زالت أيضاً قادرة على انتشالي من كل تفكير مسبق، وكل تخطيط جاهز للكتابة.

* هل على الشاعر أن يلتزم دائماً بقضايا الوطن والأمة؟



صلاح سعيد أمين
Selah1434@gmail.com

بصراحة المعركة الحاسمة مع الإرهاب

ربما يكون مصطلح (الإرهاب) من أكثر المصطلحات الشائعة والمتداولة اليوم، وعلى كل المستويات، والكل يريد أن ينأى بنفسه عن (الإرهاب)، سواء أكان متهماً به، أو ممارساً له. وعالم اليوم يعاني كثيراً من (الإرهاب) وتداعياته الخطيرة، حيث أصبح شغله الشاغل، ويحاول (الكل) أيضاً أن يعالج مرض (الإرهاب)، وأن يجد له علاجاً شافياً كافياً.

لكن يخطئ (الكل)، شاء أم أبى، قصداً أو عن غير قصد، في محاولته كسب جماح (الإرهاب)، والقضاء عليه. ومن الواضح أن الأخطر من (الإرهاب) نفسه، هو عدم وجود تعريف جامع مانع شامل له على المستوى الدولي والإقليمي، وحتى في داخل الدول نفسها، بشكل يحدد مشخصاته، ويميزه عن النضال والكفاح المشروع، الذي تعترف به وتعرفه كل القوانين السماوية والوضعية، والذي كفلته للجميع كل الدساتير، وفي كل بلدان العالم.

نحن بحاجة ماسة - وخصوصاً في وضعنا الراهن، وقيل أن نفتح قائمة جديدة، وندرج فيها كل من لا نحب أن نرى وجهه، وكل من لا نقبل فكره وطريقته في الحياة - إلى أن نجتمع على طاولة واحدة، وأن لا نتركها حتى نضع تعريفاً جامعاً شاملاً لهذه الظاهرة، ونخرجها من أزمة الهوية. وبالتالي فإن المعركة الحاسمة للإرهاب تكمن هنا، وتنتهي من هنا، وليس بتشكيل التحالفات، والضربات الجوية، وتحشيد البشر.

اليوم، من يملك القوة وسيطر على الآخر (عالمياً، إقليمياً، داخلياً)، هو الذي يحدد هوية (الإرهاب) ويلصقها بالآخرين، وبالتالي يزوج بمن لا يروقون له في غياهب السجون، ويفرض عليهم أحكاماً قاسية غير متوقعة من أحد..

إن التاريخ لا يرحم، وإن الضمائر الحية لا تُخدع، ولذلك فمن واجب المؤسسات الدولية المعنية، أن تحاول محاولة جدية لرسم صورة للإرهاب، وأن تمنحه هويته، بغية أن لا تختلط الملفات، وأن لا يستغل (الإرهاب) من قبل (الأقوياء)، لكي يمارسوا قتل البشر والحجر، تحت ذريعة (الإرهاب)، من دون أن يستطيع أحد أن يقول لهم: كفى! □

أخبار وتقارير

– أخبار

إعداد: المحرر السياسي

– شخصيات سياسية وأكاديمية تطرح (خارطة طريق) لإقامة الدولة الكوردية

تقرير: الحوار

– ملتقى حوارى شرق أوسطى بأربيل يبحث قضايا العراق والمنطقة

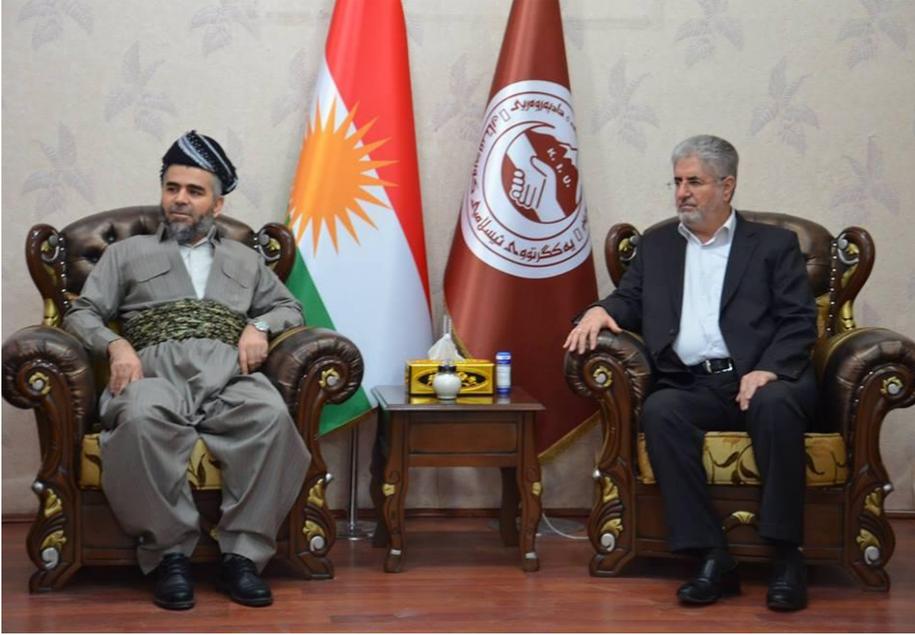
إعداد: المحرر السياسي

– ندوة تناقش التطرف الدينى وسبل معالجته

إعداد: المحرر السياسي

أخبار

إعداد: المحرر السياسي



العام ليككرتوو (محمد فرج)، وأمير الجماعة الإسلامية (علي بابير).
وتناول المكتبان السياسيان في اجتماعهما عدة محاور، منها: تفعيل مضامين مشروع التعاون الإسلامي بين الجانبين، بالإضافة إلى بحث أوضاع كردستان السياسية والأمنية، والتأكيد على إعادة مسودة دستور الإقليم إلى البرلمان الكردستاني.

اجتماع مشترك للاتحاد والجماعة الإسلامية

عقد المكتبان السياسيان للاتحاد الإسلامي الكردستاني، والجماعة الإسلامية الكردستانية، اجتماعاً مشتركاً، بأربيل، يوم الإثنين الموافق ٢٤/١١/٢٠١٤.
الاجتماع المشترك، عُقد بإشراف الأمين

كتلة يكرتو: قانون العفو العام لا يشمل المحكومين بقضايا الإرهاب

شرع برلمان كوردستان بإصدار مشروع العفو العام، والذي يهدف إلى تخفيف الأحكام الصادرة بحق المحكومين، سواء بالإفراج عنهم، أو تخفيف الأحكام الصادرة بحقهم، وإصدار صيغه عادلة لتنفيذه، حيث طالب بعض الأعضاء بتخفيف الأحكام الصادرة بحق الذين اتهموا بالإرهاب، ممن لم تتلطخ أياديهم بدماء المواطنين، ولكن لم يتم الاتفاق عليه حتى الآن، وهو موضع دراسة بين الأعضاء والكتل البرلمانية.

وفي هذا السياق قال (أبو بكر هلدني) رئيس كتلة "يكرتوو" وعضو اللجنة القانونية، في تصريح صحفي: "هناك آراء مختلفة بهذا الشأن حول المواد التي تشمل الفئات، وهي ما يتم الصلح بين الأطراف المختلف بينها، وكذلك المحكومين الذين أمضوا فترة كبيرة من محكومياتهم في السجن، وهناك فئات غير مشمولة، وهي الإرهاب والمخدرات وزنا المحارم".

وناقش الجانبان أيضاً الاتفاق الأولي بين أربيل وبغداد، وشددوا على دعمه باعتباره مخرجاً من الأزمة.

وجدد المكتبان السياسيان للاتحاد الإسلامي الكوردستاني، والجماعة الإسلامية الكوردستانية وقوفهما إلى جانب القوى الوطنية الكوردية، وقوات بيشمركة كوردستان في مواجهة (داعش)، مثنين دور القوات الكوردية في الدفاع عن (كوباني).

إدانة التفجير الآثم بأربيل

أدان الاتحاد الإسلامي الكوردستاني بشدة التفجير الآثم الذي استهدف مبنى محافظة أربيل.

وقال الاتحاد الإسلامي الكوردستاني في بيانين أصدرتهما (الكتلة البرلمانية) و(المركز الثاني) إن التفجير الآثم اغتال الأبرياء واستهدف الاستقرار، وهو يُظهر مدى الحقد الدفين الذي تكنه الجهة المنفذة تجاه الكورد وكوردستان.

وعبر الاتحاد الإسلامي الكوردستاني عن استهجانه وإدانته الشديدة للتفجير، داعياً الجهات ذات العلاقة في الحكومة إلى سد الثغرات الأمنية والتصدي بحزم للعدوان.

القضايا الراهنة المتعلقة بأوضاع النازحات وأسرههم.

وذكر بيان للوزارة، تلقت (الحوار) نسخة منه، أن الوزيرة (بيان نوري) استقبلت السفير الأمريكي في مكتبها، حيث استعرضت أهم الخطط والبرامج التي تعمل عليها الوزارة، والمتمثلة بالنهوض بالمرأة، ومجابهة العنف الموجه ضدها، ومتابعة أحوال النساء النازحات.

وفي الصدد ذاته استقبلت وزيرة الدولة لشؤون المرأة (بيان نوري) القائمة بالأعمال البريطانية في بغداد (بلندا لويس) بمقر الوزارة، وتباحث الجانبان سبل تعزيز التعاون في مجال مساعدة النساء النازحات والناجيات من الاعتداءات الجنسية.

وقالت الوزيرة الكوردية إن وزارتها تنسق مع مختلف الجهات الحكومية والمدنية لتقديم الخدمات الانسانية والنفسية والصحية للنساء النازحات، لافتة إلى وجود نحو ٢٠٠ امرأة تم تحريرهن من مسلحي (داعش)، في إقليم كوردستان، وهن بحاجة ملحة إلى رعاية صحية ونفسية □

النائب عادل نوري: هناك هدر كبير في الأموال المخصصة للنازحين

كشف نائب عن كتلة الاتحاد الإسلامي الكوردستاني بمجلس النواب العراقي عن ملفات فساد تتعلق بلجنة الهجرة والمهجرين لمساعدة النازحين العراقيين بمدينة دهوك.

وقال النائب عن كتلة الاتحاد الإسلامي الكوردستاني بمجلس النواب العراقي، وعضو اللجنة المشكلة لمتابعة أعمال لجنة الهجرة والمهجرين (عادل نوري)، إن اللجنة تمكنت من رصد، وكشف العديد من ملفات الفساد بلجنة الهجرة والمهجرين الخاصة بمساعدة النازحين بمدينة دهوك.

وأوضح (عادل نوري) بأنهم رصدوا ما لا يقل عن ثلاثة مليارات من الأموال المهدورة في صفقات شراء الخيام للنازحين في دهوك.

بيان نوري تستعرض واقع المرأة العراقية

بحثت وزيرة الدولة لشؤون المرأة (بيان نوري توفيق) مع السفير الأمريكي في بغداد (ستيوارت جونز)، آفاق التعاون المشترك بين الجانبين حول القضايا الخاصة بالمرأة، لا سيما

شخصيات سياسية وأكاديمية

تطرح (خارطة طريق) لإقامة الدولة الكوردية

متقن وكاتب)، (د. يحيى عمر ريشاوي - إعلامي وأكاديمي)، (عطا محمود - ناشط حقوقي).

واستهلت المذكرة بالقول: من دافع همومنا التشاركية، ومن منطلق المسؤولية التي نفتنح بها جميعاً، نحن مجموعة من الشخصيات السياسية والأكاديمية والثقافية، استشعرنا الحاجة إلى إعداد (خارطة طريق) تحقيقاً لهذا الهدف، نوجهها إلى القيادة السياسية والرأي العام الكوردستاني.

وتابعت المذكرة قائلة: نناشد المراكز السياسية، والدبلوماسية، والإعلامية، والدينية، إلى وضع خلافاتها جانباً، والعمل معاً يداً واحدة لإطلاق حملة لوضع خطة مشتركة، بهدف تهيئة الأرضية في الذكرى المئوية لـ(اتفاقية سايكس - بيكو) التي ستحل في ١٦/٥/٢٠١٦، والفكرة هي الإسراع بإنجاز الأعمال الأساسية في هذه الحملة الشاملة والموحدة، وإعلان اتخاذ آخر خطوة نحو الاستقلال بحلول ذكرى الاتفاقية. وطالبت المذكرة، الجهات السياسية، والمنظمات المهتمة بالوثوق في (خارطة

تطرح شخصيات سياسية وأكاديمية وإعلامية ونشطاء مجتمع مدني مشروعاً يتضمن خطوات لاستقلال إقليم كوردستان وإقامة الدولة الكوردية.

وجاء المشروع على شكل مذكرة حملت عنوان (خارطة طريق خاصة بخطوات تحويل جنوب كوردستان لدولة مستقلة) - حصلت (الحوار) على نسخة منها - موجهة إلى الرئاسات الثلاث في الإقليم، ورؤساء الأحزاب الكوردستانية، ومسؤولي منظمات المجتمع، ومنظمات حقوق الإنسان.

والمذكرة المؤرخة في ٣/٨/٢٠١٤، ذيلت بأسماء وتواريخ تلك الشخصيات، وهم: (عمر عبد العزيز - رئيس كتلة يكتوتو السابق في برلمان كوردستان)، (د. أنور محمد فرج - أستاذ جامعي)، (د. كنعان حمه غريب - أستاذ جامعي)، (د. رؤوف كريم - أستاذ جامعي)، (بيخال أبو بكر - أستاذة جامعية)، (عبد السلام مدني - ناشط مدني)، (د. ريبوار كريم - أستاذ جامعي)، (آرام قادر - برلماني سابق)، (حامد محمد علي - كاتب وصحفي)، (محسن جوامير -

خ- قائمة بأسماء ضحايا النظام من شهداء ومصابين.
ج- السجلات المدونة فيها أسماء المدن والقرى المدمرة.

ثالثاً: بعد ترجمة وإعداد الوثائق، يتوجب الإسراع برفع تلك الوثائق والأدلة إلى الجهات الدولية، عن طريق برلمان كردستان، أو عبر ممثلات حكومة الإقليم في الخارج..

رابعاً: من الضروري بعد الاطمئنان على وصول تلك الوثائق إلى الجهات الدولية، القيام بتحركات دبلوماسية، على المستوى الرسمي لحكومة إقليم كردستان، بمشاركة شخصيات سياسية ومنظمات حقوقية، تستهدف زيارة المراكز العربية، والإسلامية، والدول الأوروبية، وبالأخص الأشخاص والدوائر المؤثرة على أعضاء مجلس الأمن الدولي، لتشكيل لوبي يساند الكورد وقضيته، وتحليل تلك الوثائق بشكل مباشر، وإيصال مطالب الكورد، وآخر مستجدات المنطقة إلى تلك الدوائر الدولية.

ثامناً: يجب وضع خطة شاملة لإعادة هيكلة قوات البيشمركة، وإكمال جهوزيتها، وفتح دورات توعية، ووضع خطة للتدريب العسكري المكثف، وإن اقتضت الضرورة

الطريق) هذه، والأخذ بمضامينها، والاستفادة منها لأجل صياغة خارطة طريق كوردستانية شاملة موحدة.

وحددت المذكورة مضمونها بالنقاط التالية:
أولاً: عقد مؤتمر موسع وعاجل، قبل نهاية العام الحالي ٢٠١٤، يدعى إليه مجموعة من الخبراء القانونيين، ومثلي القوى السياسية، وعلماء الدين، والمفكرين والمثقفين، ومثلي الكتل البرلمانية، وممثلين عن حكومة الإقليم، لتحديد خطوات العاملين المقبلين، تحت رقابة (برلمان كردستان)، باعتباره المرجع السياسي لشعب كردستان.

ثانياً: تشكيل لجنة من المترجمين المحترفين، لترجمة الوثائق الخاصة التي توثق معاناة الكورد، بعد اتفاقية سايكس - بيكو، إلى اللغات الرئيسة العربية والإنكليزية والفارسية والتركية، بالأخص ترجمة الملفات التالية:
١- مشروع طمس الهوية الكوردية.

ب- تشويه ديموغرافية كردستان، وتغيير جغرافيتها الإدارية.

ت- الترحيل القسري للكورد، وتشتيتهم خارج أرضهم.

ث- عمليات القتل والتصفية (الأنفال).

ح- قصف (حلبجة)، ومناطق مختلفة كوردستانية، بالسلاح الكيماوي.

تشكيل أولية جديدة، ومطالبة القوى السياسية والمواطنين الانخراط فيها.

خمس عشرة: تعديل المواد القانونية الخاصة بعدد أعضاء البرلمان، وزيادة عدد المقاعد، بحيث يصار إلى إجراء انتخابات تكميلية للمناطق الكوردستانية خارج إدارة الإقليم، خلال مدة لا تتعدى نهاية ٢٠١٥.

ستة عشر: تعديل قانون النفط والغاز في إقليم كوردستان، بحيث يتماشى مع الاحتياجات الجديدة للإقليم خلال الأشهر الستة المقبلة.

سبعة عشر: تشكيل لجنة سياسية عليا لإطلاق حملة دبلوماسية خاصة للتفاوض مع الأطراف السياسية والمرجعات والشخصيات العراقية، بهدف تشكيل لوبي داخلي مساند، وتقليل العقبات أمام المشروع المرتقب.

وختتمت المذكرة بالقول: ما تقدم - من وجهة نظرنا - خطوات أساسية في (خارطة الطريق) للعامين المقبلين، ويجب قبل ظهور أي سيناريو جديد، وضياح الوضع القائم، المباشرة بتنفيذ تلك الخطوات، وحسب الأولويات، مع اتخاذ خطوات أخرى، على أن تكون عوامل (السرعة)، و(الفاعلية)، و(وحدة الصف)، شروطاً لازمة لإنجاح هذا المشروع. □

تاسعاً: تهيئة أرضية مشتركة في مجال عقد الاتفاقيات الأمنية على مستوى دول الجوار، والمنطقة، وحتى على المستوى الدولي.

عاشراً: توفير جزء من الاحتياطي النقدي، خاصة لحملة العامين المقبلين، لتدارك أي متغيرات غير متوقعة.

أحد عشر: يتوجب تعديل بعض المواد ذات العلاقة في دستور إقليم كوردستان قبل نهاية العام المقبل ٢٠١٥، وبجسب مقتضيات مصلحة شعب كوردستان.

اثنا عشر: تكليف لجنة مختصة لتأشير حدود جنوب كوردستان، بما فيها المناطق المسماة (المتنازع عليها) في الدستور العراقي، بالاستناد إلى الأدلة والوثائق التاريخية.

ثلاثة عشر: إشراك ممثلي بقية القوميات وأصحاب الديانات بكوردستان، في اللجان والآليات ذات العلاقة، لتطمينهم على تثبيت حقوقهم في دستور دولة كوردستان.

أربعة عشر: تخصيص ميزانية خاصة لإدارة المناطق الكوردستانية خارج إدارة الإقليم، خصوصاً من الناحية الخدمية، وتوفير رواتب

ملتقى حوارى شرق أوسطى بأربيل يبحر قضايا العراق والمنطقة

متابعة وإعداد: المحرر السياسى

(سليم الجبورى)، والأمين العام للاتحاد الإسلامى الكوردستانى (محمد فرج)، وأمير الجماعة الإسلامىة الكوردستانىة (على بابير)، وشخصيات سياسىة كوردىة أخرى، منهم الباحث الإسلامى



(ابو بكر على)، إلى جانب مجموعة من وزراء الحكومتين الاتحادىة وإقليم كوردستان، والباحثين الكورد والعراقىين والأجانب.

وقال رئيس مؤسسة الشرق الأوسط، المنظمة للملتقى، الدكتور (دولار علاء الدين)، فى كلمة الافتتاحىة: إن "الملتقى يهدف إلى وضع استراتيجىة لإعادة الأمن والاستقرار لمنطقة الشرق الأوسط، من خلال دراسة المشكلات العالقة، وتقديم خارطة طريق للقادة والسياسىين المعنىين، وتقريب وجهات النظر بين صناع القرار".

وأضاف علاء الدين قائلاً: "عملىة المصالحة معدومة تقريباً بين السياسىين،

كح انطلقت بأربيل عاصمة إقليم كوردستان، يوم الثلاثاء الموافق ٢٠١٤/١١/٤، جلسات ملتقى الحوار والمصالحة فى الشرق الأوسط.

الملتقى الذى استمر ثلاثة أيام نظمته (مؤسسة الشرق الأوسط للدراسات والبحوث الاستراتيجىة)، ناقش مشكلات منطقة الشرق الأوسط عامة، وأزمات العراق على وجه الخصوص.

وشارك فى هذه الحوارات والمناقشات مجموعة كبرى من القادة والسياسىين العراقىين، بينهم رئيس الجمهورية العراقى (فؤاد معصوم)، ورئيس وزراء حكومة الإقليم (نجىرفان بارزانى)، ورئيس مجلس النواب العراقى

ونقاط تقاربهم باتت قليلة، لذا نحن نهيء حيزاً أكاديمياً محايداً لتسهيل عملية الحوار بين هذه الأطراف"، مبيناً أن: "الجميع في المنطقة يشاركون في أمنها ومشكلاتها"، مشيراً إلى أن الملتقى يسمى لأن يطرح المشاركون آراءهم ومقترحاتهم ووجهات نظرهم حول ما يجري في المنطقة، وكيفية إيجاد الحلول لها.

الجلسة الأولى للملتقى جمعت بين شخصيات أكاديمية وصناع قرار، وتم تبادل الآراء فيما بينهم حول (كركوك)، والمناطق المتنازع عليها، باعتبارها أعقد القضايا التي تواجه العراق.

وخصصت بقية الجلسات في اليومين التاليين حول تنظيم (داعش)، وسبل إنقاذ المجتمعات من سطوته، بالإضافة إلى مناقشة سياسة (تركيا) في المنطقة، ودورها في تعيير معادلات الشرق الأوسط، وكذلك الدور الإيراني في المعادلة السياسية والحالة الراهنة، إلى جانب تناول السياسة الأميركية على المدى البعيد في المنطقة، مع تناول العوائق التي تقف أمام تحقيق المصالحة الوطنية، وفرص النجاح في إعادة إشراك السنة والحوار والمصالحة في العراق. كما حملت الجلسة الختامية عنوان (إقليم كوردستان: الاعتماد السياسي، أم

الاستقلال الاقتصادي).

وشارك رئيس الجمهورية (فؤاد معصوم) في الملتقى، بكلمة أكد فيها على أهمية أن يضطلع المجتمع ككل، والدولة بمؤسساتها كافة، من أجل العمل على تحقيق المصالحة الوطنية بأسلوب جذري وفعال، وبما يساعد على تأمين السلام والأمن في العراق.

من جانبه دعا رئيس مجلس النواب العراقي (سليم الجبوري) إلى مراجعة مشروع المصالحة الوطنية، واستدراك أخطائه السابقة، وقال إن: "الأزمة الأساسية الحالية هي أزمة ثقة متكاملة بين الأطراف السياسية على مستوى النخب انتقلت على مستوى الجمهور".

وفي مداخلة له أكد الباحث والمفكر الإسلامي الكوردي (أبو بكر علي) أن العراق بات إطاراً جامعاً مجرداً لعدة مكونات، لا وحدة انتمائية جامعة، والأفضل التقسيم لمنع إراقة المزيد من الدماء، ولتنتهي معاناة الجميع، التي طالت ما يقارب القرن من الزمان.

واختتم (ملتقى الحوار والمصالحة في الشرق الأوسط) جلساته مساء يوم الخميس الموافق ٦/١١/٢٠١٤، وسط إجماع المشاركين على أهمية عقده، وتفاؤلهم بمخرجاته □

ندوة ندوة تناقش التطرف الديني وسبل معالجته

متابعة وإعداد: المحرر السياسي



بأربيل: الحوار

جبهات عسكرية.

ونظمت العديد من الندوات الإسلامية والمنتقيات الفكرية في محافظات الإقليم، لتحصين المجتمع الكوردي من الفكر المتطرف، وتعبئته للتصدي لمخاطره.

وفي هذا السياق، عقدت بأربيل، يوم الإثنين الموافق ٢٧/١٠/٢٠١٤، ندوة فكرية بعنوان (ظاهرة التطرف الفكري.. أسبابها، وسبل معالجتها).

بعد بروز (داعش) على مسرح الأحداث في سوريا والعراق، وشننه عدواناً على إقليم كردستان، تحركت الأوساط الإسلامية - أحزاباً وهيئات - إلى جانب المؤسسات الفقهية والأكاديمية الكوردية، للوقوف بوجه تصورات التنظيم المتشدد، وتنفيذ حججه ودحض طروحاته، بالتزامن مع المواجهة الميدانية التي تخوضها قوات البيشمركة في عدة

ظواهر من هناك وهناك، والتحق بعض الشباب الكورد بالجماعات المتطرفة، ولهذا رأينا أن نبحث عن الحلول، ونقطع الطريق أمامهم، بتوضيح ما فهموه بشكل خاطئ".

وتضمنت الندوة جلستين، تناولت الأولى، التي ترأسها الدكتور (بشير خليل الحداد)، تقديم ثلاثة بحوث تحت عنوان (بناء الإنسان أصل بناء العمران) للباحث (نوزاد صواش) من (تركيا)، و(جدلية العلاقة بين النص والواقع في نصوص الشريعة) للباحث (عبدالرحمن صديق)، و(الأخر في الثقافة الإسلامية) للدكتور الشيخ (عثمان محمد حلبجي).

وفي الجلسة الثانية، التي ترأسها الدكتور (أحمد الشافعي)، قدّم الدكتور (جمال السفراتي)، من (الأردن)، بحثاً بعنوان (دور المؤسسات الدينية والتربوية في مواجهة الفكر المتطرف)، كما قدم الدكتور (جه تو هرمزياري) بحثاً بعنوان (الفكر التطرفي دخيل على المجتمع الكوردي).

وأشار الأكاديمي (جمال السفراتي)، الذي قدم ورقة عمل عن دور المؤسسات الدينية والتربوية في معالجة الفكر المتطرف، إلى جملة أسباب حول ظهور

ونظّم الندوة (اتحاد علماء الدين الإسلامي في كردستان)، بالتعاون مع (كلية العلوم الإسلامية) بـ(جامعة صلاح الدين).

وشارك في الندوة مجموعة من الأكاديميين والمفكرين والمختصين في الفكر الإسلامي من إقليم كردستان، وتركيا، وبعض الدول العربية.

وأكد المشاركون في الندوة أن التطرف الديني تصاعدت وتيرته في المنطقة، جراء ظهور جماعات متطرفة، تسعى لتأسيس ما تسميها (دولة الخلافة) عابرة للحدود، لتطبيق نظرتها المتشددة للشريعة على المجتمع.

وفي مستهل الندوة، قال رئيس (اتحاد علماء الدين الإسلامي في كردستان) الشيخ (عبدالله ملا سعيد): إن الندوة تهدف لدراسة التطرف الديني، وظهوره في كردستان والعراق، وبين أن الندوة تركز على موضوع: هل أن للتطرف الديني جذور في المجتمع الإسلامي، أم أنه ظاهرة دخيلة عليه؟ فضلاً عن تصحيح الفهم الخاطئ لدى البعض، الذين يقولون إن الأصل في الإسلام الحرب، وليس السلم.

وأشار إلى أن: "كوردستان بشكل عام تتجه نحو الوسطية، ولكن حدثت

على أساس هويته".

وأكد الدكتور (جتو هرمزياري) أنّ المجتمع الكوردي بعيد كل البعد عن الفكر التطرفي، وأنّ هذا الفكر دخيل على المجتمع الكوردي، الذي تمتع منذ القدم بروح الوسطية والاعتدال والتسامح وقبول الآخر، وعلى علماء الدين الإسلامي إبراز هذه الخصال الحميدة في المساجد وخطب الجمعة، وتربية الجيل الجديد على هذا الفكر الوسطي المعتدل.

وأجمع الباحثون في بحوثهم على أهمية مثل هذه الندوات، وبالأخص في مثل هذه الظروف الراهنة، وأكدوا على أهمية الكشف عن دور المؤسسات الدينية في مواجهة الفكر التطرفي، وأكدوا أنّ الإرهاب دخيل على المجتمع الكوردي، مشيرين إلى أن مثل هذه الندوات تهدف إلى إظهار أن الأصل في الإسلام السلم، لأنّ الكثيرين فهموا الواقع الاسلامي فهماً خاطئاً، باعتبار أنّ الأصل في الإسلام الحرب وليس السلم.

وانتهت الندوة بمداخلات العديد من الحضور، خاصة المشاركين من طلبة كلية العلوم الإسلامية، وبعض أساتذة ومحاضري الكلية □

التطرف الديني في المنطقة العربية، وأوضحها بالقول: "هذا يتحمل مسؤوليته أطراف كثيرة، لأنّ هناك أسباباً سياسية عميقة وأسباباً خارجية عميقة وأسباباً داخلية عميقة، وأنا أتحدث عن أسباب داخلية، إنه ليس عجز العلماء، ولكن بطريقة معينة يارداتهم، أو بغير إرادتهم، أشغلوا بتوافه الأمور. والآن فإن أهم شيء لدينا، وهو مسؤولية كل عالم، وكل مفكر: هو إعادة بناء الإنسان، وخاصة في العالم العربي. والمسؤولية يتحملها بالدرجة الأولى العلماء والحكام، وبالدرجة الثانية بقية الناس، وخاصة المثقفين منهم".

بينما أشار الدكتور (عثمان محمد حلبجي) إلى أن التكفير دمر الخلافة، وقتل الخليفة (علي بن أبي طالب)، مؤكداً أن التكفير إذا حل بمكان تبعه التفجير والقتل، وهدم الدول التي حل بها. وأكد أن الأصل عند الفكر المتطرف التكفير، بينما الأصل في الإسلام الرحمة والتسامح، ولا بد أن يعرف ذلك كل العاملين في مجال الدعوة، كي يتمكنوا من مواجهته. وتابع بالقول: "إن القتل أصبح وظيفة (داعش)، وأصبحت تكفر الجيوش العربية، بطريقة لم يعرفها الفقه الإسلامي من قبل، فهم يقتلون الشخص



محمد واني

تحريف من نوع آخر

آخر الكلام

كثيرا إذا كانت (التوراة) و(الإنجيل) قد تعرضا إلى التحريف والتشويه، من قبل البشر، بحسب النص القرآني، وأضيفت إليهما، أو نقصت منهما، كلمات: {يحرّفون الكلم عن مواضعه}، من أجل تحقيق مصالح وغايات معينة، لفئة، أو جماعة، أو أمة. فإن الدين الإسلامي أيضاً قد تعرض لتحريف وتشويه كبيرين، ولكنه تحريف من نوع آخر، لا يقل خطورة عن التحريف الذي أدخل إلى الكتابين السماويين السابقين: تحريف في (التأويل والتفسير)، وتحريف في تقطيع (القرآن)، وتجزيته، وأخذ ما يوافق آراء وأهواء ومصالح جماعة، أو حزب معين، وترك ما يخالفها. وهذا ما نهى عنه (القرآن) بشدة، عندما قال: ﴿أَفَتَوْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ...﴾ صحيح أن نصوص القرآن وآياته بقيت، وستبقى، محفوظة إلى يوم القيامة، ولم يتغير الكلم عن مواضعه، لأن الله (سبحانه) قد تكفل بحفظه. ولكن التحريف جاء من خلال التأويل والتفسير - كما قلنا - عقب وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم) بفترّة وجيزة، وأصبح ظاهرة، بعد انتشار الإسلام، وتمدده شرقاً وغرباً، ودخول الشعوب المختلفة في الدين الجديد، حتى ظهرت حركات وجماعات إسلامية سياسية واجتماعية لا حصر لها، كلها تزعم أنها تتبع القرآن، وتنهل من معينه، مثل: حركة (الخوارج)، و(الشيعة)، وحركات (الزواج)، و(الحشاشين)، والفرق المتصوفة، والمعتزلة، والقدرية، والجبرية، والجهمية، وغيرها الكثير، ولحد الوصول إلى التنظيمات والجماعات والأحزاب الإسلامية المعاصرة، وهي كثيرة، أكثر من أهم على القلب، وكل واحدة من هذه الجماعات تدعي أنها على الحق وصرات مستقيم، وغيرها على الباطل والضلال المبين! والعجيب أن جميع هذه الفرق لديها ما تؤكد به، بدلائل قاطعة من آيات الذكر الحكيم، أنها على الحق، وغيرها على الباطل!

والسؤال الذي يطرح نفسه: فإذا كان الجميع على الحق، فمن إذن على الباطل؟! ومن هو المسلم الحقيقي، ومن هو المسلم المزيف؟ ومن يزايد على الإسلام، ويتاجر به؟ ومن يخلص له، ويدافع عنه؟ لا أحد يعرف بالضبط الجواب القطعي لهذه الأسئلة، وسط الكم الهائل من الاختلاف القائم بين المسلمين، والذي يصل في كثير من الأحيان إلى حد الثقاتل والتداحب!! □